أوشو



رسالتي لك ليست معتقدا او ديناً تعتنقه ، ولا هي فكر فلسفي . انها نوع من كيمياء الانسان انها علم التحول لذا فلن يستدعيها الا اولئك الراغبون في ملاقاة الموت على امل ولادة جديدة ، الا اولئك الشجعان الذين هم على استعداد للاصغاء رغم معرفتهم بما لهذه التجربة من خطورة"

" الاصغاء هو الخطوة الاولى على طريق الولادة الجديدة اذن هو ليس فلسفة او معطفا ترتديه وتتفاخر به وليس معتقدا تعتنقه يعطيك اجوبة على اسئلة مقلقه تؤرق حياتك انه ابعد من ذلك بكثير انه ليس اقل من موت وانبعاث "

يقول اوشو " انا لا انتمي الى فكر ديني معين انا بداية وعي جديد للانسان لذلك انا غير مرتبط بالماضي الذي لايستحق حتى ان نتذكره "

هذا الحكيم -كما يسمونه- لديه الكثير من المقالات والكتب المؤلفة ، و يقول في احدى مقالاته : ((انا لا ادعوك إلى ان تصبح هندوسيا أو يهودياً ان تصبح مسلما أو ان تصبح مسيحيا ، انا هنا لأساعدك لتصبح متديناً تقياً)) ...وعرف عنه إصراره بعدم رغبته أن يوضع له اسم او توصيف فكري معين، إنطلاقاً من إيمانه أنه لا توجد فلسفة تصف الحقيقة بشكل مطلق.

وفي إحدى محاضراته تحدث عن نفسه قائلاً:

"أنا أساعدك في إدراك السكينة في روحك ، هذه ليست تعاليم ولا عقيدة ولا حتى قانون ديني محدد. لهذا أستطيع أن أقول أي شيء، أستطيع ان أناقض نفسي في الليلة مئات المرات"

انني في حالة صعبة جداً، فمنذ اليوم الذي دخل فيه حبُ الله فيّ، اختفَت الكراهية في داخلي.. لذلك حتى لو أردتُ أن أكره فلن أستطيع. حتى لو أتى الشيطان أمامي لا يسعني إلا أن أحبه... ليس لدي أي خيار آخر - لأنني قبل أن أستطيع أن أكره، أحتاج إلى وجود الكراهية في داخلي، وبغير ذلك لا أستطيع...

من المستحيل أن يتعايش الحب مع الكراهية في نفس القلب. إنهما متناقضان
تماماً.. مثل تناقض الحياة والموت.. الحب والكراهية لا يمكن أن يُوجدا في نفس القلب أبداً..
ويمثل أوشو ظاهرة فريدة في مرجعيته الروحية إذ بالرغم من كونه قد نشأ في مجتمع يدين بمختلف الاديان إلا أنه جمع كل الأديان والمعتقدات بخلاصتها الروحية في تعاليمه فلا تخلو نصوصه من الرجوع إلى إرث الصوفيين بما فيهم كبير وابن الرومي وابن عربي كما يعود إلى روحانية السيد المسيح كما يعود إلى بوذا وكريشنا وفلسفة الموحدين .
غالباً ما يتم تعريف أوشو بالقول بأنه : لم يولد أبداً ، ولم يمت أبداً ولكنه زار هذه الأرض ما بين 11 ديسمبر 1931 وحتى 19 يناير 1990. إنه المتصوف المستنير. وخلال ثلاثين عاماً أمضى وجوده فيها عبر المحاورات - تلك التي تذكرك بأيام الفلاسفة اليونانيين - ولقد ناقش أفكار الحكماء في العالم واستمر في محاولة طرح رؤية جديدة وحديثة حول كل الأشياء الخاصة والمحيطة بالإنسان.
لقد ناقش معيداً ًالحياة إلى الأبونشيد أوجوردجيف واشتافات كارا والزرادشيتة كما تحدث حول أفكا الهاسدي والصوفية واليوغا والتانترا والتاد وغيرها. لقد جلب أطراف الحكمة التي راكمتها البشرية إلى بعضها البعض.
لقد تجاوزت تعاليم أوشو كل الفكر المؤسسي الديني والروحاني وحاول أن يساعد الإنسان على تلمس طريقه في الزمن الحالي من سعي الفرد إلى معنى الحياة. وقد وضعت صحيفة سندي تايمز البريطانية أوشو كواحد من أهم مئة شخصية شكلت القرن العشرين. أما أوشو فإنه قدم توجهاته بأنه محاولة للمساعدة في خلق مناخ لولادة نوعية جديدة من البشرية ترتقي بأرواحها وتدرك وجودها وروابطها في هذا الكون.
أن أوشو يسعى لأن يجمع بين الخيوط تلك التي نسجت روحانية الشرق مع الفكر العلمي للغرب في الإنسان الحديث وقد طور أوشو أساليب التأمل لتكون جزءاً من الحياة اليومية للإنسان هادفاً نحو الصفاء النفسي والروحي والخروج من رحى الاستلاب والاغتراب.
في الحادي عشر من كانو ن الاول ولد اوشو في كوتسوادا مادهيا برادش في الهند . ومنذ بداية شبابه راح يبحث عن الحقيقة ، انطلاقا من تجاربه واختباراته وليس من خلال المفاهيم الدينية والاجتماعية السائدة في مجتمعه او من خلال ماحاول البعض ان يلقنه من معارف ومعلومات ، وما ان بلغ الحادية والعشرين حتى اكتملت تجربته مع الحياة،
وبعد دراسة عميقة لسيكولوجيا الانسان المعاصر ومنذ اواخر الستينيات من القرن الماضي شرع اوشو يطور تقنياته الديناميكيه

لمساعدة " الانسان المعاصر المثقل بتفاهات التقاليد العتيقة ، وهموم الحياة اليومية " لمساعدته على اكتشاف ذاته من خلال التأمل والتحرر من الفرضيات والافكار المسبقة ، وتطهير انفسهم من رواسب المفاهيم البالية .

في بداية السبعينيات من القرن الماضي بدأ الغرب يتعرف على افكار اوشو عام 1974 وفي مدينة بونا الهندية تأسست حلقة فكرية حول اوشو ، ومنذ ذلك التاريخ والزوار يقصدونه للاستماع اليه رغبة في التحول من عالم المادة الى عالم الروح ومن عالم الروح الي عالم المادة، ولم يترك اوشو جانبا من جوانب الحياة الا وتحدث عنه داعيا الى تطوير الوعي عند الانسان والارتقاء بالروح الانسانية الى ماهو ابعد من المفاهيم الثقافية السائدة ، الى التعرف على الحياة من خلال الممارسة اليومية واختبار مدى اهمية الذات الانسانية .

أهمية فلسفة اوشو انه يخاطب الإنسان في جوهر كيانه، بلغة بسيطة عميقة صادقة ومفهومة، وفلسفته تصلح لكل زمان ومكان، ويتمتع بقدرة عجيبة على إضاءة الأعماق المظلمة للنفس البشرية حيث يعشش الخوف والقلق.

يوصلنا اوشو لحقيقة لا تستقيم الحياة بدونها وهي : علينا ان نُظهر وجهنا الحقيقي مهما كان الثمن، ويبين لنا بأمثلة عديدة ان الناس الذين يعيشون بأقنعة ويظهرون عكس مايضمرون، يصابون مع الزمن بانفصام داخلي، وتتدمر ثقتهم بنفسهم بالتدريج ... ولن يعرفوا معنى الهدوء والاستقرار الداخلي .

فالصدق مع الذات اولاً ومع الآخر ثانياً، هو أساس بناء علاقات صحيحة في مجتمع سليم ...

لكن كيف يمكننا ان نعرف ذاتنا الحقيقية ؟! يبين لنا اوشو ان عملية البحث عن الذات أشبه برحلة شاقة، اذ يجب علينا إسقاط جميع الأفكار الموروثة عن أنفسنا، فالإنسان يجمع كل ما يقوله الناس عنه، ويجعله هويته، إننا ننسى صفاتنا الأصيلة ووجهنا الحقيقي، ويصير هدفنا الحصول على إعجاب الناس وتقديرهم ورضاهم، وللأسف العالم الذي نعيش فيه ليس متحضّراً كما يدعي، بل هو عالم بربري وبدائي يمجّد القوة التي غالباً ما تكون وحشية وظالمة ومنافقة ...

باختصار يدفعنا اوشو للمجازفة ... يقول بإيمان : جازف لتكون حقيقياً . وكل الوقت الذي عشناه باستخدام الشخصية الزائفة هو انتحار بطيء نمارسه على أنفسنا .

في كتابه الذي يتناول فيه موضوع الذكاء والإبداع، يعرّف اوشو الإنسان الذكي بأنه الثائر، وبأنه الذي يمتلك القدرة على اكتشاف غير العادي في العادي .

ويقول إن جميع أنواع الإبداع هي حدسية، وبأن معظم الاكتشافات العظيمة تحققت بواسطة الحدس وليس الفكر .

ويخصص اوشو فصلاً هاماً عن أهمية التأمل في الحياة، ويعرّف التأمل بأنه القدرة على ان تكونَ سعيداً وأنتَ وحيد، سعيدٌ بنفسك، كسعادة الطيور في تحليقها ..

يحفزنا اوشو دوماً على اكتشاف آفاق جديدة للحياة، يجعلنا نفهم العالم حولنا وكيف نتعامل معه، فنحن في الواقع لدينا نظريات عن الحياة، لكننا لا نعيش عمق الحياة الحقيقية . ورؤوسنا مليئة بأفكار نعتقد انها الحقيقة المطلقة، لكننا لانفهم ان الحقائق

نسبية ... إن إنسان اليوم في حالة نفسية بائسة حقاً، معظم حواسه معطلة يعيش في حالة تجمّد، متشبث بعقائد جامدة تعيقه عن التواصل الحقيقي مع الناس، عقائد جامدة فارغة من الروح والحب، حتى حديث الناس مع بعضهم فارغ، اذ إننا نصغي لبعضنا بدافع التهذيب وليس إصغاءً حقيقياً، إصغاء عقل لعقل وقلب لقلب ...

يساعدنا اوشو في كتبه القيمة ان نترك أفكارنا البالية تتساقط كما يتساقط الورق اليابس عن أغصان الأشجار، يزيل الصدأ عن أفكارنا وأحاسيسنا، ويفتح مسامنا لنور الحقيقة ...

اوشو يدلنا على الأصالة الحقيقية الكامنة في نفوسنا، والتي ضيعناها بسبب الضغوط الهائلة لهذا الزمن، وبسبب خوفنا من الحياة ...

إننا نحتاج لترميم قوانا المُخدّرة بالخوف والقلق، والمشلولة بالإحباط، نحتاج لفلسفة صادقة عميقة مثل فلسفة اوشو تعيننا حقاً في التصدي للزمن المشحون بكل أنواع المشكلات والاحباطات، وخلق الفرح والأمل عنوة، اذ لامعنى للحياة بدونهما ..

تدعو أفكار أوشو الإنسانَ إلى التجذر في الوجود وفتح النوافذ على الوجود، بأن يذهب الإنسانُ إلى الله لا نتيجة للخوف، وإنما من خلال الحب. "المحبة" ليست مسيحية، ولا إسلامية، ولا هندوسية. وإذا كان القديس يوحنا يرى أن "الله محبة"، وإذا كان نبي جبران يعكس المقولةَ نفسَها في قوله: "لا تقل: الله في قلبي، ولكن قُلْ: أنا في قلب الله"، فإن أوشو يقول "الحب هو الله". وفي هذا اقتراب من مفهوم ابن عربي لـ"دين الحب": "الحب ديني وإيماني".

أحياناً، نجد أنفسنا منغمسين في شيء ما، وفي لحظة التذكر، نخرج من ذواتنا، نعيد تركيب أنفسنا، فتزدحم الأفكار في رؤوسنا فيقول اوشو: "أنتقِ الأفضل منها، ستكون أمامك على شاشة الوجود ومن ثم تختفي، كن منتبهاً.. هناك فيها ما هو جيد وما هو عاطل، وان كانت او لم تكن طبيعية، فانظر اليها بعين العالم.. ذات يوم، فجأة، لن تراها ثانية، وفي هذا اليوم سيغمرك صمت لم تتعرف عليه من قبل، سيبقى الى جانبك، سيكون معك كنفسك، انه يحررك من عبودية الجسد.والحياة، بمفهوم اوشو، هدية من الله تعالى، كذلك الولادة والحب والموت هدايا، اذا عرفنا كيف نكون شاكرين لله. فكل شيء يتحول الى هدية، الآخرون يفتقرون الى الاحساس بالشكر، ومن الناس من يدين الآخرين دائماً ويتذمرون ويطلبون المزيد والمزيد. بينما النوع الأول فقط، هو الذي يصبح ورعاً وشكوراً. على عكس الثاني الذي لا يستطيع ذلك، لانهم اتكاليون ويظنون ان الله يجب عليه ان يلبي كل طلباتهم، ولذلك، يكفرون أحياناً.. اذا لم تلب طلباتهم. وهؤلاء يشعرون دائماً انهم مكبوتون، وان كل ما يحدث باطل ومخادع. اذ لا شيء يلبي طلباتهم ورغباتهم، لا شيء يملأ قلوبهم بالرضا. دائماً تحدث الأمور الحسنة بعيداً عنهم، انهم يعيشون في بؤس وشقاء لأنهم يحملون دائماً الشكوى والحقد ونكران الجميل، كما لو أنهم مبعدون عن شيء ما.. كيف يستطيعون الشعور بالامتنان؟ وبغير الامتنان: "ليس هناك صلاة وبدون الصلاة ليس هناك دين" هكذا هؤلاء.. ومصيرهم الضلال.

في الحقيقة، الصلاة ضرورية، انها شكر لله على ما أعطانا من نعم الحياة، كائناً ما كانت. انه موقف يتضمن قول "نعم".. ولا يعرف الشك ولا الارتياب أو التشاؤم او السلبية. العالم هو الجمال والروعة الى درجة انه لا يمكنك الا ان تبادله الفرح والغناء، انها ـ اي

الصلاة ـ هدية لنا جديرين بها، فنحن لا نستطيع ان نرد الجميل الى الله الا بها. فكل ما نستطيعه هو أن نشكر الله، وبالشكر تدوم النعم" فـ: "اجعل الصلاة دربك.. كن شكوراً في كل الطرق الممكنة، ولا تتذمر ابداً، اسقط العقل الساخط. فالمسألة، فقط، قضية قرار، وما ان تقرر أن تسقط التذمر، حتى تبدأ في اسقاط العادة القديمة، وينبغي ـ ايضاً ـ اسقاط حواجز الجسد، فنحن متماهون كثيراً باجسادنا، نعتقد اننا أجساد، ونحن لسنا كذلك. هذه هي الفكرة الزائفة الأولى التي ينبغي اسقاطها. هذه الفكرة الزائفة تولد افكاراً زائفة أخرى... اذا كان الواحد منا متماهياً مع الجسد فانه سوف يكون خائفاً من الشيخوخة، المرض، الموت، هذا الخوف يخلق من هذا التماهي الالتصاق بالجسد. انت الذي يدرك هذا الجسد، وانت ليس العقل ايضاً.

ويعود اوشو ليقول: "ابدأ أولاً بالعمل مع الجسد لأنه من السهل الابتداء مع كل ما هو محسوس، ثم تحول نحو الارق والألطف، انظر الى العقل باعتباره منفصلاً عن ذاتك، حتى تصبح واعياً انك لست الجسد ولا العقل. ستشعر بالحرية وانك بلا قيود او حواجز. لن يكون هناك جدران سيكون فقط الفراغ المطلق في كل الاتجاهات. عندئذ ينبغي اسقاط الحاجز الأكثر شفافية. وهو المتعلق بالمشاعر".

اي علينا أولاً ان نتحرر من الجسد؟ ثم من الفكر، ثم من القلب، وحتى نكون متنورين علينا أن نتحرر من القلب. عندما نعرف اننا لسنا الجسد ولسنا العقل ولسنا القلب، سنعرف مباشرة من نحن، وما هو الوجود وما هي الحياة بكل معانيها، وسينكشف الستار مباشرة عن كل الاسرار. جميعنا هنا غرباء، هذا العالم ليس بيتنا، بيتنا في مكان آخر، نحن في ارض غريبة. ان نبقى خارج ذواتنا هو أن نبقى بلا منزل. وبرجوعنا الى المنزل. نعود الى دواخلنا. فلنكرس جهودنا كلها للعودة الى الداخل. لا شيء أكثر قيمة من هذا التوجه. لذا علينا المخاطرة والتضحية بكل شيء وما عداه يعد أمراً تافهاً.

نتعرف ولا نعرف

هناك فرق بين المعرفة والتعرف. المعرفة هي معلومات وافية عن زمن مضى، بينما التعرف، هو محاولة اكتساب معرفة جديدة، انه عملية تحول تطوري، لذا، اذا كنا فعلاً راغبين بالتعرف، علينا الاعتراف، ان كل شيء قابل للتعرف والتحول. حتى اللغات التي نكتب بها اليوم او نحكيها، قطعت مراحل (تعرف) كثيرة حتى وصلت الى ما هو عليه اليوم. ولهذا انقرضت لغات، لانها لم تتحول، فلا شيء في هذا الوجود ثابت، بل كل شيء في تحرك دائم. لذا، لا تقل "معرفة" بل "تعرف" ولا تقل "الحب" بل انا عاشق ومعشوق في آن". المشكلة اننا تعودنا على ترداد الاشياء فما نزال نقول "النهر" مع انه جريان المياه، وانه ليس هو ذاته بين ثانية وأخرى. وكذلك الاشجار، ومع أنها تنمو كل لحظة وتتغير، تتساقط اوراقها وتعود تورق من جديد، اذاً، لا شيء ثابتاً في الوجود.

ايها الانسان، كن مع الحياة، متحركاً ومتحولاً، ولا تكتف بالنظر الى ما يجري دونما اهتمام. بل بهدف التعرف على التحول الذي يصيب الاشياء ولا تكتف بما عرفت. بل ثابر على اكتساب المعرفة. هكذا ترى الأشياء واضحة.

مهما عرفنا يبقى هناك الكثير من الأشياء والأمور التي عرفنا وتعرفنا عليها. ففي كل لحظة شيء جديد، حتى أنا الآن لست أنا بعد الانتهاء من كتابة هذه الكلمة. أقول "الكلمة" وليس "الكلمات" فالحياة مستمرة في التحول، ولا تتآلف مع الغموض. والله لا يحل

إلا بأولئك الذين هم قادرون على التحوّل والراغبون في التعرّف.

كيف يتم اكتشاف المعرفة، الحقيقة، الحكمة؟

إن ذلك يتم من خلال الوعي المنتبه، وليس من خلال مراكمة المعلومات، بل من خلال الذهاب الى داخل عملية التحول. الوعي المنتبه هو تحول داخلي متطرف، لقد ولدت الآن من جديد.

بصورة اعتيادية، غالباً ما يتواجد المرء في حالة نائمة، وعيه المنتبه في أدنى درجاته، فقط، بنسبة واحد في المئة، أو بنسبة أقل من ذلك ولكن ذلك يكفيك لعملك اليومي، يكفيك لتكسب خبزك ولتوفر ملجأك وليكون لك أولاد وعائلة، يكفيك هذا الوعي الضئيل لتحقيق ذلك، ولكنه لا يكفيك لتحقيق ما هو أكثر من ذلك، تسع وتسعون في المئة من وجودك يبقى ظلاماً دامساً. لكن، كل ذلك الظلام يمكنك تغييره. بإمكان المرء أن يمتلئ بالنور. عندئذ، يتعرف المرء على ثقافة العيش، وعلى النشوة الهائلة للعيش والحياة.

منذ أن وجد الإنسان والعقل عاجز عن معرفة ماهية الحقيقة، أنه يعرف أشياء عنها، لكنه لا يعرفها لذاتها. أن تعرف شيئاً عن الحقيقة أمر مختلف عن معرفتها، قد تكون قادراً على التحدث عن الحب، من دون أن تعرف ما هو، وحتى تتعرف عليه، يجب أن تمر بتجربة الحب، يجب أن تكون عاشقاً. جمع المعلومات شيء، والوصول الى الذات شيء آخر، بمقدروك حفظ ما قاله الفلاسفة وعلماء الدين، وكذلك نظريات وفرضيات العلوم. ولكن ليس بمقدورك الادعاء أنها أقوالك ونظرياتك وفرضياتك، لا أحد ينكر أنها تعينك على تعميق وعيك. وهنا يكمن الخطر، لأنها تجعلك مدعياً أنك تعرف كل شيء.

دائماً عليك معرفة أنك إن حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء، عليك معرفة الشيء ونقيضه، وعليك الاعتراف أنك جاهل لأمور كثيرة.. لماذا؟! حتى تبقى راغباً في حب الاستطلاع، في اكتساب المعرفة، حتى تبقى باحثاً عن الحقيقة، عن حقيقة المعرفة. وهكذا، تمضي حياتك باحثاً عن الحقيقة، عن حقيقة الوجود، باحثاً عن الوعي الكلي الشامل، بهدف الوصول الى الحقيقة واختبارها.

الله معنا كل لحظة، إنه في قلوبنا النابضة، في رئتينا حين نتنفس لكن المشكلة هي أننا ـ أحياناً ـ لسنا مع الله. نريده أن يكون معنا ولنا، في حين لا نحاول التقرّب منه.

حين تصبح مع الله، نعي أهمية الحياة، نعي أن علينا الإحساس بالشكر والامتنان ونعي أهمية وجودنا.

ليس بمقدورنا الاستيلاء على الحقيقة، بل أن تسعى إليها، أن تفتح قلبك لها، ولن يكون هذا إلا بالتأمل، إلا بالاستغراق في التفكير. في كيفية جعل نفسك ممتلئة بالنعمة، في أن تكون شاعرياً وليس عالماً، في أن تصلي من الأعماق وليس من الشفاه.

صلِ بثقة إن الله يستجيب لدعائك، وإنه سيكون معك.. كن مصباحاً ينير ذاتك، قبل إنارة غيرك، فلا أحد بمقدوره إعطاءك المعرفة، وإن اعتقدت بهذا، فهذا يعني أنك لن تتعرف الى المعرفة.

لماذا تبحث عن النور خارج ذاتك؟

الله أعطاك كل ما أنت بحاجة إليه، منحك النور الداخلي. وهو دائماً الى جانبك ومعك ليساعدك على التمييز بين الصح والغلط، يغمرك بغبطته ورضاه. لا تكن مثل أولئك المستلقين على قارعة الطريق بانتظار من يقلهم معه، فهذا مضيعة للوقت وهدر للطاقة

الكامنة فيك.

أنا لن أقول لك ما عليك فعله، ولا كيف يجب أن تفعل هذا أو ذاك.. بل أطلب إليك أن تكون أنت أنت لا أحد غيرك.

ثم أخيراً.

لماذا لا تجعل حياتك حديقة أزهار، متعددة الألوان والأنواع، وكل زهرة تسعى أن تعطي أكثر من الأخرى، إنه التنافس على العطاء.

فلماذا لا نكون مثلها، نتنافس من أجل بلوغ التسامي.

كثيرون من البشر يعانون انقسامات وصراعات داخلية، يحتارون أي طريق يسلكون. لأنهم ليسوا كتلك الأزهار التي توحدت في سبيل العطاء. لن يشعر الإنسان أن حياته ليست مصادفة، بل هي مجموعات تخلّت عن أنانياتها ونذرت نفسها لفعل الخير.

لا نعمة ولا محبة، ولا سعادة، إلا بتوحد الذات الإنسانية. إلا بتوحد ساع للوصول الى نعمة الله.

"المستقبل"

مختارات من أقوال أوشو الحكيمة:

إن كل ما أقوله ليس هو الشيء الذي أريد أن أقوله لكم ، كل ما أقوله لا يفعل شيئاً مع الحقيقة
لأن الحقيقة لا يمكن أن تُقال ، كل ما أقوله ليس إلاّ طَرْقاً على الباب ، وعندما تُصبح واعياً: سوف ترى الحقيقة. ماذا اريد،،،،،،،،
أريد أن أرى القوة و السلام في كمالهما،،،، أريد جمعاً و انسجاماً بين الدين والعلم،،، وبهذا سيولد فردٌ مثالي لثقافةٍ مثالية

إن الفرد ليس جسداً أو روحاً، إنه توحيدٌ للإثنين معاً، لذلك أي شيءٍ يعتمد على
واحدٍ منهما بمفرده يكون ناقصاً ... لستُ هنا لأجعلك تفهمني! أنا هنا لأساعدك على أن تفهم نفسك. عليك أن تراقب أعمالك، علاقاتك، أحوالك ومزاجك عن قرب. وأن تراقب حالتك عندما تكون وحيداً، وعندما تكون مع الناس، كيف تتصرف، كيف تنفعل... هل ردود أفعالك شرقية ام غربية.. نموذج متحجر من الأفكار، أم أنك عفوي تلقائي، مسؤول..؟ راقب كل هذه الأشياء... استمر بمراقبة فكرك وقلبك. هذا ما يجب أن تفهمه وهذا هو الكتاب الذي يجب أن تفتحه أنت كتاب غير مفتوح بعد.
الحياة كريمة جداً؛ كل ما عليك أن تكون مُتلقّياً، لكن لا تنتظر أية مكافأة أريدك أن تكون بريئاً تماماً من كل الفساد و التلوث الفكري، ليكن عقلك صامتاً ومحباً.... منتظراً للمزيد أن يأتي. الحياة واسعة جداً، ومهما اكتشفنا منها...لن نستطيع أن نتعبها أبداً !...... فهي لا متناهية.... والسّر يكمُن في العمق...... فوق الزمان وفوق المكان.
أنا كلٌّ مع كلّ الأشياء...في الجمال ، في القباحة ، في كل الأشياء أنا موجود ليس فقط في الفضيلة بل في الرذيلة أيضاً أنا شريك وليست الجنة فقط مسكني بل الجحيم أيضاً بوذا ، المسيح ، لاوتسو..... من السهولة بمكان أن أكون تابعاً لهم! لكن هتلر و تيمورلنك و جنكيز خان أيضاً في داخلي !لا ! لا أنصاف! أنا الجنس البشري بكامله و كل ما هو إنساني يسكن فيّ

الورود كما الأشواك – الظلام كما الضياء وإذا كان الرحيق لي فلمن السّم ؟ السم والرحيق كلاهما لي......كل من اختبر هذه الأشياء جميعها بالنسبة لي إنسانٌ متديّن فعذابات جميع هذه الخبرات وحدها تستطيع أن تحدث انقلاباً جذرياً في هذا العالم المجنون.
كلما ذهب المرء بعيداً داخل نفسه كلما زاد نضجه.
وعندما يصل إلى مركز وجوده بالتحديد، سيصبح ناضجاً تماماً. ولكن في تلك اللحظة، سيختفي الشخص، وسيبقى وجوده!

تختفي النفْس ويبقى الصمت ، تختفي المعرفة وتبقى البراءة
أنا أيضاً فلاح وقد زرعتُ بعض البذور.لقد تبرعمَتْ هذه البذور وحملَت أزهاراً الآن.. حياتي بكاملها مليئة بأريج هذه الأزهار وبسبب هذا الأريج أعيشُ في عالم مختلف. لقد أعطاني ولادة جديدة... وأنا منذ الآن لا أبدو كما ترى العيون العادية.

لقد فَتح الغير مرئي والغير معروف أبوابه المغلقة، وأنا أرى عالماً مختلفاً لا يُمكن أن يُرى بالعين، وأنا الآن أستمع لموسيقى لا تستطيع الآذان سماعها. كل ما وجدته وكل ما عرفته متلهّف يشبه شلالات الجبال وينابيعها التي تتدفق مندفعة إلى المحيط.

تذكر... عندما تمتلئ الغيوم ماءاً فعليها أن تُمطر. وعندما تمتلئ الأزهار عطراً فإن عليها أن تهبه إلى الرياح لتنشره. وعندما يُضيء المصباح فمن المفروض أن يشعّ الضوء منه...لقد حدث شيء مشابه، وتقوم الرياح بحمل بعض بذور الثورة مني...ليس لدي أي فكرة في أي حقل ستهبط ومن سيعتني بها... كل ما أعرفه أنه من مثل هذه البذور حصلتُ على أزهار الحياة والحياة الأبدية، واقتربتُ من الله.
وأينما هبطَتْ في أي حقل، ستتحول تربة ذلك الحقل إلى أزهار الخلود. الخلود مخفيّ في الموت، والحياة كامنة في الموت- تماماً كالزهرة التي تخرج من التراب.
لكن الشيء الكامن في التراب لا يمكن أبداً أن يظهر في غياب البذور... البذور تجعل المخفيّ ظاهراً، وتُعبّر عن المعاني الدفينة.
مهما كان لديّ، ومهما كنتُ في حياتي، أريد أن أهب نفسي كبذور من الوعي المقدّس.
إن الذي نحصل عليه في المعرفة والتعلّم، يُقدّمه الحب بكرمٍ للجميع...بمعرفة المرء لنفْسه يعرفُ الله، وبالمحبة يصبح الإنسان إلهاً بحدّ ذاته.

عندما تغيب منك الأفكار ويبقى ذهنك صافياً،عندما لا يكون عندك خيار وتكون لأمر الله مسلّماً ،عندما لا يكون هناك كلمات ويكون قلبك فاعلاً عندها ستدخل في الدين الحقيقي،،،،لستُ من الذين يخافون الله بل أنا من عشّاقهِ ،،فالخوف لن يأخذك إليه بل سيؤدي بك إلى فراقهِ

ودون أن أشعر، فأنا لست بمؤمنٍ أو مُعتقِدٍ أيضاً!!! فالاعتقاد أعمى! وكيف للاعمى أن يأخذك إلى الحقيقة المطلقة؟؟؟ مع احترامي لكل الأديان، لستُ بتابع إلى أي دين!!

لأن الدّين لا يُمكن أن يقسَّم و يُوضَع في مصنّفات!! إنه دين واحد أبدي لا يتجزّأ وهو التديّن في القلب!! وكل الأديان فيها روح واحدة وتوصلك إلى جوهرة واحدة.
بالأمس عندما قلتُ ذلك، سألني أحدهم: إذاً أنت مُلحد؟! لستُ بمُلحدٍ ولا بمُؤمن!!

إنها مجرّد اختلافات سطحية وفكرية فقط، لا علاقة لها بالكون أبداً. فالوجود غير مقسوم مثل عقلنا المليء بالتناقضا،،،،، ومن الفكر فقط تأتي جميع تلك الاختلافات

كلٌّ من الإيمان والإلحاد مصدره العقل ولا يصل إلى المستوى الروحي! الروح تسمو فوق كل شيء إيجابي وسلبي .... وتكمُن وراءهما في العمق

بمعنى آخر: إن الإيجابي والسلبي شيء واحد في ذلك المستوى، وليس هناك خط يفصل بينهما.

لا يوجد أي مفهوم فكري يعمل هناك... في الواقع على المؤمن أن يُسقِط إيمانه وكذلك على المُلحد أن يُسقط إلحاده...ومن المحتمل عندها أن يدخلوا معاً إلى عالم الحقيقة والحق.... ويهتدوا إلى الصراط المستقيم

كِلا الفكرتين من استحواذات العقل عليك، ....و الاستحواذ عبء مفروض قسرياً.ليس علينا أن نقرّر ماهيّة الحقيقة، لكن علينا أن نتذكرها كاللحظة التي ينفتح فيها المرء على نفسه.... وعندها من يعرف نفسه يعرف ربه.

من يستطيع رمي جميع قراراته الفكرية، والمفاهيم المنطقية وكل الافتراضات والهواجس.... يصل إلى براءة طفولية يفتح فيها نفسَه على الحقيقة كما تفتح الزهور بتلاتها في النور وفي هذا التفتّح تصبح الرؤية الحقيقية ممكنة ولن يرى إلا نوراً في نوروهكذا فإنني أُسمّي الرجلَ بالمتديّن الحقّ إذا كان ليس مؤمناً ولا ملحداً.التديّن هو قفزةٌ كبيرة من فكرة التعدّدية.... إلى الوحدة والتوحيد.إلى رؤية الله في كل الأشياء والمخلوقات.

عندما تغيب الأفكار ويبقى ذهنك صافياً عندما لا يكون عندك خيار وتكون لأمر الله مسلّماً،عندما لا يكون هناك كلمات ويكون قلبك فاعلاًعندها ستدخل في الدين الحقيقي

الخوف لن يأخذك إلى الله.... بل الحب سيجلبه إليك...

يـا أخـي الشجـاع ... هل تعرف بأن كل الحكمة والشجاعة تكمن في حبة الرمل التي لا تكاد تراها على شاطئ البحر...؟ نعم، إنها الشجاعة الحقيقية النابعة من الثقة بالوجود والموجِد.

عندما تتأمل رمال الشاطئ المتناثرة في موج البحر ... كيف أنها تروح جيئةً وذهاباً مع تلك الأمواج ... بدون مقاومة أو خوف ... وإنما بكل سلامٍ وتسليم ... وكأن البحر يغازل حبة الرمل ويداعبها مع كل موجة ... إنه التناغم المطلق في الطبيعة ... وفي كل ذرة وكل كون ...هنا تجد الشجاعة الحقيقية في البحث عن الحياة ذاتها ... لا بالعودة إلى الماضي الميت أو الغوص في وهم المستقبل ... إنها الآن وفقط الآن ... في هذه اللحظة الحاضرة التي تبدد الزمان والمكان ... إلى روح الإنسان...بأن تقول نعم للوجود الذي يحضنك ...كما يقولها الطفل لأمهِ ... كما تقولها الشجرة للأرض والرياح والشمس...كما تقولها السمكة للمحيط ... وكل خلية في جسمك تقولها أيضاً ... وأنت كذلك... من أعماق قلبك ... كالعاشق الذي يفتح قلبه وروحه للمعشوق... لتزول كل الحواجز والحدود ... إلى اللامحدود في هذا الوجود وقبله وبعده...

إن جذور الإنسان ممتدة عميقاً في الوجود كشجرةٍ مباركة ... فلماذا تقاوم الحياة؟ لمن هذه الـ لا ؟ أهي لأمك الأرض؟ أم للسماء الزرقاء التي تحلق روحك فيها؟ أو للشمس التي تتغسل بنورها..؟

إن من يقاوم الحياة يموت شيئاً فشيئاً ... هذه الحياة التي تتدفق فيك مع كل نَفَس ... وتنعش قلبك مع كل لحظة وكل آن ... فكن ناي الحياة ... يعزف لحناً إلهياً أبدياً ... يا صاحب المكان والزمان...

الإنسان الشجاع ينظر حوله، ويشعر بقلبه ... ليرى بروحه أنه جزء من هذا الوجود الواحد ... من هذا الكل اللامتناهي في هذه اللحظة وكل لحظة ... فيصمت فكره وتتطمئن نفسه في سكينة الساكن في كل جسد وكل أحد يـا واحد يـا أحد... ليقولها بكل محبة

وثقة ... نعم للحيـاة.

إنه مستعد ليغامر بكل شيء عرفه طوال عمره لأجل هذه الـ نَعم ... من أجل تلك اللحظات التي رشف بها قليلاً من نبع الحياة الأبدية ... لكي يستسلم لماء النهر العذب الصافي الذي يسير رقراقاً متلألئاً في ضوء القمر والشمس إلى المحيـط الواسع اللامحدود.

الشجاعة الحقيقية هي أن تكون حاضراً لتغامر بنفسك أيضاً في سبيل نفحة من الحب الصافي ... وتستمر المغامرة ... حتى بتلك النفحات إلى أن تفنى في المحبة ... لأنك لن تعرف المحبة الحقيقية إلا عندما تذوب تماماً وتتوحد مع المصدر... مع الأكوان والمكوِّن... هذا هو الفناء في البقاء ... فلا تقف متفرِّجاً على الشاطئ مع كل تلك الكتب والخرائط و الإعتقادات المعقَّدة... ارمها بعيداً واقفز في أحضان المحيـط... أحضان الحيـاة... إن الإنسان يبحث عن الله أو الحياة ضمن حدود معينة ... ونسي أنه يبحث عن اللامحدود ... فكيف تضع تصوراً مسبقاً أو حداً ما لبحثك! إنك لن تجده بذلك أبداً ... بل ستبقى مكانك بتعاستك وبؤسك وقيودك التي تظنها حياةً ... وصلاتك التي تظنها صلةً وما أنت بمكفول ولا موصول... بل في بحور الشيطان تسبح وتجول.هل تظن بأنك ستشتري الحياة بالمال الذي تنفقه على من تسميهم فقراء ومساكين..!؟ وهل تحسب نفسك مغامراً من الدرجة الأولى لمجرد ذهابك إلى الجوامع والكنائس ..!؟ إنك تكون كذلك فعلاً عندما تنذر نفسك في سبيل الحياة... بأن تذبح أحلامك وأمنياتك وطمعك في مذبح الكنيسة أو أضحى الأعياد...ثمن الحياة باهظٌ جداً ... وهو أبعد من كل معاييرك وحدودك وأفكارك التي قيَّدت نفسك بها. فإذا كنت تعتقد بأن صلاتك لدقيقتين قبل أن تنام في ليل أحلامك المكبوتة صلاةً، أو أن تكرارك لبعض الكلمات والأسماء كالببغاء من دون حياة ذِكراً... فأنت تضيع فرصتك الوحيدة بأن تتعرف على حقيقتك ... ومن عرف نفسه عرف ربَّه ...وإذا لم تتحلّى بالشجاعة والإرادة الكاملة لخوض المغامرة ستبقى ذاك المخادع الذي يخدع نفسه والآخرين دون أن يدرك ما يفعله... وكل ما يجنيه في النهاية وهم بوهم ... وكبرياء وتكبُّر ... وأنانية توحي إليك بسعادة زائفة مؤقتة... وكل ذلك يسكن رأسك الذي ضاق بالأفكار والأدوار ... حتى لم يبقى لك دور ولا دار في الحياة الحاضرة الآخرة ... في هذا الآن المقدَّس الأبدي.

يـا أخـي .. الدين الحقيقي أو الصلاة الحقيقية تكون بالحضور والوصل... هذه الحضرة والوعي الصافي الذي يستمر كل لحظة وكل ثانية.

ليست مسألة فعل أو القيام بشيء، بل هي مسألة تسليم وحضور في الآن...إن الأفكار والاعتقاد والإنعقاد بالعقد يقطع تدفق الحياة ... تلك الحياة التي تزهر في قلبك وتراها في عيون الآخرين فتشاركهم بها بكل حرية ومحبة... وهذا هو التدين الحقيقي والمحبة الحقيقية... وفي النهاية يقفز الشجعان في محيـط الحياة ... بينما يبقى الجبناء على رصيف الإنتظار والدمار حيث لا نمو ولا عمار... فمن أي نوع أنت ؟؟

لتعرف الوجود يجب ان تكون وجوديا ،،،،أنت لستَ كذلك، بل تعيش في الأفكار، تعيش في الماضي.. في المستقبل، لكنك لا تعيش

هنا والآن... ولذلك يبرز السؤال تظنّ أنك تعيش، لكنك لا تعيش تظن أنك تُحب، لكنك لا تُحب أنت فقط تفكر في الحب، تفكر في الحياة، تفكر في الوجود، وهذا التفكير هو السؤال، هذا التفكير هو الحاجز. ارمِ كل الأفكار وانظر، لن تجد سؤالاً واحداً، ما يوجد هو الجواب فقط !

ومن أجل ذلك أُصرّ دائماً أن البحث الحقيقي ليس عن الجواب، البحث ليس لكي تجد جواباً على سؤالك، بل يجب أن تفكر فقط كيف سترمي الأسئلة، كيف سترى الوجود والحياة بدون تساؤلات الفكر.هذا هو معنى الثقة بالكون ومُبدعه، هذا هو أعمق معنى للثقة والتسليم... أن تنظر للوجود بذهنٍ خالٍ من الأسئلة. أنت تنظر ببساطة، ليس لديك أي فكرة كيف تنظر إليه، لا تفرض عليه شكلاً معيناً، ليس لديك أي حكم مُسبق... تنظر ببساطة وبعيون مجرّدة، مكشوفة لا تغطيها أي أفكار، أي نظريات، أي معتقدات، تنظر للوجود بعيني طفلٍ صغير، وعندها فجأة لا يوجد إلا الجواب.

في الوجود ليس هناك أسئلة. الأسئلة تأتي منك أنت، وسوف تأتي وتأتي... ويمكنك أن تُكدّس الكثير من الأجوبة كما يحلو لك.. لكن تلك الأجوبة لن تساعدك.عليك أن تصل إلى الجواب، ولتصل إليه عليك أن ترمي كل الأسئلة.

عندما يخلو الذهن من الأسئلة ستصبح الرؤية واضحة، وذهنك صافٍ، وأبواب البصيرة ستصبح نظيفة ومفتوحة، وفجأة... يصبح كل شيء شفافاً.تستطيع أن تغوص في العمق حيثما نظرتَ، فنظرتك تخترق إلى المركز، إلى الجوهر... وهناك فجأة ستجد نفسك.ستجد نفسك في كل مكان. تجد نفسك في صخرة إذا نظرت إلى العمق،العمق الكافي عندها المُشاهد يصبح المَشهود، والناظر يصبح المنظور، والعالِم يصبح المعلوم.

إذا نظرت بعمق في صخرة، في شجرة، في رجل وفي امرأة، وتابعت النظر بعمق، تلك النظرة هي حلقة، تبدأ منك، وتمر عبر الآخرين وتعود إليك ثانية. كل شيء شفاف جداً، لا شيء يمنعه. الشعاع يذهب، يشكل حلقة، ويعود ليقع عليك. لذلك أحد أعظم الكلمات في كتب الأناشيد هي: "الحلقة كاملة".

أي أن المتعبّد مع الله واحد، الطالب مع المطلوب واحد، السائل هو نفسه يصبح الجواب.

في الوجود لا يوجد أسئلة، لقد عشتُ فيه زمناً طويلاً حتى الآن ولم أصادف سؤالاً واحداً... ولا حتى تساؤل.

الحياة لها جمالها الخاص، لا شكوك تبرز في الذهن، ولا ظنون تحيط بك،

لا يوجد أي سؤال داخل كيانك فأنت لست مجزأاً، بل كلّي... البداية هي النهاية...

والجمال كُلُّه في البداية، لأنه عندما تبدأ بالتحرك، تكون النهاية "السقوط في المحيط" قد تقرّرت. البداية كانت بين يديك، لقد كانت حرّيتك، لذلك فالجمال يكمُن فيها. السقوط في المحيط سيكون ذا نشوةٍ عظيمة لكنه ليس في يدك، ما كان بين يديك هو

البداية، وأنت استجمعتَ الشجاعة، وقفزتَ من حالة الركود والموت إلى كائنٍ حيٍّ، يعيش، يغني ويرقص. فمن يهتم متى سيأتي المحيط؟ البداية تكفي وأكثر من كافية – لأن السقوط في المحيط أصبح تلقائي الحدوث. لقد بدأت الرحلة فابتهج بها، لا تفكّر بالغد..... اليوم بحدّ ذاته يكفي، إنه هبة ونعمة وبَرَكة.

أنت المحيط – فما الذي ستجنيه من السقوط في المحيط؟

الأمر ببساطة هو أن نُدرك أن الماء في قطرة الندى أو في أكبر محيط، من نفس الطبيعة:

كل قطرة ندى تحتوي محيطاتٍ بداخلها، وكل المحيطات تكوّنت من قطرات الندى.المُرِيد الحقيقي لا ينشغل بالهدف.المُرِيد الحقيقي يهتم بالبداية الصحيحة، وأنت مُباركٌ لأن البداية الصحيحة قد حدثت.متى يصل القارب الى الشاطىء الاخر ،،،، لا وجود للشاطئ الآخر! وليس هنالك إلا شاطئ واحد...فالمسألة لا تتعلق بالوصول الى مكان ما، بقدر ما هي مسألة صحوةٍ، الآن وهنا...يجب على الصحوة أن تكون دائماَ : الآن وهنا.

أما القارب الذي أتحدث عنه فهو في الحقيقة ليس بقارب،إنني اتحدث عن تحوّلك إلى إنسان واعٍ.. أي أن تصبح أنت القارب.....!!عندما ننام نكون في المكان الذي نريده، أو الذي قُدّر لنا ان نكون فيه،

والبشر يحلمون بدخول الجنة، الا أنهم يغطون في نوم عميق، وهذا ما يمنعهم من دخولها، ومع الوقت تصبح تلك الاحلام هي الحقيقة بالنسبة لهم، أما الحقيقة الصافية تتلاشى وتتحول الى كذبة....

لستَ بحاجة إلى الذهاب إلى أي مكان...فالتأمل ليس رحلة في الفضاء ولا رحلة في الزمن بل هو وعي لحظيّ..........اذا استطعتَ ان تكون صامتا الآن.. فهذا هو الشاطئ الآخر،، اذا استطعتَ أن تُلزم عقلك بالتوقّف وعدم العمل.. فهذا هو الشاطئ الآخرإلا أن العقل ذكي جداً ومخادع كبيرفهو يحرّف كل التعاليم العظيمة، ويقفز فوق الكلمات ويمسك بها ثم يبدأ باعطاء معانٍ جديدة لها، ليست في الواقع معانيها الحقيقية...نعم ... لقد تحدثتُ مرة عن الشاطئ الآخر، وربما قام عقلك بالتقاط الكلمات..الشاطئ الآخر.... إلا أنك أسأتَ الفهم....كن واعياَ، وهذا الشاطئ أي الوعي سيصبح الشاطئ الآخروهذه اللحظة ستصبح الحياة الأبدية

وهذا المكان سيصبح الجنّة،،،، تذكّر... الوعي ليس بحاجة إلى وقت، ليس بحاجة حتى إلى جزء من الثانية لكي يحدث... إنه يتحقق برغبة جامحة تظهر بداخلك...نوعيّة شديدة من الرغبة التي تحولك إلى نار مُحرقة لتحترق معها...ومن خلال تلك النار فإن القديم فيك سيذهب والجديد سيصل..... على الرغم من أن القديم لم يكن موجوداَ اصلاَ في داخلك، بل أنت فقط اعتقدتَ

بوجوده!!!... والجديد كان في داخلك منذ الأزل...، إلا أنك نسيتَ ذلك.....لا وجود لحقيقتان في هذا العالم... إنها حقيقة واحدة موحَّدة....فلا تفرّ من نفسك، لا تذهب إلى كهوف الهملايا ولا إلى أي مكان آخر، لأنه عليك ان تصبح واعياَ في مكانك بالضبط......وفي الحقيقة، من الأسهل أن تصبح واعياً هنا أكثر من ذهابك إلى الهملايا!

لانك اذا كنتَ تعاني في نومك ...ولا وعيك، من كابوس ما... فالصحوة ستكون أسهل، أما إذا كنتَ تحلم بأحلام جميلة فالصحوة ستكون أصعب بكثير،،،كالذي يحلم بأنه مع مَن يحبّ، فيكون إيقاظه صعباً، حتى أنك قد تتحول في نظره إلى عدو.......!!!أما إذا كنتَ مطارداً من قِبل نمر مخيف يريد افتراسك، وكلما اقتربَ منك شعرتَ به خلفك... عندها ستكون في منتهى التسامح والشكر لِمَن يقوم بإيقاظك!
في كهوف الهملايا ستحلم بأحلام جميلة... وهذا ما يفعله النساك في الصوامع... يحلمون بالله، والملائكة والجنة، والسلام الأبدي... بينما يتعذب ويعاني البشر في العالم من الكوابيس المزعجة....كوابيس المال والبورصات...كوابيس قوة السياسة و الأعمال...لذا من الأسهل أن تصبح واعياَ هنا في مثل هذا المحيط من الناس...لأنك إنْ لم تستطع أن تصبح واعياَ هنا، فلن تصبح واعياَ في ايّ مكان آخر.لكن تذكّر..... ودعني أكررها: لا وجود إلا لحقيقة واحدة.لكن بإمكاننا رؤية تلك الحقيقة بوجهين مختلفين:
الوجه الأول: بعينين نائمتين حالمتين، بعينين مليئتين بالغبار...... وعندئذٍ كل ما ستراه سيكون مشوهاَ.

والوجه الثاني: الحقيقة نفسها يمكننا رؤيتها بعيون يقظة، وبصيرة مفتوحة....وعند ئذٍ مهما رأيت سيكون حقيقة...والحقيقة تُحرّر....من أسماء الله الحسنى...ظاهرياً قد نرى القسوة في الحياة، لكننا لا نرى اللطف بأعيننا الحسية. عندما يبحث بعض الناس عن الله يقولون : نريد أن نراه... قد تشعر باللطف في قلبك، ولكنك لا تستطيع أن تراه. بعينيك ترى القسوة والقوة، لكن، لترى اللطف، عليك أن تغلقهما. الله فيك، في داخلك، ولترى الله عليك أن تكون خارجه.. لكنك فيه وداخله..!لن تراه وتُدركه حتى تتحد معه.. عندما تصبح أنت الله والله أنت... وما يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها..."

لكي تصل إلى حقيقة الأشياء، أول ما يخطر ببالك: المعرفة.. أن تعرف عنها، وعن حقيقتها... أن تعرف عنها مادياً.. بالعلم والمعلومات....فالزهرة مثلاً...لو نظرتَ إليها بعين العلم المادي.. حلّلتَ كيميائيتها، وعرفتَ مكوناتها...اسأل نفسك.. هل عرفتها بعد؟ألم يفتك شيء ما لأنك لم ترى جمالها؟؟؟لنسأل العالِم.. أين يكمُن الجمال في الزهرة؟ ليس فيها جمال.. أنتم تتخيّلون ذلك.. هذا من خيالكم.لقد فتّتها وحللتها قطعة قطعة، و هاكم ما وجدتُ:هذه الجزيئات هي التي تشكل الزهرة، الذرات، فيها دقائق و

شحنات.. و لكن لا جمال فيها مطلقاً...من منّا لا يرى الزهرة جميلة؟ حتى عالِمنا العظيم، في لحظة شاعرية، سيهدي زوجته زهرة! لن يهديها مواداً كيميائية مرصوفة بشكل زهرة! سيهديها جمالاً كامناً في الزهرة.ولكن عندما يأخذ دور العالم يبدأ بالإنكار....لأن الجمال لا يُرى بالعين المجردة.. ولا يساعدك المجهر على تقصّيه.. بل قلبك العاشق يا إنسان! الشاعر يجلس قرب الزهرة، يغلق عينيه، ويراها في داخله، ثم يصبح هو الزهرة ذاتها...وهكذا يعرف ما هي الزهرة..هذا هو الحب والعشق....عندما ترى امرأة، تراها من الخارج، ترى الطول والعرض، قد تسألها عن بلدها واسمها.. ولكنك لم تعرفها بعد.....أما عندما تقع في حب هذه المرأة، ستعرفها... ستعرف روحها، جمالها.. عندما تحبها، لم يبق أي شيء اسمه "أنت"، أو "هي".. بل وجودكما المشترك...الله هو اللطيف.. فلا تبحث عنه بفظاظة!بل حاول بطرق جديدة.. بطرق غير مباشرة لكي ترى الله كجمالٍ وحب مقدّس...لا تكُن مفكّراً وشكّاكاً.. بل كن شاعراً و حساساً..وبدلاً من تشريح الأشياء، اتّحد معها لكي تفهمها...عندها سترى الله.. لن تراه بإرادتك، ولن تراه كشخص ماثلٍ أمامك.. بل ستُدرك أنه أنت.. وأنت هو،،،، وروحك جزء من نوره الطاهر....لن تراه محيطاً بك فحسب، بل في قلبك وكل كيانك.. وأنت تحيط به وهو يحيط بك...فوق المكان وفوق الزمان... وفوق إدراكنا المادي الضيق....وستصل إلى قول الحلاج: "أنا الحقّ"...........

هذه الأنا الكونية التي عبّرَت عن موت الأنا الصغرى واتحادها مع الخالق.

كل ما هو جميل في هذا الوجود هو الله.. كل ما فيه بهاءٌ وعظمةٌ هو الله...أينما رأيتَ الجمال، فهو مقدّس.. أينما رأيتَه، انحني واسجد تقديساً له.. فهذا من الله... و "الله جميلٌ ويحبّ الجمال..."لجمال ليس حِكراً على شيء دون آخر.. قد تراه في وجه إنسان، في زهرة، في نجمة... أينما وجدته، وأحسستَ بروعته، بالعظمة الكامنة فيه... قِف قليلاً.... خُذ من وقتك لتتأمّل عليه..

وسيُفاجئك...كلما ازددتَ إدراكاً للجمال، ستزداد قُرباً من الله.... وسترى البهاء في كل مكان.. سترى عظمة الخالق في كل شيء...وفي الحقيقة هذه العظمة موجودة في كل شيء ومكان، حتى في الصخر الجامد تكمن العظمة.. وهي تنتظرك لكي تكتشفها...عيناك التي تشعّان بالحب سترى الحجر جميلاً.. وستكتشف جماله الباطني....عندما تبحث عن الجلال و العظمة في الأشياء، ستراها في كل مكان، وسيختفي القبح من حياتك تدريجياً....في الحقيقة، ليس هناك أي شيء بشع.. لأن الله، الجمال الصافي، هو الذي خلق كل شيء.. خلقه على صورته، على جماله... أما القبح فهو فهمنا الخاطئ.. القبح هو سوء فهمنا للأشياء ونظرتنا السطحية إليها. عندما تبحث عن (ذي الجلال) ستراه في كل مكان، ستراه في البرق، وستسمعه مع الرعد، ستحس به يغسلك بالمطر....تسمعه في الصمت والصوت...وسترى الأمور على حقيقتها لأول مرة:

لا إله إلا الله...........المعبد والمسجد في قلبك.. وأنت في هذا الكون... في المعبد الأكبر... تسجد في كل لحظة لذي الجلال و الإكرام....

المدخل

إن تحرر الإنسان لم يحدث بعد. لا أتحدث عن النساء فقط، بل وعن الرجال أيضاً، فهم كذلك بحاجة إلى حركة تحررية عظيمة - للتحرر من الماضي، من عبودية التعامل السلبي مع الحياة والشروط الاجتماعية، التي زُرعت من قبل جميع الأديان على امتداد آلاف السنين.

لقد صار رجال الدين ورجال السياسة سبباً للانقسام اللامعقول للإنسان. لقد خلقوا الإنسان، الذي يعاني معاناة دائمة من الشعور بالذنب، الإنسان الغريب عن نفسه، والذي يعيش أزمة داخلية مستمرة في جميع مجالات الحياة، أزمة بين الجسد والنفس، بين المادة والروح، وبين المادية والمثالية، وبين العِلم والدين، وبين الرجل والمرأة، وبين الغرب والشرق...

يمكن أن نعيش الحياة بطريقتين: إما كالرجال الآليين، مكرسين أنفسنا بالكامل للعِلم، أو التقنية، أو الرياضيات، أو الاقتصاد، وإما أن ننظر إلى الحياة على أنها قصيدة شِعر، مسلمين أنفسنا للفن، والموسيقى، والجمال، والمحبة. كل إنسان ومنذ طفولته يجري إعداده للعيش في روح التنافس، حيث ينظمُّ إلى سباق عظيم وراء المال، والنجاح، والشهرة، والسلطة، والاحترام والمكانة الاجتماعية. فمنذ أن كان طفلاً صغيراً كان يتعلم تحقيق أهداف أهله ومعلميه، ورجال الدين ورجال السياسة، أي جميع أولياء الأمور وأصحاب السلطة، دون أن يطرح عليهم أي أسئلة. بهذه

الطريقة ينفصل الإنسان عن طبيعته الذاتية، ووجوده الحقيقي، فيفقد براءة الطفولة، والقدرة على الشعور بالفرح بلا سبب، والقدرة على الإبداع الحي. إنهم يحرمونه من مقدرته الخلاّقة الفطرية، وقدرته على المحبة، والضحك، والاستمتاع بالحياة... المجتمع يقتل جسده ومشاعره، محولاً إياه إلى كائن عديم الإحساس. فيفقد الإنسان الرحمة والرأفة التي فطر عليهما، كما يفقد المحبة والحدس، متحولاً إلى رجل آلي هادف وفعال وعديم الإحساس.

يُعلِّم المجتمعُ الرجلَ أن يكون "قوياً"، الأمر الذي يفترض قمع الصفات الأنثوية الفطرية لديه، مثل اللين ورهافة الحس والمحبة والرأفة. لدى كل رجل بداية أنثوية - مكونه الأنثوي المُدرَك جزئياً أو غير المُدرَك، وكان الرجل على امتداد قرون يحاول إدانة هذا المكون في نفسه وقمعه.

يشير أوشو إلى إمكانية عيش الحياة بطريقة ثالثة - طريقة التأمل. قبل كل شيء من الضروري الاعتراف بأهمية التأمل والإدراك، لتحويل الرجل إلى شخص ناضج. إن التأمل هو عامل محفز، يُشغل حركة وسرعة سير عملية النمو الداخلي. التأمل يخلق الانسجام، ويوازن بين البدايتين الذكرية والأنثوية. إنه يُعلِّمنا الاستمتاع بالحياة في تنوعها الهائل، في علاقة منسجمة بين الجسد والعقل والنفس، والعالمين المادي والروحاني، والعالمين الخارجي والداخلي.

يعيش الرجل اليوم أزمة عميقة. وبسبب اقتراب الكارثة العالمية الشاملة لكوكبنا، على عتبة الألفية الثالثة، يظهر سؤال: "آدم، ماذا علينا أن نفعل؟" فحدود التطور قد بُلغت منذ زمن بعيد، والإيمان بالتطور العلمي والاجتماعي اللانهائيين قد اهتز من أساسه. وجميع الثورات الخارجية فشلت. وجاء وقت الثورة الداخلية.

والى أن نبدأ بالتخلص من الحياة الشبيهة بحياة الرجال الآليين ، الحياة التقنية، ومن غياب الإدراك، والى أن يبدأ كل فرد فينا بالعيش وهو يشعر بالمحبة تجاه نفسه، مع إدراك طبيعته الحقيقية واحترامها احتراماً عميقاً، يبدو أن عالمنا لن يكون لديه ولا فرصة واحدة لتجنب الانتحار العالمي الشامل.

يقول أوشو: "لكي يفهم الرجل نفسه، يحتاج إلى نفسية جديدة". ومن الضروري أن ندرك بعمق، بأن "الرجل هو ليس رجل فقط، وأن المرأة هي ليست امرأة فقط، فكل رجل هو رجل وامرأة معاً، وكل امرأة هي امرأة ورجل معاً. حيث يحتوي آدم في داخله على حواء، وتحتوي حواء في داخلها على آدم. ففي الحقيقة لا أحد يعد أدم فقط، أو حواء فقط، جميعنا آدميون حوائيون. وهذا هو الاكتشاف الأعظم، من بين كل ما اكتشفه الإنسان".

وبما أنه جرى إجبار الرجل على رفض وإدانة صفاته الأنثوية الداخلية، فقد صار يقمع بدايته الأنثوية، ووجد ذلك انعكاساً في التمييز ضد المرأة في العالم أجمع. والى أن يعثر الرجل في نفسه على امرأته الداخلية الذاتية، لن يستطيع التخلص من البحث الملئ بالمعاناة عن الصفات الأنثوية، والتي تحضر في داخله، في العالم الخارجي، عند امرأة حقيقية. من الضروري أن يعيد بناء بدايته الأنثوية، ليحقق انسجامه الداخلي ويصبح متكاملاً.

"بالنسبة لي الرجل المعاصر هو المتمرد، الباحث عن طبيعته الحقيقية، وعن وجهه الحقيقي. إنه المستعد ليرمي عن نفسه كل الأقنعة، وكل التصنع، والنفاق، وأن يُظهر للعالم، من هو في الحقيقة. وسواءٌ عِنده إن كانوا يحبونه أو يلعنونه، يحترمونه ويقدرونه أو يُعيِّرونه، يقودونه إلى العرش أم إلى الصلب على الصليب. أن تكون نفسك هو بَرَكة عظيمة في الحياة. حتى لو صلبوا شخصاً كهذا على الصليب، فإنه سيشعر برضا

عظيم من أدائه لمهمته. إنه إنسان صادق، وصريح، عرف المحبة والرأفة، إنه الإنسان الذي أدرك أن الناس عميان وغير مدركين، وأنهم في سبات، وأنهم يتواجدون في نوم روحي".

الرجل الجديد يولد من الرقص

رواية مختصرة

إدراك الذات بمساعدة منهج "أزمة الرجولة"

يمثل الكتاب مجموعة من الآراء الثاقبة الفكر والساخرة في غالبيتها حول دور الرجل في المجتمع المعاصر. يكشف أوشو عن الكثير من صفات الرجل من خلال أدوار متنوعة، يضطر الرجل أن يلعبها. ويشرح أوشو منشأ هذه الصفات وتأثيرها على المجتمع. ويبين أوشو، كيف أن الطاقات الموجهة عادة نحو التدمير والتعامل السلبي تجاه الحياة، يمكن تحويلها إلى إبداع ونمو روحي ذاتي، كما يعرفنا على الممارسات التأملية على شكل مساعدة عملية لتسهيل سير عملية التحول.

يتألف الكتاب من إحدى وثلاثين "موضوعاً" أو "صنفاً"، ومجزأ إلى أربعة أقسام، ولكن يستطيع القارئ أن يبدأ بأي قسم أو موضوع يريده دون الالتزام بتسلسل الأصناف.

وصف مختصر لكل صنف

القسم الأول

آدم

- أصبح آدم الإنسان الأول، لأنه أول من قال للرب "لا". وعلى كل إنسان أن يمر عبر هذه التجربة على طريق نموه الذاتي.
- نحن لا نشعر بالرضا الداخلي، لأنه لم يسمح لنا بتجسيد مقدرتنا الذاتية.
- تكمن مشكلة أغلبيتنا في أننا غير راضين عن أنفسنا، لأن المجتمع مهتم بشدة بقمع المحبة الحقيقية عند الإنسان تجاه نفسه منذ المهد.

الضحية

- نحن لا نعرف أنفسنا معرفة حقيقية، لأنه جرى تعليمنا العيش في المستقبل، وأن نناسب نموذج كمال مجرد.
- إن الإنسان الحي الحقيقي يمثل خطراً للوضع السائد للأمور - هنا تكمن أسباب التعامل المضطهد والتفريقي من قبل المجتمع تجاه الفرد، بالإضافة إلى السعي لاستعباده.
- من الضروري الإنصات إلى صوت الحدس النفسي الذاتي.

العبد

- لماذا نخاف من التصرف على طبيعتنا وفتح قلوبنا للآخرين.
- الخروج عن الطاعة - "عقيدة الإنسان المتدين حقاً".

الابن

- "واجب" محبة الوالدين تحولنا إلى منافقين.
- من الضروري أن نخرج من تحت تأثير الوالدين، والتوقف عن موافقة توقعات وآمال الوالدين.

الرجل الآلي
- الإنسان - هو رجل آلي، لأنه يعيش حياة روتينية، بسبب العادة.
- النوم النفسي يسبب لنا الألم ومعاناة شديدة.
- المنهج التأملي يجعل الإنسان أكثر عفوية وإدراكاً.

المُتَهَوِّس الجنسي
- تسمو الطاقة الجنسية فقط عندما يتم تقبل الجنس تقبلاً كاملاً، والغوص فيه.
- حرمَ الرجل المرأة من إمكانية أن تعيش هزة الجماع.
- توجد الخلاعة بسبب حضور القمع الديني.
- لماذا يتصرف الرجال مع نسائهم كالغوريلات.
- الفرق بين الجنس العادي والجنس التانتريتي.

الراهب
- الديانات الرسمية تقف ضد الحياة الدنيا.
- المؤامرة السرية بين المغرضين من رجال الدين ورجال السياسة: خلق جو من الخوف، واستعباد الناس.
- الإيدز: هو المساهمة الوحيدة لخدَمَة الدين.

الجنوسي
- مرحلة من مراحل التطور.

"مشتهي المماثل"
- مظهر لإرادة كل إنسان، كذلك هو شذوذ وحاجز على طريق التطور الروحي.

زوربا
- الإنسان بحاجة إلى جنون بسيط.
- التركيب الضروري، وحدة زوربا وبوذا.

القسم الثاني

حواء
- يجب على الرجل أن يتقبل المرأة في داخله.
- تقنية التأمل لتوحيد البدايتين الذكرية والأنثوية.
- لماذا يدين الرجال النساء: السبب الرئيسي.

الفحل
- ماذا يعني "الأنا الذكري"؟

"المتباهي برجولته"
- لماذا ينمو الشعر على صدر الرجل.
- القسوة في التعامل مع النساء: الخوف والمحبة التي لم تُختَبَر.

المتعطش للاهتمام
- التوق للتواجد في مركز الاهتمام.
- كيف نتخلص من الميل الداخلي لجذب أنظار الجميع.

الغني
- الواقع في حب ثلاث نساء في آن واحد.

المنغمس في الملذات
- الحب ليس إلا مدرسة، والتأمل ختام هذه المدرسة.

الحبيب
- عندما تجدك فتاتك مملاً.

الزوج
- الجحيم أو النعيم - ثمرتا خيالك.
- كيف ننعش العلاقة الزوجية.
- كيف تسعد زوجتك.

الأب
- جزء من المُلكِية.
- الأسرة: سبب جميع الأمراض.

الصديق
كيف نحل المُعضِلة (البرهان المنطقي ذو الحدين): مع المرأة جحيم، وبدون المرأة جحيم.

القسم الثالث

السياسي
- السياسة كطريقة للهروب من المشكلات الشخصية.
- ثلاث قواعد للإبادة.

القسيس
- الإنسان لا يحتاج لوسيط بينه وبين الرب.

العالِم
- كيف تخدم الحياة، وليس الموت.

رجل الأعمال
- السعي وراء الثروة لا يجب أن يصبح مغزى للحياة.

الأمريكي
- عبادة عشق الجسد.
- العقل الأمريكي.
- ولت وتمن: عبقري أمريكا الوحيد.
- السبب الحقيقي للنزاع العنصري العِرقي.

بوذا
- الخطوة الأولى: الاعتراف بالنوم النفسي الذاتي.
- تقنية تطوير الإدراك الذاتي.
- مواصفات الإنسان الواعي.

القسم الرابع

الإنسان الجديد
- بماذا يختلف عن الإنسان الكامل.

المتأمِّل
- التأمل: عِلمٌ، وفن، وحرفة.
- علامات تحقيق التقدم في ممارسة التأمل.

المحارب
- أين يكمن الفرق بين المحارب والجندي، وبين المحارب ورجل الأعمال.

المُغامِر
- ماذا يعني "العيش مع المخاطرة".

المبدع "الخلّاق"
- الإبداع كتعبير عن الرفض.

العجوز
- أين الفرق بين الهَرَم والرُشد.
- ظاهرة "العجوز القذر".

الحِرَفي
توضيح المصطلح للمادي الغربي الضيق التفكير.

بوذا زوربا
- التمرد - هو ليس مخالفة لآراء الغير.
- العلاقات المتبادلة بين المتمرد الحقيقي والمتمرد المنسجم، أو الإنسان "الجديد".

القسم الأول

آدم

صار آدم الإنسان الأول، ليس لأنه كان فعلاً الإنسان الأول، فمن المحتمل أنه سبقه كثيرون، بل لأن قبل آدم لم يتجرأ أحد على أن يقول للرب "لا". لهذا السبب لا يعرف التاريخ أسماء سابقيه: فلم يكن لديهم (أنا). ويمكنني أن أقول بثقة، إن آدم لم يكن الإنسان الأول. فقبله كان يمكن أن يعيش الملايين، ولكن لا أحد غيره تجرأ وقال للرب "لا". لم يستطيعوا أن يصبحوا أناساً حقيقيين، ولم يستطيعوا أن يُحبُّوا أنفسهم.

آدم قال "لا". ولكن ثمن ذلك كان عالياً جداً: لقد نفي من بستان النعيم. آدم رجل، وكل رجل يشبه آدم في شيء ما. ففي سنوات الطفولة كل فرد منا يعيش في جنة عدن. كل طفل يفرح للحياة بلا سبب، كالحيوانات، وكجميع الكائنات البدائية، وكالأشجار. هل راقبت طفلاً، يركض بين الأشجار، على الشاطئ؟ فهو لم يصبح إنساناً كاملاً بعد، ما زالت عيناه صافيتان، وغير مدركتين. ولكنه سيضطر يوماً لمغادرة بستان الجنة.

ويتلخص سبب طرد آدم من جنة عدن في التالي: لقد توقف عن كونه جزءاً من النعيم غير المدرك. فعندما تذوق ثمرة شجرة

الإدراك، أدرك نفسه. وأدرك أنه رجل. علماً أن آدم لم يصبح المنفي الوحيد - فكل آدم جديد سيتم طرده من الجنة. وسيكون على كل طفل أن يغادر بستان الرب، فذلك جزء من تطوره. هذا النمو يسبب الألم. إذ من الضروري مغادرة هذا البستان، للعودة إليه مجدداً فيما بعد، حيث تكون العودة مدركَة. إنه حِمل ثقيل، وقدر الرجل، ومعاناته وحريته، ومشكلته وروعته.

لماذا أشعر دائماً بعدم الرضا عن نفسي وعما خبأه لي القدر؟ إنني دائماً أشعر برغبة في القيام بشيء أكثر أهمية، وأريد أن أكون شخصاً آخر، ويبدو لي دائماً، أن الآخرين حصلوا على نصيب أوفر من الحظ. فكما يقول المثل: "عند جاري العشب أكثر اخضراراً". فلماذا يحدث ذلك؟

يحدث ذلك لأن إدراكك أصابه الإبهام. فأنت تريد أن تكون شخصاً بمواصفات تخالف ما كتبه لك القدر. فأنت لا تسعى لاستكشاف وتنمية مقدراتك الذاتية. أنت تسعى لتكون الشخص الذي يريد الآخرون رؤيته، وهذا الأمر لا يمكن أن يجلب الرضا. وإذا غاب الرضا، فإن المنطق يشير على الإنسان بمخرج من هذا الوضع: "لم تجتهد بما يكفي، عليك ببذل مجهود أكبر". فتدخل في صراع متسلحاً بطاقة أعظم لتحصل على شيء أكثر تقديراً. كل إنسان يختبئ خلف قناع السعادة، ليخدع بذلك الآخرين. أنت أيضاً ترتدي قناعاً كهذا، فيظن الآخرون أنك أكثر سعادة منهم. وأنت يبدو لك بأن الآخرين أكثر سعادة منك.

خلف السياج يبدو العشب أكثر اخضراراً، والأمر يبدو على هذا النحو على جانبي السياج: فجارك الذي يعيش خلف السياج، يرى أن العشب لديك أكثر اخضراراً. والعشب فعلاً يبدو أكثر اخضراراً، ونضارة وجمالاً. هذا الوهم يخلقه البعد. لأنك كلما اقتربت أكثر سترى أن الأمر ليس كذلك. لكن الناس يحافظون على مسافة بينهم وبين الآخرين. وحتى الأصدقاء، والعشاق يبقون بعضهم بعضاً على مسافة معينة، لأن القرب خطر: حيث يمكن أن ينكشف الجوهر الحقيقي للإنسان.

لقد اخترتَ منذ البداية درباً كاذباً، ولهذا مهما فعلت، كل شيء سيجلب لك المعاناة. فالطبيعة لا تعترف بالمال، وإلا كانت الدولارات ستنمو على الأشجار. إن المال من اختراع الإنسان بالكامل. إنه اختراع مفيد، ولكنه خطير كذلك. فأنت ترى غنياً وتظن أن المال يجلب له السعادة: "انظروا إلى هذا الشخص، إنه يبدو خالياً من الهموم"، ويبدأ سعي محموم وراء المال. أحدهم يبدو أكثر صحة، ويبدأ سباق وراء الصحة. وآخر يمارس نشاطاً ما ويبدو راضياً تماماً، فيستنتج الآخرون بأن عليهم القيام بالنشاط نفسه.

نحن دائماً ننظر إلى الآخرين، فالمجتمع سعى لجعل الإنسان لا يفكر أبداً بتطوير قدراته الذاتية. والمصيبة تكمن في أنه لا يريد أن يكون على طبيعته. في حين أنه يجب على العكس، السعي لتكوين الذات، وعندها لن يكون هناك معاناة، ولا غيرة، ولا قلق بخصوص أن الآخرين منحوا الكثير ولم تحصل أنت إلا على القليل.

فإذا كنت تريد أن يكون عشبك أكثر اخضراراً، لا تنظر وراء سياجك، إذ يمكنك أن تجعل العشب أكثر اخضراراً على أرضك. فالأمر بسيط للغاية، أن تجعل العشب أكثر اخضراراً. ولكنك تبقى تتلفت من حولك بحسد: كل الرياض تبدو رائعة، إلا روضتي.

من الضروري أن يقوم الإنسان بتطوير مقدراته الذاتية، مهما كانت. ولا يحق لأحد أن يتدخل ويفرض رأيه. يجب تقديم المساعدة للإنسان ليكتشف نفسه، مهما كان النشاط الذي يمارسه، ومهما كان العمل الذي يريد احترافه. ويصعب التصديق كم سيزيد ذلك من السعادة والفرح في العالم.

منذ طفولتي لم يخب أملي فيا، قبل كل شيء لأنني لم أستمع أبداً لنصائح الغير، بخصوص ما علي فعله أو ماذا يجب أن أصبح. وهذا الأمر ساعدني كثيراً. لم يكن الأمر سهلاً، ، وكانت الصعوبات تتزايد، وبدا وكأن العالم كله قام ضدي، ولكن ذلك لم يقلقني، فقد كنت راضياً تماماً وسعيداً، ولا أستطيع حتى أن أتصور أنني كنت سأتصرف بطريقة مغايرة. في تلك الحالة كنت سأصبح شخصاً حقيراً لا أكثر...

العالم يقوم ضد الفردية. وهو ضد طبيعة الإنسان نفسها. والمجتمع بحاجة لرجل آلي حي، وبما أن الإنسان وافق على أن يصبح الآلي الحي، فقد وقع في مصيبة. ولكن تذكر: الإنسان ليس رجلاً آلياً. فالطبيعة لم تخطط لخلقه كآلي. وبسبب عدم كونه الكائن الذي خطط له أن يكون، والذي قُدِّرَ له أن يكون، فهو يطرح باستمرار السؤال ذاته: "ماذا ينقصني؟ ربما ينقصني أثاث أكثر جودة، أو ربما ستائر، أو بيت كبير، أو زوجة أخرى، أو عمل... "فيتقلب طوال حياته من مكان لآخر: فالمجتمع نجح في فرض آرائه عليه منذ البداية.

إنني أحاول أن أعيدك إلى نفسك، لتكتشف بنفسك اكتشافاً مفاجئاً، وهو أن عدم رضاك بنفسك قد تبخر كلياً. لا يجب أن تكون نسخة أخرى يرغب بها الجميع، يكفي أن تكون كما أنت على طبيعتك. وهذا الأمر يخص كل فرد منا.

لماذا يصعب علي صعوبة شديدة أن أحب نفسي؟

كل طفل يولد بمحبة لا متناهية تجاه نفسه. ولكن المجتمع يدمر هذه المحبة، والدين يدمر هذه المحبة، على اعتبار أنه مظهر للأنانية، وأن عليه تعلم محبة الآخرين ليكون فرداً صالحاً.

يحاول المجتمع أن يوحي له، بأن محبته يجب أن توجه دائماً إلى عالمه الخارجي. وهذا الأمر يجعله بائساً، إذ أنه إذا كنت لا تحب نفسك، بل تحب أحداً آخر، سواء كان الرب أو بابا روما أو أبوك أو أمك أو زوجتك (زوجك) أو أولادك، أي تحب موضوعاً جانبياً، فإنك تصبح تابعاً له. فتصبح نظرتك إلى نفسك أنك إنسان من الدرجة الثانية، فتصبح معدَماً.

الإنسان يولد إمبراطوراً، شديد الإعجاب بنفسه. ولكن أباه يريده أن يحبه، وأمه تريد أن يحبها. وكل شخص من حوله يسعى ليستحوذ على محبته. ولا أحد تهمه حقيقة أن الإنسان الذي لا يحب نفسه، يعجز عن محبة شخص آخر. نحن نعيش في مجتمع مجنون، كل فرد فيه يريد أن يحب شخصاً آخر، ولكنه يعجز عن منح المحبة. لماذا يتشاجر العاشقان باستمرار، ويشعران بالضجر ويؤذيان بعضهما بعضاً؟ يكمن السبب في أنهما يعجزان عن الحصول على ما يرضي توقعاتهما. فكلاهما معدمان وفارغان.

إن الطفل الذي جرت تربيته تربية صحيحة يعيش في جو من المحبة تجاه نفسه. بحيث تملؤه المحبة لدرجة أنه تظهر لديه الحاجة للتقاسم بها مع شخص آخر. محبة من هذا النوع لن تقود أبداً إلى التبعية لشخص آخر. أنت المانح، والشخص الذي يتقاسم بشيء مع الآخرين لا يمكن أن يكون معدماً. وعندما يلتقي إمبراطوران، آمِران على قلبيهما، يولد فرح لا حدود له. فلا أحد يتبع للآخر، كل واحد منهما مستقل وله

فرديته وشخصيته، كل منهما يحب ويحترم نفسه. تذهب جذور هذه المسألة عميقاً إلى جوهر الإنسان، إلى حيث يصعد السلسبيل المدعو بالمحبة إلى السطح وتزهر آلاف الأزهار.

نمط كهذا من الناس كان يستحيل أن يظهر حتى وقتنا الحاضر بسبب القديسين وممثلي الرب الجديدين والكثرة من المعاتيه. لقد قمعوا الإنسان من أجل شهرتهم الشخصية، وأناهم الشخصي. لقد دمروا الإنسان تماماً.

يمكنك أن ترى بنفسك منطق ما حدث. فإما أن يصبح القديس والمنقذ موضوعاً لمحبتهم، وأنت يترك لك دور الظل، الذي يتبع سيده تبعية عمياء، أو أنك ستجد انسجامك الداخلي، وتمتلئ بالمحبة وتزهر بآلاف الأزهار. فمن سيقلق عندها بخصوص إنقاذه؟ فقد أنقذت نفسك. من سيحتاج عندها إلى الجنة؟ أنت تعيش في الجنة.

لن يعود أحد بحاجة إلى قسيس، إذا تعلمت محبة نفسك، والسياسي لن يبقى لديه أتباع. وجميع المهتمين باستعبادك سيفلسون. جميعهم يريدون أن تقع في تبعية نفسية لهم.

إن تعلم محبة الذات ليس صعباً، فذلك أمر طبيعي. فإذا نجحت في تحقيق الأمر غير الطبيعي، أي إذا تعلمت محبة الآخرين وليس نفسك، فإن تعلم محبة الذات أمر أسهل بكثير. فأنت حتى الآن حققت شبه المستحيل. وتذكر، المسألة بكاملها تتلخص بالفهم البسيط لمسألة "إنني إذا لم أحب نفسي فلن أفهم مغزى الحياة. ولن أكبر أبداً، إنني سأهرم فحسب. ولن أصبح شخصية. لن أستطيع أن أصبح إنساناً حقيقياً، نبيلاً وأصيلاً ومنسجماً".

والأكثر من ذلك، فبدون محبتك لنفسك لن تستطيع أبداً أن تحب الآخر. كثير من المشكلات النفسية تجد جذورها في حقيقة أنك تخليت

عن نفسك، فأنت تعتبر نفسك شيئاً "عديم القيمة والأهمية"، وأنك لست الشخص الذي كان يجب أن تكون إياه، ويبدو لك أنك تفعل كل شيء بصورة خاطئة. وتعتبر أنه من الضروري عليك أن تقوم ببناء شخصيتك.

توجد في اليابان أشجار، تبلغ من العمر 400 عاماً، ولكن ارتفاعها لا يتجاوز 15 سم. اليابانيون يسمون ذلك فناً. أي فن هذا؟ إنه قتل، قتل بحت! فالشجرة تبدو معمرة، ولكن ارتفاعها 15 سم فقط. في حين يجب أن يكون ارتفاع شجرة كهذه على الأقل 30 متراً، ويجب أن تسعى إلى النجوم. فماذا فعل اليابانيون؟ وما هي الحيلة التي استخدموها؟ إنها الحيلة نفسها المستخدمة ضد الإنسانية. إنهم يزرعون الشجرة في أصيص بلا قاع. فتبدأ جذور الشجرة بالنمو، ويجري قص هذه الجذور، فالأصيص لا قاع له. ويجري قص الجذور بصورة دورية، والشجرة لا يمكنها النمو طولياً بدون جذور طويلة. فتهرم ولا تنمو. الأمر نفسه يحدث مع الناس. فمحبة الذات تعد شرطاً ضرورياً للنمو. ولهذا أعلمك محبة ذاتك، فهذا الأمر طبيعي تماماً.

جميع الديانات تعلِّم الغيرية "محبة الغير": حيث يتوجب على الإنسان أن يضحي بنفسه من أجل فكرة مجنونة أو راية، قطعة عفنة من القماش. إنه يضحي بنفسه من أجل الوطن، الذي هو ليس إلا خيالاً، لأن الأرض لا تقسَّمُ إلى أوطان. فالسياسيون الماكرون قسموا الأرض على الخارطة. والإنسان يضحي بنفسه من أجل كتابات على الخارطة. ويموت في سبيل الدين. كل شيء مدبَّر بدقة، بحيث يُضيِّعُ الإنسان. فإذا مات في سبيل الوطن، سيسمونه شهيداً. في حين أنه في الواقع ينتحر، ويكون السبب جهالة. وإذا مات في سبيل الدين، فإنه يذهب إلى الجنة، إلى النعيم الخالد. الجميع يتحكم به. هذا المدخل تخطه بالخط الأحمر فكرة عدم محبة الذات، وكراهية الذات، والاعتراف بحقارة الذات.

يمتلئ الإنسان كراهية تجاه نفسه. وتظن أنك إذا كرهت نفسك، ستجد في يوم ما شخصاً يحبك؟ إذا كنت غير مستعد لتحب نفسك، فكيف يمكنك إيجاد من سيحبك؟ لقد صدَّقت أنك يمكن أن تصبح جديراً فقط من خلال إتباعك لقواعد محددة، ولعقائد دينية جامدة، ولإيديولوجيات سياسية.

تذكر: الإنسان لا يولد مسيحياً أو كاثوليكياً أو شيوعياً. كل إنسان يأتي إلى هذا العالم كلوح فارغ (تابولا راسا). لم يكتب عليه شيء: ليس على هذا اللوح كتابات من الإنجيل ولا من القرآن ولا من الهيتا ولا من رأس المال. ليس على هذا اللوح شيء.

الطفل لا يحمل معه الكتاب المقدس، فهو يولد نقياً تماماً. ولكن براءته تصبح مأساته الكبرى، لأنه يحوم من حوله الذئاب في أقنعة السياسيين، ورجال الدين، والأهل، والمعلمين. جميعهم ينقضون على هذه البراءة. كل واحد يسرع ليسجل شيئاً على هذا اللوح، ومن ثم يعتبر الإنسان أن ذلك موروثه. في حين أنهم في الحقيقة دمروا إرثه. الآن باتوا قادرين على استعباده، وإجباره على تنفيذ أي رغبة من رغباتهم. بمقدورهم أن يأمروه بقتل الأبرياء...

توجد مافيا دينية، وتوجد مافيا سياسية، ولكن كلتاهما تستغلان كل فرد منا. يمكنهما أن تعاديا بعضهما بعضاً، ولكن هناك أمر واحد تتفقان فيه: لا يجوز السماح للإنسان بمحبة نفسه. إنهما تقطعان ارتباط الإنسان بجوهره، محولتين إياه إلى كائن ضعيف غير محمي، وكأنما صنع من المعجون، ومن المعجون يمكنك أن تعجن أي شيء.

سكان هذا البلد (المدعو بالولايات المتحدة) كانوا يقتلون الفيتناميين المساكين الأبرياء. ما الذي نسيه الأمريكيون في فيتنام؟ فالخسائر كانت من الطرفين. كانت الحكومة ترسل إلى هناك المراهقين،

الذين لم يعرفوا بعد طعم الحياة، لكي يقتُلوا ويُقتَلوا في سبيل الديمقراطية، في سبيل أمريكا. ولكن لماذا يجب أن نموت في سبيل شيء ما؟ المسلمون والمسيحيون كانوا يتحاربون ويقتلون بعضهم بعضاً من أجل الرب. كلا الطرفين كانا يتحاربان ويقتلان في سبيل رب واحد. لكم عجيب عالمنا الذي صنعناه!

ومع هذا فإن الإستراتيجية بسيطة للغاية: إنها قتل المحبة الطبيعية عند الإنسان تجاه نفسه. عندها سيكون في نظر نفسه ذليلاً، لدرجة أنه يصبح مستعداً ليفعل أي شيء في سبيل الحصول على ميدالية حربية، لكي يشعر بأنه يستحق الاعتبار ولو قليلاً، وليشعر بأنه ليس مكاناً فارغاً. انظر، كم خطاً ملوناً على ملابس جنرالاتكم؟ ما هذه الحماقة؟ إن عدد الخطوط الملونة يتزايد بمقدار استمرار الجنرال بالقتل، وإهلاك نفسه.

كل إنسان يستطيع أن يمتلك على قميصه الخطوط الملونة نفسها. ولا أظن أنه هناك قوانين تمنع ذلك، ولكن الأمر يبدو حماقة كبيرة. ألا يبدو كل هؤلاء الجنرالات حمقى؟ إنهم محترمون، إنهم أبطال. ولكن ما الذي فعلوه؟ لقد أفنوا الكثير من مواطنيهم، قتلوا الكثير من مواطني البلدان الأخرى. وهؤلاء القتلة يجري تكريمهم. هل رأيت مجتمعاً يكرِّم فيه العشاق والأحبة؟ لا، فالعشاق تجب إدانتهم. لا وجود لمجتمع على الأرض يسمح باحترام العشاق، فالمحبة لعنة محرمة دينياً بالنسبة للمجتمع. وبالتالي، أقوياء هذا العالم يريدون قبل كل شيء إلهاء الإنسان عن محبته تجاه نفسه، وحتى الآن كانوا ينجحون في ذلك.

مرت ملايين السنين... ولكن الإنسان بقي عبداً مع عقدة نقص كبيرة، إنه يشعر بعدم نفعه لشيء، وهو عاجز عن تنفيذ المطلوب منه. بينما في الحقيقة يطلبون منه تحقيق الأمر غير الطبيعي، ولهذا السبب

يبدو تحقيق ذلك مستحيلاً. وعلى خلفية إذلال الإنسان يتزايد دور المدعوين بالقديسين، الذين يعدون بإنقاذه. ولكنهم عاجزون عن إنقاذ أنفسهم. فهم لم يسمحوا للإنسان بتعلم السباحة يوماً. أما هو فسيغرق بلا شك.

السياسيون يعدون في جميع الأزمنة، زوال الفقر قريباً، ولكن الفقر في تزايد مستمر. إنه لا يقل أبداً، بل يتزايد. في أثيوبيا يموت كل يوم آلاف الناس. وستفاجأ إذا عرفت أنه في أمريكا يعاني نصف مليون شخص من البدانة، وبدانتهم تتزايد باستمرار. في حين أنه في أثيوبيا يعاني الناس ويموتون من الجوع. في أمريكا يموتون من كثرة الأكل، وفي أثيوبيا يموتون من الجوع. فهل يمكننا بعد ذلك أن نقول: إن العالم الذي صنعناه طبيعي؟

قريباً سيصطدم نصف سكان الهند مع مشكلة المجاعة، مثل أثيوبيا، في حين أن حكومة الهند تستمر بتصدير الحبوب. وفي الوقت نفسه شعب هذه الحكومة يباد جماعياً. نصف سكان الهند تعيش على حافة الجوع، وفي كل لحظة يمكن أن تتحول الهند إلى أثيوبيا ضخمة. ولكن القادة السياسيين يستمرون في بيع الحبوب إلى الدول الأخرى، لأنهم بحاجة للمحطات الكهربائية النووية ليكون لديهم الإمكانية للتنافس في سباق الحصول على الطاقة الذرية.

وكل هذا يحدث تحت شعار الغيرية (محبة الغير). أريدك أن تصبح أنانياً مطلقاً. أن تحب نفسك، كن كما أنت. ولا تسمح لأحد أن يُضِلَّكَ - سواء كان من رجال الدين، أو السياسة، أو ممثلي التعليم، أو موظفي الدولة. فقبل كل شيء يجب أن تكون مسؤولاً أمام نفسك، وليس أمام الدين أو الأمة. وافهم أمراً واحداً: إذا أحب كل إنسان نفسه، واعتنى بنفسه، فإن تطوره العقلي سيصل إلى الذروة، وسيمتلئ محبة. إنني

مقتنع بأن فلسفة المحبة تجاه الذات ستجعل الإنسان محباً للغير محبة حقيقية، لأنه سيكون بمقدوره أن يتقاسم بالكثير، ويمنح الكثير. سيتقاسم مع الآخرين بفرح، وسيكون ذلك عيداً بالنسبة له. إن للغيرية وجود فقط عندما يحب الإنسان نفسه.

عندما لا تحب نفسك، تشعر بالضعف، لأنه بدون محبة لا وجود لمورد القوة. واليوم لا أحد يريد تحمل المسؤولية. والأسهل أن تضع المسؤولية على أكتاف الآخرين. الرب هو المسؤول، القدر هو المسؤول، آدم هو المسؤول، حواء هي المسؤولة، الثعبان الذي أغرى حواء على عصيان الرب هو المسؤول.

أليست مثيرة للضحك هذه المحاولات لإلقاء المسؤولية على عاتق شخص آخر؟ على ثعبان ما، منذ ملايين السنين... فيما مضى.. لقد حاولت مرات عديدة وعبثاً أن أتحدث مع الأفاعي والثعابين، ولكنهم لا يعرفون الكلام. فهم في الحقيقة لا يسمعون. لقد اكتشفت أن الأفاعي لا آذان لها، فلم تمنحها الطبيعة عضواً للسمع. وإذا كانت الأفاعي لا تسمع، فكيف يمكنها التكلم؟ وبأي طريقة استطاع الثعبان أن يقنع حواء؟ ومع ذلك يسهل علينا دائماً نقل المسؤولية على أكتاف شخص آخر. فآدم ألقى اللوم على حواء، وحواء ألقت اللوم على الثعبان. والثعبان لو أنه فقط استطاع الكلام لكان ألقى اللوم على الرب. هكذا نستمر بإلقاء مسؤوليتنا على الآخرين، ولا نفهم أن الإنسان لا يصبح شخصية حقيقية حتى يتحمل مسؤولية نفسه. إن التهرب من المسؤولية يدمر الشخصية. وتحمل المسؤولية ممكن فقط بوجود المحبة العظيمة تجاه الذات.

إنني أتقبل تحمل المسؤولية وهذا يشعرني بالفرح. ولم أضع يوماً المسؤولية على عاتق أحد آخر، لأن ذلك يعني خسارة الحرية، والوقوع في العبودية والتبعية للغير. مهما كنت، فأنا الوحيد مسؤول عن ذلك. هنا

تكمن قوتي. إنها التربة التي أقف عليها. ومصدر هذه المسؤولية هو محبتي تجاه نفسي. لقد جرى استغلالي تماماً كما جرى استغلال الآخرين. ولكنني ومنذ البداية حددت لنفسي وبدقة، موقفي، وهو أنني سأرفض حتى لو قاموا بدفعي إلى الجنة دفعاً. في حين أنني بإرادتي الذاتية مستعد لأن أذهب إلى أي مكان حتى وإن كان الجحيم. فعلى الأقل، سأحافظ على استقلاليتي، وأمارس حق الاختيار.

أهلي ومعلميّ والبروفسورات، جميعهم حاولوا التأثير علي. ولكنني قلت: "أمر واحد أعرفه بدقة: لن أقبل بأن أكون عبداً مهما كانت رشوتهم لي. والأجدر أن أقبل عذاب الجحيم، ولكنني سأبقى نفسي. سأحصل على الرضا من قيامي بخياري الشخصي والذي لم يجبرني عليه أحد".

هل يستطيع أسير الجنة أن يشعر بالغبطة؟ ذلك الذي تبع السيد المسيح أو موسى أو بوذا أو كريشنا، لا إنه على الأغلب سيشعر بخيبة الأمل: فما هي هذه الجنة، التي يُطلب فيها الإيمان الأعمى، والتي لا يمكن أن تطرح فيها سؤالاً، ولا يمكنك أن تكون مهتماً بشيء؟ إن جنة كهذه أسوأ من الجحيم. ولكن جرى فصل الإنسان عن مورد الحياة.

أريد أن أعيدك إلى البيت. احترم نفسك. اشعر بالبهجة والفخر لأن الكون بحاجة إليك، وإلا لم تكن لتكون هنا. افرح، لأن الكون لا يستطيع الاستغناء عنك. إنك هنا لأن الكون أعطاك فرصة، أعطاك الحياة، غارساً فيك قيماً هائلة: منها الجمال والنشوة الروحية والحرية.

ولكنك ضحيت بفطرتك! لقد صرت مسيحياً، بوذياً، هندوسياً. في حين أنني أريد، أن تؤمن بشيء واحد: أن تؤمن بالموجود. ولا ضرورة للذهاب إلى الكنيس أو الكنيسة. يكفي أن ترى السماء والنجوم والشروق والغروب والأزهار المتفتحة والطيور المغردة... انظر من حولك: تأمل

الوجود، فهنا توجد البَركة الحقيقية، وليس في الأمثال التي أعدها رجل كنيسة!

من الضروري أن تتعلم الثقة بالنفس، وهذا معناه أن تشعر بالمحبة تجاه نفسك. الثقة بالنفس ومحبة الذات، وأنت تأخذ على عاتقك كامل المسؤولية عن أفكارك وأفعالك. هذا الأمر يمنح إحساساً غير عادي بالوجود، بحيث لن يكون بمقدور أحد بعد ذلك أن يستعبدك.

هل تستطيع رؤية جمال الإنسان، الذي يقف بثبات على قدميه؟ فمهما يحصل، فرح أو مصيبة، ولادة أو موت، فإن الإنسان الذي يحب نفسه ينسجم لدرجة أنه يستمتع بحياته ويستمتع كذلك بمغادرته لهذه الحياة عند مجيء الموت.

المجتمع عاقب سقراط. فالناس الشبيهون بسقراط، لم يكن بمقدورهم تجنب العقاب، لأنهم كانوا أصحاب شخصيات مستقلة ولم يكن بمقدور أحد أن يفرض عليهم إرادته. لقد حكموا على سقراط بالإعدام بشرب السم. كان يستلقي فوق سرير، وإلى جانبه وقف الجلاد وهو يُحضّر الخليط السام، وكانت الشمس تقترب من المغيب، وتقترب ساعة تنفيذ الحكم. حددت المحكمة الوقت الدقيق لتنفيذ الحكم، ولكن الجلاد ولسبب ما كان يبطئ. وفي النهاية لم يتحمل سقراط وقال له: "الوقت ينتهي، والشمس تغيب، لماذا تماطل؟

يبدو لا معقولاً، أن المحكوم بالإعدام يمكن أن يقلق إلى تلك الدرجة، بخصوص تنفيذ حكم إعدامه في الوقت المحدد. بل على العكس، كان يجب أن يكون المسكين شاكراً للتأخير. كان الجلاد يحب سقراط، وقد سمع خطابه في المحكمة وشعر بإعجاب شديد بالمفكر. فسقراط بمفرده كان أعقل من سكان أثينا جميعهم. والمماطلة في تحضير السم كانت ستسمح للفيلسوف بأن يعيش فترة بعد.

ولكن سقراط كان يعجل: "أسرع، اجلب السم!".

وعندما قدَّم الجلاد السم لسقراط، سأله:" لماذا أنت قليل الصبر لهذه الدرجة؟ إنني أرى كيف يشع وجهك، وأرى كيف تضيء عيناك. ألا تفهم ما يحدث هنا؟ أنت ستموت الآن!"

"إنني أشعر بفضول تجاه الموت. فقد أدركت الحياة. وكانت الحياة رائعة، على الرغم من القلق والمعاناة، فقد استمتعت بها. فمجرد التنفس متعة. لقد عشت، وأحببت، وفعلت كل ما أردت فعله، وقلت كل ما أردت قوله. الآن أريد أن أذوق الموت وكلما بكرت كلما كان أفضل.

هناك احتمالان لتطور الأحداث: إما أن نفسي ستعيش في أشكال أخرى، كما يقول المتصوفون الشرقيون، وهذا بحد ذاته حدث مشوق، أن أستمر في الترحال بدون ثقل الجسد. فالجسد قفص ضيق، محدود في حركته. وإذا كان الماديون على حق، فإنه بعد الموت لن يبقى من الجسد شيء. وهو حدث مثير للاهتمام أيضاً - أي عدم الوجود! فأنا أعرف معنى الوجود، وجاءت اللحظة لأعرف معنى اللاوجود. وإذا لم أكن موجوداً، فلا سبب للقلق! لأنه لن يكون هناك أحد ليقلق، ولا ضرورة لتبذير الوقت عبثاً!".

هذا القول لا يمكن أن يصدر إلا عن إنسان أحب نفسه. لقد أخذ سقراط على عاتقه المسؤولية عن موته: لم يكن بمقدور المحكمة أن تدينه بشيء، لقد كان الأمر برمته تحاملاً اجتماعياً عليه وآراء باطلة صدرت عن أناس عاديين، عجزوا عن فهم التنوُّر العظيم لعقل سقراط، ولكنهم كانوا الأكثرية، وصوتوا لإعدام سقراط.

لقد عجزوا عن رد حجة واحدة من حججه. وأظن أنهم لم يفهموا ما كان يقوله، فأي أجوبة سيصلون إليها. في حين أنه دحض حججهم جميعها. ولكن في المدينة كانت القرارات تتخذ بالأكثرية: حيث كانت أفينا

مدينة ديمقراطية، ولهذا بحث الاجتماع العام في هذه المسألة، وجرت إدانة سقراط، والحكم عليه بالموت.

فبماذا اتهموه؟ كان ذنب سقراط يتلخص في أنه كان يغرس في نفوس جيل الشباب روح التمرد، ويوجههم نحو الارتياب والشك في تعاملهم مع الأنظمة السائدة. بسببه كان المجتمع يفقد السيطرة على شبيبته. كان يخلق هاوية بين الجيل القديم والجيل الجديد، بسببه توقف الشباب عن الاستماع إلى آراء الكبار وصاروا يناقشون كل مسألة. والمذنب في هذه الفتنة كان سقراط.

كان القضاة أكثر حكمة من مواطني المدينة العاديين، فعرضوا على سقراط أن يختار، فقالوا له: "إذا تركت المدينة ووعدتنا بعدم العودة إليها مجدداً، يمكنك تجنب الموت. وإذا أردت البقاء في أفينا، عليك أن تتوقف عن التكلم وتلتزم الصمت. في هذه الحالة يمكننا أن نقنع الشعب بالإبقاء على حياتك. وإلا فإنك غداً عند غروب الشمس ستشرب السم. اختر ما يعجبك أكثر". فما الذي بقي لسقراط أن يفعله؟

فأجابهم: "إنني مستعد لتناول السم غداً أو اليوم، عندما تُعِدُّونه، ولكنني لا أستطيع التوقف عن قول الحقيقة. فطالما بقيت حياً سأستمر بقول الحقيقة حتى آخر نفس. ولا أستطيع أن أهجر أفينا في سبيل إنقاذ نفسي، لأنني عندها سأشعر بأنني جبان، هرب من الموت، بدون أن يتحمل مسؤولية ما يحدث. كنت أعيش في وفاق مع أفكاري، ومشاعري، وقلبي، وأريد أن أموت في سكينة.

لا تشعر بالذنب. فلا أحد مسؤول عن موتي، أنا وحدي المسؤول. كنت أعرف أن ذلك سيحدث، لأن قول الحقيقة في مجتمع قائم على الكذب، والخداع، والأوهام، يعادل السعي وراء الموت. لا تدينوا هؤلاء الناس المساكين، الذين اتخذوا قرار

إعدامي. فالمسؤولية تقع على عاتقي وحدي. أريد أن تعرفوا جميعاً، أنني عشت، وتحملت مسؤولية حياتي، وأموت، وأتحمل مسؤولية موتي. كنت متفرداً في الحياة، وأبقى متفرداً أمام وجه الموت. لم يتخذ أحد القرارات عني، لقد اتخذت قراراتي وحدي".

هذا هو معنى الكرامة. وهذا هو معنى الانسجام. هكذا يجب أن يكون الإنسان، يا ليت جميع الناس كانوا على الأرض مثل سقراط، لكانت الأرض رائعة، وحيوية وكريمة في كل شيء...

تنقصك الفردية، ولهذا من الضروري أخذ المسؤولية على عاتقك. وهذا ممكن فقط في حال محبتك لنفسك على ما أنت عليه: أي كما خلقتك الطبيعة. فلو أنها كانت بحاجة لسيد مسيح ثان، لخلقته.

كن نفسك، ببساطة على ما أنت عليه، كن نفسك فقط. وتذكر، أنك تُعَرِّضُ نفسك للخطر، بإعلانك عن أنك لست جزءاً من الحشد. فالهندوس، والمسلمون، والمسيحيون، والشيوعيون، جميعهم ليسوا إلا حشوداً هائلة من الناس. وبإعلانك عن أنك متفرد، يجب أن تدرك جيداً بأن ذلك ليس آمناً. فالحشد يمكن أن لا يسامحك على ذلك. ولكن لكم هو رائع أن تغامر بالسير على نصل شفرة، حيث يتربص بك الخطر في كل خطوة. فكلما كانت الحياة أكثر خطورة، كلما زادت جدارة.

العيش في اللحظة الراهنة، مستمتعاً بالأبدية، هو أمر ممكن تماماً، في حال كنت مستعداً للعيش حياة كاملة القيمة، معرضاً للخطر كل شيء وشخص.

لا أريدك أن تكون رجل أعمال، بل أريد أن تكون مغامراً جريئاً. دون أن تخبئ شيئاً للمستقبل. ومهما حدث، سيجلب لك الحدث الغبطة. حتى لو صرت معدماً، فإن حياتك ستكون أكثر جدارة من حياة إمبراطور.

يولد الإنسان سعيداً. ولكنه صار بائساً، لقد نسي الضحك، الذي يولد كل طفل إلى هذا العالم وهو يضحك، لقد نسي الإنسان الطريق إلى الصحة والانسجام.

الباب يفتح في كل لحظة بلحظتها، في المكان والزمان الراهنين، حيث يلتقي دائماً الحياة والموت. لقد اخترت اتجاهك نحو الموت، لأن ذلك من مصلحة أرباب السلطة، لقد نسيت أن الحياة تمر بجانبك، في حين أنك تغرق في الحزن.

مرة سأل التلميذ أستاذه كونفوشيوس، كيف السبيل لتكون سعيداً ومغتبطاً. فأجاب كونفوشيوس: "إنك تطرح سؤالاً غريباً، فهذه الصفات طبيعية. إذ لن تسأل أي وردة جورية عن كيفية كونها وردة جورية". أما فيما يتعلق بالكآبة والمعاناة، ففي القبر سيكون لديك وقت كافٍ لهما، عندها سيكون بمقدورك أن تكون بائساً، ولن يثور قلبك ضد ذلك. ولكن طالما أنك حي، حاول أن تعيش في انسجام. فمن هذا الانسجام والعمق تولد السعادة، والإنسان السعيد يتعلم الرقص بسهولة.

نحن نريد أن تكون البشرية جمعاء سعيدة، وأن تغني وترقص. عندها سيصبح الكوكب بكامله أكثر نضجاً، وسيتطور كوكبنا بإدراك أكبر. فالإنسان الحزين، والمضجر، والبائس، لا يمكن أن يمتلك وعياً حاداً، فوعيه ضبابي، وقاتم، وثقيل، ومظلم. الظلام يختفي بالكامل حصراً عندما تضحك من أعماق قلبك.

في الضحك تصبح على طبيعتك. أما في الحزن فتغطي وجهك بقناع الشخصية المزيف، وهو النمط السائد في المجتمع. فلا أحد يريدك أن ترقص في الشارع من شدة سعادتك. لا أحد يريدك أن تضحك من أعماق نفسك، لأنك ستزعج الجيران، فيصرخون لك من وراء الجدران: "توقف!" فالمعاناة مقبولة، أما الضحك فمرفوض.

البؤساء لا يحتملون السعداء. والجريمة الوحيدة عند أناس مثل سقراط هو أنهم سعداء جداً، وسعادتهم ولّدت حسداً عظيماً عند الجماهير الغفيرة، التي تعيش في معاناة وحزن. الجماهير لا تحتمل السعداء، فكان من الضروري القضاء عليهم، لأنهم كانوا يحرضون الجميع على التمرد، وهذا الأمر مرعب. فقط من خلال حب التمرد يمكن أن تسير على طريق الحق.

الضحية

لماذا يجهل الإنسان نفسه؟ يبدو وكأنه السؤال الأكثر بساطة، ولكنه صار السؤال الأكثر تعقيداً. فإدراك الذات صار شبه مستحيل. فما الذي حدث؟ توجد عند الإنسان القدرة ليدرك نفسه، فذلك واقعي تماماً. فأنت موجود، والقدرة على الإدراك موجودة أيضاً. فما الذي حدث؟ لماذا نعجز عن تجسيد مقدرتنا على إدراك أنفسنا؟

يوجد عائق واحد فقط، وإلى أن تزيله، لن يكون بمقدورك تجسيد هذه المقدرة. هذا العائق يتلخص في أن الناس صاروا مجزئين في دواخلهم. لقد فقدوا تكاملهم. لقد عمل المجتمع على تجزئة الإنسان، وهذا التشتت الداخلي يضره.

الإستراتيجية بسيطة للغاية: إمعان النظر في الوضع وإدراكه، يمكن من تصحيحه. تتلخص الإستراتيجية في قيام المجتمع بفرض نماذج الكمال على الإنسان، وحثه على السعي للتمثل بهذه النماذج. هذه النماذج الكمالية تغلغلت عميقاً في وعي الإنسان، بحيث صار السعي نحو الكمال، والسعي نحو ما يجب أن تكون عليه، لا يزول أبداً، فتنسى من أنت في الحقيقة.

الإنسان مجنون بنموذج المستقبل كنموذج كمال، مما جعله ينسى واقع هذا اليوم.

عيناه مركزتان على المستقبل البعيد، ولهذا يعجز عن توجيه نظره إلى الداخل. الإنسان دائم التفكير بخصوص ما عليه أن يفعل، وكيف سيفعل ذلك، وكيف يصبح شخصاً له مواصفات معينة. وحديثه مليء بلفظتي يجب ولا يجب، في حين أن الواقع مكون من الموجود فقط. والواقع لا يعرف الموانع والعقائد الجامدة.

فالوردة الجورية هي الوردة الجورية، ولن يخطر في بال أحد، أنها يمكن أن تكون شيئاً آخر. وزهرة اللوتس هي زهرة اللوتس. فكما الزهرة الجورية لن تحاول أبداً أن تصبح لوتساً، فإن زهرة اللوتس لن تسعى أبداً لتصبح زهرة جورية. وبالتالي فهما ليستا مريضتين نفسيتين، وهما لا تحتاجان طبيباً نفسياً. الوردة الجورية رائعة، لأنها تعيش واقعها ببساطة. بنفس الطريقة يعيش العالم كله، باستثناء الإنسان. الإنسان فقط لديه نماذج كمال وعقائد جامدة. "يجب أن تكون هذا أو ذاك" وتحدث التجزئة الداخلية، فيتم فصل الإنسان عن تخصصه كإنسان. إن نموذج الكمال والواقع عدوان.

الإنسان عاجز عن أن يكون شخصاً آخر، فقط نفسه. تذكر هذا جيداً، يمكنك أن تكون نفسك فقط، لا أحد غير نفسك. وما إن تصبح حقيقة "أنا أستطيع أن أكون ذاتي فقط" بديهية، تختفي جميع نماذج الكمال، حيث تُرفَض مباشرة. وعند غياب نماذج الكمال، ينتصر الواقع. عندها لا تنظر عيناك إلى المستقبل، وتتقبل نفسك على ما أنت عليه. حيث يختفي التشتت والانقسام. لقد صار الإنسان كاملاً.

إنها الخطوة الأولى: أن تكون كاملاً، أن تكون نفسك. إنها خطوة ليست سهلة، وسبب صعوبتها الشروط الاجتماعية، والتعليم، والمدنية.

لقد قمت بالخطوة الأولى باتجاه تقبل الذات، ومحبة الذات على ما أنت عليه، باستمرار، وفي كل لحظة... فمثلاً أنت حزين. أنت حزين في اللحظة الراهنة من حياتك. وشروطك تقول لك: "يجب ألا تحزن. فذلك سيئ. يجب ألا تكون كئيباً حزيناً. يجب أن تكون سعيداً". من هنا تظهر التجزئة، وتظهر المشكلة. أنت في حزن: إنه واقع اللحظة الراهنة. أما شروطك، وعقلك فيقولان لك: "هذا لا يجوز، يجب أن تكون سعيداً. ابتسم! ماذا سيظن عنك الناس؟" فتاتك يمكن أن تهجرك، إذا بقيت حزيناً هكذا، وأصدقاؤك سينسونك إذا حزنت كل هذا الحزن، وتجارتك ستخسر بسبب حزنك. يجب أن تضحك، يجب أن تبتسم، يجب على الأقل أن تتظاهر بالسعادة. فإذا كنت طبيباً، فإن حزنك سيحيرهم. فهم بحاجة لطبيب سعيد، ومرح، وسليم، في حين أنك تبدو حزيناً. ابتسم، وإذا لم يكن بمقدورك أن تبتسم ابتسامة حقيقية، ابتسم ابتسامة مزيفة، فقط ابتسم. على الأقل تظاهر، ومثِّل.

هذه هي المشكلة: أنت تتظاهر، أنت تمثل. يمكنك أن تعتصر من داخلك ابتسامة، ولكن ذلك يعني أنك انشطرت إلى جزأين. لقد قمعت الحقيقة، وصرت مزيفاً. والمجتمع يقدر عالياً هذا الزيف. فالكذب يصبح قداسة، إنه القائد العظيم. والجميع يسعى ليتبع الكذب. الزيف يصبح نموذج كمال.

لهذا السبب لا تستطيع إدراك نفسك. فكيف يمكنك أن تدرك نفسك، دون أن تعترف بنفسك؟ لقد كنت دائماً تقمع طبيعتك. فما العمل؟ عندما تكون حزيناً، تقبل حزنك: فهذا أنت. لا تقل: "أنا حزين". ولا تقل، إن الحزن بعيد عني. فقط قل ببساطة: "أنا الحزن. أنا الآن الحزن". وعايش حزنك معايشة حقيقية، واستشعره. وقريباً سيدهشك، كيف سينفتح داخل وجودك باب رائع. فإذا استطعت أن تعايش حزنك معايشة حقيقية،

بلا تظاهر، فإنك ستشعر بالسعادة مباشرة، لأن التجزئة تتلاشى، ولأن وجودها غير طبيعي أصلاً. "أنا الحزن"، والسؤال حول نموذج الكمال لا يُطرح أصلاً. هنا لا توجد جهود، ولا وجود للأزمة. "أنا فقط هذا"، ويَحِلُّ الاسترخاء. وفي هذا الاسترخاء تحضر الغبطة، ويحضر فيه الفرح.

تحضر المشكلة النفسية عند الإنسان المجزأ فقط. الألم يعني الانقسام، والغبطة تعني غياب التجزئة، والتكامل. يمكن أن يبدو هذا الأمر متناقضاً ظاهرياً: فإذا كان الإنسان في حالة حزن، فكيف يمكنه أن يكون مرحاً إذا تقبل حزنه؟ يبدو الأمر غريباً، ولكنه فعلاً كذلك، جرب بنفسك.

أنا لا أقول: "حاول أن تكون سعيداً"، ولا أقول: "تقبل حزنك لكي يكون بمقدورك أن تكون سعيداً"، لا، أنا لا أقول ذلك. فإذا كان هذا دافعك، فلن ينجح الأمر، لأنك تستمر في الصراع. فبطرف عين واحدة تستمر في الترقب لتقول: "لقد مر وقت طويل، وتقبلت الحزن، وقلت: "أنا الحزن"، ولكن الفرح لم يأتِ". فبهذه الطريقة لن يأتي.

الفرح ليس هدفاً، بل منتج ثانوي. إنه استمرار طبيعي للتكامل، والاتحاد.

اندمج مع الحزن بلا أي سبب، ولا أي غاية. فمسألة الهدف غير مطروحة أصلاً. وكن على ما أنت عليه في هذه اللحظة، إنها معايشتك الحقيقية للواقع. وفي اللحظة التالية يمكنك أن تغضب: تقبل ذلك أيضاً. وفي اللحظة التالية يمكنك أن تشعر بشيء آخر: فتقبله أيضاً.

عش كل لحظة بلحظتها، متقبلاً نفسك بالكامل، بدون تجزئة، وبعد فترة قريبة ستدرك نفسك. ارفض الانشطار إلى فرعين: ففيه تكمن المشكلة برمتها. فأنت بهذه الطريقة تعارض نفسك. ارم جميع نماذج الكمال جانباً، لأنها تولد في داخلك التناقض والخصومة. فأنت هو ما أنت

عليه في الحقيقة: تقبل ذلك بفرح، وامتنان. وستشعر فجأة بانسجام. ولن يتصارع في داخلك من بعد ذلك الجوهران، النموذجي والواقعي. لأنهما سيتلاقيان ويتحدان في كلٍ موحد.

لا يمكننا أن نقول إن الحزن بحد ذاته يسبب للإنسان المعاناة. فالمعاناة تنبع من الرأي العام السائد، بأن الحزن سيئ. فتتولد مشكلة نفسية. الغضب بحد ذاته لا يسبب للإنسان المعاناة، فمعرفة أن الغضب سيئ، يولد قلقاً نفسياً. وهذا تشويه للحقيقة، وليست الحقيقة نفسها. فالحقيقة دائماً تحرر من الخرافات والآراء الباطلة. كان السيد المسيح يقول: "الحقيقة تُحَرِّر"، ولهذا الأمر أهمية كبيرة. نعم، الحقيقة تُحرر، ولكن ليس معرفة الحقيقة. كن حقيقياً، وستحررك الحقيقة. لا يجب اتخاذ أي إجراءات. كن الحقيقة، وسيأتيك التحرر. لا يجب اتخاذ أي تدابير، ولا يجب انتظار التحرر: فهو يأتي لحظياً.

كيف السبيل لتكون حقيقياً؟ إنك حقيقي منذ ولادتك. إنك فقط مفعم بنماذج الكمال المزيفة، وهي التي تخلق المشكلات. ارم عنك نماذج الكمال: لعدة أيام كن نفسك. كالأشجار والحيوانات والطيور، تقبل نفسك كما أنت. ويظهر صمت عظيم. وكيف يمكن للأمر أن يكون غير ذلك؟ لا يوجد أي تشويه: عندها يصبح الحزن رائعاً، ويظهر فيه العمق. والغضب كذلك رائع، ففيه الحياة والطاقة. وعندها سيكون الجنس رائعاً أيضاً، لأنه يصبح إبداعياً. عندما لا يتشوه شيء، كل شيء يصبح رائعاً. وعندما يكون كل شيء رائعاً، يسترخي الإنسان. في هذا الاسترخاء يعود الإنسان إلى أصله ومنبعه، فيقود ذلك إلى إدراك الذات. العودة إلى منبعك (أصلك)، هو ما قصده سقراط، عندما قال: "أدرك نفسك". المسألة ليست في الإدراك، بل المسألة بكاملها في التحول الداخلي. حول أي تحول أتحدث؟ فأنا لا أقدم لك أي نماذج، لتتشبه بها. ولا قول لك، إنه يجب عليك أن تتحول

من الشخص الذي تمثله إلى أحد آخر. عليك فقط أن تسترخي، وأن تكون على ما أنت عليه في الحقيقة، وسترى كل شيء بنفسك.

هل سمعت ما قلته لك؟ فقط افهم الأهم: سيأتيك التحرر. يأتي الانسجام العظيم، وتسمع الموسيقى العظيمة. إنها موسيقى الإدراك الذاتي. وتبدأ حياتك بالتغير. يوجد لديك مفتاح سحري، يفتح جميع الأقفال.

ما هو القمع؟

القمع ـ هو الحياة الغريبة، ليس الحياة التي خصصتنا بها العناية الإلهية. القمع ـ هو القيام بالأفعال المفروضة عليك، والتي لم ترغب يوماً في القيام بها. القمع يعني أن تكون الشخص الذي لا تمثله في الحقيقة. القمع هو الطريق إلى التدمير الذاتي. القمع هو انتحار بطيء، وسُمٌ ضارٌ يؤثر ببطء.

التعبير هو الحياة، والقمع هو الانتحار

تنص رسالة التانترا على: إذا كنت تعيش بالجبر والإكراه، فذلك معناه، أنك لا تعيش أصلاً. عش بسهولة، وبإبداع، وبفرح. عش الحياة، التي خصصتك بها الطبيعة (الرب). عش عيشاً طبيعياً. ولا تخف من القساوسة.

أنصت إلى غرائزك، وإلى جسمك، وقلبك، وادراكك. اعتمد على نفسك، واذهب إلى حيث تدعوك غرائزك، ولن تضيع أبداً. وإذا عشت بطبيعية، بلا إكراه، فإنك في يوم من الأيام ستصل حتماً إلى أبواب الجنة.

القمع هو طريقة لتجنب المخاطرة. فمثلاً، علموك ألا تغضب أبداً، فتظن أن الإنسان الذي لا يغضب أبداً، هو إنسان محب جداً. أنت مخطئ. فالذي لا يغضب أبداً، يعجز عن المحبة أيضاً. المحبة والكراهية دائماً معاً، يسيران يداً بيد.

إن الذي يحب حباً حقيقياً، يمكنه أحياناً أن يغضب غضباً حقيقياً. ولكن غضبه رائع، فهو نابع من المحبة. إن طاقته ساخنة، ولن تستاء من غضبه. بل على العكس ستكون شاكراً له على غضبه. هل شاهدت أمراً مماثلاً؟ فإذا كنت تحب شخصاً، وولَّدت أفعالك لديه غضباً حقيقياً وصادقاً، فإنك ستشعر بالامتنان له على هذا الغضب، لأنه يحبك بقوة، لدرجة يستطيع السماح لنفسه بالغضب. والا لِما كل هذا؟ فعندما لا تريد أن تسمح لغضبك بالظهور، فإنك تبقى مُجاملاً. عندما تضبط نفسك بالكتمان، لا تريد أن تغامر بشيء، تستمر في التبسم. ولكن لا مغزى لكل هذا.

فإذا رغب طفلك القفز إلى حفرة عميقة، هل ستبقى هادئاً؟ ألن تصرخ؟ ألن يصبح نبضك مجنوناً؟ هل ستستمر في التبسم؟ هذا مستحيل. فإذا كنت تحب يمكنك أن تسمح لنفسك بالغضب. وإذا كنت تحب نفسك - وهو شرط أساسي في الحياة، والا فإن الحياة ستمر بجانبك - فإنك لن تكون مضطهداً أبداً، بل ستعكس كل ما تقدمه لك الحياة. ستعكس كل شيء: أفراح الحياة، وأحزانها، حالات الذروة والسقوط، الأيام والليالي.

ولكن جرت تربيتك في جو من الكذب والتظاهر، لقد تربيت في جو من النفاق، وأصبحت مثلهم. عندما تغضب، تستمر بالابتسام ابتسامة صورية. وعندما تكون غاضباً، تقمع غضبك. وعندما تريد جنساً، تقمع رغبتك. إنك أبداً لا تعكس الشيء الذي يريده جوهرك.

قرر جُو الذهاب مع ابنته الصغيرة ميدج إلى مدينة الملاهي. وفي الطريق توقفا لتناول طعام الغداء. في الملاهي اقتربا من كشك الهوت دوغ، فقالت ميدج "بابا، أريد...". لم يتركها جو تكمل حديثها، بل وضع في فمها "بوب كورن".

ثم اقتربا من بائع البوظة، وصاحت ميدج الصغيرة: "بابا، أريد...". ومن جديد لم يتركها جو تكمل كلامها، ولكنه في هذه المرة قال: "أريد، أريد! أنا أعرف ماذا تريدين. بوظة؟"

"لا، يا أبي - رجته الطفلة - أريد أن أفرغ معدتي".

هذا ما كانت تريده منذ البداية. ولكن من يسمعها؟

إن القمع يخمد صوت السجية الداخلية للإنسان. القمع هو سلاح لإفناء السجية.

دخل إلى الحانة اثنا عشر عاطلاً كسولاً، حليقي الرؤوس، والمرتدين لستر "ليفايس" وعتادها المرافق. اقتربوا من صاحب الحانة وطلبوا ثلاثة عشر كوباً من البيرة.

فتساءل صاحب الحانة: ولكنكم اثنا عشر رجلاً فقط.

فأجابوا: "اسمع، نحن بحاجة لثلاثة عشر كوباً.

فصب لهم البيرة، وجلسوا وراء طاولاتهم. وفي زاوية الحانة جلس عجوز نحيل صغير الجسم، اقترب منه زعيم "السكينخيد" وقال له:

- يا أبي، جلبت لك كوباً من البيرة.

فرد العجوز: شكراً، شكراً.. يا بني، أنت إنسان كريم.

فرد الزعيم: لا داعي للشكر، نحن دائماً نساعد الكسيحين.

فاستغرب العجوز: ولكنني لست كسيحاً.

فرد الزعيم: ستصبح كسيحاً إذا لم تشتر لكل واحد منا كوباً آخر.

هذا هو القمع: إنه طريقة لجعل الإنسان كسيحاً، والقضاء عليه، وحرمانه من قواه. إنه حيلة، وطريقة لتوجيه الإنسان ضد نفسه. بهذه الطريقة يتولد في داخله النزاع، وعندما يكون الإنسان في نزاع مع نفسه، فإنه يضعف بطبيعة الحال.

لقد لعب المجتمع لعبة شريرة، حيث وجه كل فرد من أفراده ضد ذاته. ولم يعد عند الإنسان قوى تكفيه ليفعل أي شيء آخر. ألا تشعر بالنزاع في داخلك؟ هناك يجري صراع دائم. لقد قاد المجتمع الإنسان إلى حالة من التشتت الداخلي، وحوله إلى مصاب بالفصام، ومحتار في أمره. لقد صار الإنسان دوارة هوائية تحركها الرياح. فهو لا يعرف من يكون، والى أين يتجه، وماذا يفعل هنا. وقبل كل شيء لا يعرف لماذا هو هنا، وهذا ما يجعله في حيرة من أمره.

هذه الحيرة تخلق قادة عظام مثل: أدولف هتلر، وماو تسيدون، وايوسف ستالين. هذه الفوضى والتشويش يخلقان بابا روما، وآلافاً من حالات سوء الفهم. ولكن الإنسان ينهار. تقول التانترا: أطلق العنان لمشاعرك. ولكن تذكر، أن إطلاق العنان للمشاعر لا يعني أن تكون عديم المسؤولية. تقول التانترا: عبر عن مشاعرك بإدراك، كي لا تسبب الضرر لأحد. فالذي لا يمكنه التسبب بالضرر لنفسه، لا يمكنه التسبب بالضرر للآخرين، في حين أن الشخص الذي يستطيع التسبب بالضرر لنفسه، يصبح لدرجة ما إنساناً خطيراً. إذا خلا الإنسان من المحبة تجاه نفسه، فإنه إنسان خطير، ويمكن أن يمثل خطراً على المحيطين به، وفي الحقيقة هو خطير الآن.

عندما تحزن وتتواجد في حالة اكتئاب، تؤثر على الناس المحيطين بك: فيصابون بالحزن أيضاً ويغرقون في الكآبة. عندما تكون سعيداً، تريد

خلق مجتمع سعيد، لأن السعادة يمكن أن توجد في العالم السعيد فقط. وإذا كنت تعيش في فرح، سترغب في أن يعيش كل إنسان حالة الفرح - هذا هو الدين الحقيقي. فبفرحك تبارك الكون كله.

بصفتي كاثوليكياً، أدرك إتباعي للشروط الكاثوليكية ولا أرى لنفسي أي أمل. هل يمكنني أن آمل مساعدتك لي؟

لا يهم من تكون: كاثوليكي أو شيوعي، مسلم أو ماوي، دجايني أو يهودي، لا فرق في ذلك، كلهم يمثلون الأمر ذاته. طبعاً، الكاثوليك يستخدمون أساليب علمية أكثر تطوراً لتحقيق الاستعباد الروحي. لقد صاروا متخصصين في استعباد الناس. ولكن جميع الأديان تفعل الأمر ذاته، وجميع المجتمعات تفعل ذلك بطريقتها: كل شيء من حولنا مشروط.

يبدأ استعباد الإنسان من لحظة ولادته، من نفسه الأول، ويستحيل تجنب ذلك. هذا ما يفعله الأهل، وهذا ما يفعله الأطفال الذين يلعب معهم الطفل، ويفعل ذلك الجيران، والمدرسة، والكنيسة، والدولة. على مستوى الوعي الشروط المفروضة ليست واضحة إلى هذه الدرجة، ولكن في الوعي الباطن يستمر الطفل بمراكمتها. الطفل يتعلم التقليد.

حسناً، لا تقلق. إنها ظاهرة عادية في عالمنا: نحن جميعنا عبيد روحيون. وجميعنا نحتاج إلى التخلص من الخرافات والآراء الباطلة. وهذا الأمر ليس سهلاً. إنه ليس كخلع الملابس، إنه أشبه بنزع الجلد. هذا الأمر صعب جداً، لأن الإنسان صار يماثل نفسه بالآراء الباطلة. فقد صرنا كاثوليكاً وشيوعيين وهندوساً ومسلمين ومسيحيين. يكمن الخوف الأكبر

في التخلي عن الشروط المفروضة في أنه لن يعود بإمكانك التشبث بأي شيء، فلن يعود لديك أي شيء لتناسب نفسك به...

يصعب التخلي عن الشروط المفروضة، لأنها ماضي الإنسان، وعقله، وأناه، فيها يقبع بكامله. ولكن إذا كنت مستعداً، وإذا كنت شجاعاً كفاية، لتسير معي، فذلك ممكن، وواقعي... لقد حدث ذلك مع أناس كثيرين جداً. كن جزءاً من هذا التحول، لا تكن مشاهداً من بعيد. انضم إلى الرقصة!

إنني أدعو الجميع بلا استثناء.

الإنسان قادر على التخلي عن أي آراء باطلة، لأنها فُرضت عليه من الخارج، وطالما الأمر كذلك، فإن التخلص منها ممكن بمساعدة قوة خارجية.

لا أستطيع أن أقدم لك الرب، ولا أستطيع أن أنقل إليك الحقيقة، ولا أستطيع أن أعطيك قوتك الداخلية، ولكنني أستطيع أن أزيل كل القذارة والقمامة التي أغرقوك فيها. وعندما تتخلص من هذه القمامة، ستشعر كيف يحيا الرب في داخلك من جديد. وعندما تزول جميع العقبات، يبدأ جريان ينبوع حياتك، وتعود البراءة من جديد.

وعندما تعود البراءة، يعود النعيم، فتعود ثانية إلى جنة عدن.

الإنسان المعاصر يعاني بفعل موروث الماضي، الإنسان المعاصر لا يعاني من آثامه الشخصية، الأمر الذي يستمر المدعوون بالوعاظ الدينيين بمحاولات إقناعنا به. إنه يعاني من الذنوب التي تراكمت خلال مئات السنين... ولكن اليوم وصلت الأحداث إلى ذروتها. الإنسان ينهار قطعاً قطع. حتى يومنا هذا كنا قادرين بطريقة ما على المحافظة على تكاملنا بطريقة ما، ولكن الأحداث وصلت إلى الحد الذي إما أن يقوم فيه الإنسان بالتغير بشكل كامل ويستبدل تصوره عن الحياة بتصور آخر، وإما أنه سينتحر.

إذا بقينا نتبع مسار الماضي، فإن البشرية ستصبح على وشك الانتحار العام. وهذا ما يسعى إليه القادة السياسيون: فهم يصنعون القنابل الذرية، والقنابل الهيدروجينية، والقنابل الهيدروجينية الفائقة، مضاعفين الترسانة النووية، لدرجة صارت أكثر من كافية. فمنذ عشر سنوات والقنابل النووية قادرة على قتل كل إنسان على هذه الأرض سبع مرات. منذ عشر سنوات كانت هذه الترسانة النووية قادرة على تدمير هذا الكوكب سبع مرات، على الرغم من أنه يكفي لموت الإنسان مرة واحدة، فلا داعي لقتله مرتين. ولكن في حال بقي أحدهم حياً، يجب على السياسيين أن يفكروا في أمره، فهم إستراتيجيون ماهرون. ولكن هذا الحال كان منذ عشر سنوات مضت.

ستفاجأ، إذا عرفت، أنهم اليوم قادرون على تدمير الأرض سبعمئة مرة، أي يمكنهم قتل كل إنسان سبعمئة مرة. ولكن الأمر زاد عن حده كثيراً، فلا داعي لذلك. فسبع مرات يمكن أن نفهمها: فعدد من المحظوظين يمكن أن يبقوا أحياء. ولكن سبعمئة مرة؟ ومع ذلك سباق التسلح ما زال مستمراً. وحتى الدول الفقيرة انضمت إلى هذا السباق. فهي مستعدة للموت جوعاً! في سبيل أن تزداد كمالاً في القتل والتدمير.

فمن علو تحليق الطير يمكننا أن نرى أن الأرض تستعد لانتحار عام، ودمار تام، وحرب عالمية. وتذكر مرة ثانية: هذا الأمر لا علاقة له بالإنسان المعاصر بحد ذاته.

فالإنسان المعاصر ليس إلا ضحية الماضي. والقساوسة يستمرون بإدانة الإنسان المعاصر بجميع الآثام، ويستمرون بالتغني بالماضي.

الإنسان المعاصر هو نتيجة الماضي بكامله! فالمسيحي، والمسلم، والهندوسي، والبوذي، جميعهم ساهموا في تشكل الوضع الراهن في عالمنا. وعليهم أن يتحملوا مسؤولية ذلك. وإلى أن يختفوا جميعاً، وإلى أن

نتخلى عن ماضينا المرضي، ونبدأ كل شيء منذ البداية، بالعيش في الحاضر، بدون أفكار حول الكمال، وبدون نماذج الكمال، وبدون عقائد جامدة، وبدون وصايا دينية، سيبقى الإنسان محكوماً عليه بالفناء.

العبد

إحدى المشكلات التي يضطر كل إنسان للاصطدام بها، هو المجتمع الذي ولد فيه. فالسعي الداخلي عند الإنسان، ونوايا المجتمع لا يتفقان. فالدولة تطالبه بالطاعة، والعبودية، وخدمة أرباب السلطة. وهذا يستدعي لديه رفضاً طبيعياً. فهو يريد أن يكون على طبيعته وأن يمثل ذاته، في حين أن المجتمع لا يسمح لأحد بأن يكون الإنسان الذي منحته تخصصه الطبيعة. تسعى الدولة لتحويل كل إنسان إلى سلعة، نافعة وفعالة، ومطيعة، سلعة لا تثور أبداً ولا تسعى لإثبات الذات ولا تصرح بفرديتها، بل على العكس، السلعة المستعدة دائماً للخدمة، كالرجل الآلي تقريباً. الدولة لا تريد أن تكونوا أناساً، بل تريد أن تكونوا آلات فعالة. وكلما زدتم فعالية، كلما احترموكم أكثر وقدروكم. وهذا الأمر يُوَلِّد مشكلة.

الإنسان لا يولد ليكون آلة. إنه إذلال، وانحطاط، وإهانة للكرامة والعزة، إنه إذلال الإنسان ككائن روحاني وتحويله إلى وحدة ميكانيكية. ولهذا فكل طفل - ما إن يدرك نوايا مجتمعه ووالديه وأسرته والنظام التعليمي والأمة والدين - حتى ينغلق على نفسه تدريجياً. فيبدأ بالدفاع عن نفسه بسبب خوفه، ووقوعه في مواجهة قوة هائلة. فهو صغير جداً وغير محمي، وحساس للغاية، وضعيف، وحياته متوقفة على الناس الذين يضطر لحماية نفسه منهم.

يزداد تعقيد المشكلة، في أن الناس الذين يضطر لحماية نفسه منهم، يفترضون، أنهم يحبونه. ومحتمل تماماً، أنهم يظنون ذلك بجدية. إن نواياهم حسنة، ولكنه ينقصهم الإدراك، إنهم ينامون في نوم عميق. فهم يجهلون أنهم لعبة في يد قوة عمياء، اسمها المجتمع، المؤسسة - جمع من الأوصياء والسلطة الحاكمة.

يصطدم الطفل مع المعضلة. فعليه أن يواجه الذين يحبهم، وهو يعتقد أنهم يحبونه أيضاً. ولكن الغريب أن الذين يحبونه، لا يتقبلونه كما هو. فهم يقولون له: "سنحبك. نحن نحبك فعلاً، ولكن فقط في حال سرت على نفس الدرب الذي نسير عليه، وإذا اتبعت الدين الذي نتبعه، وإذا كنت مطيعاً مثلنا".

فإذا صار جزءاً من الآلية الضخمة، التي سيضطر للعيش فيها طوال حياته... والصراع معها عبثي، فإنه سيموت. فمن الحكمة أن يستسلم، ويتعلم قول "نعم"، بغض النظر عن رغباته. عليه أن يقمع "لا" لديه. ففي جميع الظروف، وفي جميع المواقف، سينتظرون منه الموافقة والخضوع فقط. "لا" ممنوعة. "لا" هو الإثم الأول. عدم الطاعة هو الإثم الأول، والمجتمع ينتقم من كل من يخرج عن طاعته انتقاماً عنيفاً. هذا الوضع يُوَلِّد في نفس الطفل خوفاً عظيماً. فكيانه كاملاً يسعى ليعلن عن نفسه، ويثبت ذاته. إنه يريد أن يكون نفسه، وإلا فإنه لا يرى معنى للحياة. ولن يشعر بالسعادة أبداً، وبالمرح وبالرضا والانسجام. لن يشعر أبداً بأنه على طبيعته، سيشعر دائماً بالانقسام والتشتت. وجزء صغير منه، الجزء الأكثر سرية في كيانه، دائماً سيعاني من الجوع، والعطش، وعدم الرضا، وعدم الاكتمال. ولكن القوى غير متعادلة، والصراع معها يعد مخاطرة كبيرة.

من الطبيعي، أنه مع الزمن يتعلم كل طفل كيف يحمي نفسه بالتدريج، ويتقي الضربات. إنه يغلق جميع أبواب نفسه. ولا ينفتح لأحد،

ويبدأ بالتظاهر. يبدأ باللعب كالممثل. وينفذ الأوامر التي يتلقاها. يعذبه الشك، ولكنه يقمع هذا الشك. طبيعته تطالب إثبات الذات، ولكنه يقمعها. وإدراكه يريد أن يقول: "هذا غير صائب، ماذا تفعل؟" - عندها يتوقف عن كونه مدركاً. يزداد الأمان عندما تكون متخلفاً عقلياً. ويزداد الأمان عندما تكون غير مثقف. فكل ما يقود إلى صدام مع المجتمع، يصبح خطيراً. من الخطر أن تكاشف الناس، حتى المقربين منهم. لهذا السبب انغلق الجميع على أنفسهم. لا أحد يفتح بتلاته بشجاعة، كما تفعل ذلك الوردة الراقصة وسط الرياح والمطر والشمس... الوردة الهشة الجريئة.

نحن جميعنا نعيش وبتلاتنا مغلقة، خوفاً من أننا إذا انفتحنا سنصبح عرضة للأذى. لهذا كل واحد يستخدم أنواعاً متنوعة من الدروع، حتى الصداقة تستخدم كدرع. يبدو ذلك متناقضاً، لأن الأصدقاء كقاعدة، يتصارحون مع بعضهم بعضاً، ويتقاسمون الأسرار الشخصية، ويثقون ببعضهم بعضاً. الكل يعيش في تناقضات مماثلة. الناس يستخدمون الصداقة والمحبة والصلاة درعاً للحماية. فعندما يريدون البكاء، يبتسمون، لأن الابتسامة تقوم بدور الدرع. وعندما لا يريدون البكاء، يبكون، لأنه في بعض الأوضاع تلعب الدموع دور الدرع. إن ضحكنا هو تمرين للشفتين، وخلفه نخبئ الحقيقة، وهي دموعنا.

لقد بني مجتمعنا بكامله حول فكرة محددة، كانت منذ البداية منافقة. هنا يجب أن يكون الإنسان كما يتوقع رؤيته الآخرون، وليس على ما هو عليه في الحقيقة. لهذا السبب صار كل شيء كاذباً ومزيفاً. حتى في الصداقة يحافظ الإنسان على مسافة، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منه كثيراً. ربما لأنه إذا اقترب أحد ما كثيراً يمكنه أن ينظر إلى ما وراء القناع. أو أنه سيكتشف أن الوجه ليس وجهاً بل قناعاً، والوجه يختبئ وراء القناع. في العالم الذي نعيش فيه، كان الإنسان دائماً كاذباً ومزيفاً.

إنني أرى الإنسان الجديد بصورة متمرد، باحث عن جوهره الحقيقي، وعن وجهه الحقيقي. الإنسان الجديد مستعد لرمي جميع الأقنعة، وكل التظاهر، لكي يستطيع العالم رؤية من يكون في الحقيقة. ولا يهم إن كانوا يحبونه أو يكرهونه، يحترمونه أو يبجلونه أو يعيرونه، يوصلونه إلى العرش أو يعدمونه صلباً، لأنه أن تكون ذاتك - هي البَرَكة الأكبر في الوجود. حتى لو صلبوا الإنسان، فإن الصليب بالنسبة له يمتلئ مغزى ورضا هائل.

الإنسان الجديد إنسان صادق، صريح، يمتلئ محبة ورأفة، ويفهم أن الناس عميان، غير مُدركين، ناعسين، متواجدين في نوم روحي... ومهما فعلوا، يفعلون كل شيء وكأنهم في حلم. لقد تعرض الإنسان على امتداد سنين طويلة لفرض الشروط عليه، وذلك طوال حياته، ولهذا سيحتاج لوقت طويل، ليتحرر من هذه الشروط القسرية. لقد أتعبوك بكثرة من الأفكار الكاذبة. ويتطلب وقت ليس بالقليل للتحرر منها، وذلك لاكتشاف زيفها وكذبها. في الحقيقة ما إن تدرك زيف شيء ما، يصبح التخلص منه سهلاً. ففي اللحظة التي يظهر فيها الكذب، يتلاشى بنفسه. يكفي اكتشافه فقط. ينقطع الارتباط مع الكذب، ويضيع التمثل به. وما إن يختفي الزيف، حتى تظهر الحقيقة في كامل جدتها وجمالها، لأن الصراحة والصدق والوفاء جميعهم الجمال. أن تكون نفسك ببساطة يعني أن تكون جميلاً.

والإدراك والفهم والشجاعة، الذين ظهروا نتيجة اتخاذ الإنسان القرار والبدء بالبحث عن نفسه، سينزعون جميع الأقنعة المزيفة، التي ألقاها عليه الناس. إن أهلك ومعلميك هم أيضاً يتصرفون بدون إدراك، فلا تغضب منهم. إنهم ضحايا مثلك. فآباؤهم ومعلموهم وقساوستهم سوّدوا عقولهم، أما أهلك ومعلموك فقد سودوا عقلك. إذ لم يكن من الممكن يوماً أن تظن أن الحقائق التي علمك إياها والداك المحبان

ومعلموك وقساوستك يمكن أن تكون كاذبة. ومع ذلك فالأمر فعلاً كذلك والعالم كله صار كاذباً. إنه فاسد بالكامل، في كل سنتيمتر كذب. وإثبات ذلك يمكن أن نجده في التاريخ: كل تلك الحروب، والجرائم، والعنف... ملايين الناس الذين جرت إبادتهم وذبحهم وحرقهم أحياء باسم الدين وباسم الرب وباسم الحرية والديمقراطية والشيوعية - كلها كانت شعارات جميلة، ولكن الذي كان يحدث تحت غطاء هذه الشعارات كان فظيعاً لدرجة أن الإنسان سينظر يوماً إلى التاريخ كتاريخ للجنون البشري، وليس تاريخ البشرية العاقلة.

جميع الأديان أدانت الحياة بطرق مختلفة، وإذا كان كل شخص يذم الحياة، والعالم مليء بمحبي النقد، فما الذي يمكن أن يفعله طفل صغير؟ فكل هذا الرفض يترك عنده انطباعاً قوياً. فقط انظر إلى بداية خلق العالم. الرب قال لآدم وحواء: "لا تذوقا الثمار من شجرة المعرفة ولا تذوقا الثمار من شجرة الحياة". لقد منعهما من أكل ثمار هاتين الشجرتين. فالحكمة والحياة لهما أهمية كبيرة، والرب رفضهما كلاهما. وهذا يعني أنه يمكننا أن نتناول الحشيش وكل ما نريد. فهو لم يقل: "لا تتناول الماريخوانا والكحول". لا، فهو غير مهتم بذلك. آدم وحواء يمكنهما أن يدخنا الحشيش، فهذا ليس ممنوعاً، ويمكن أن يصنعا الخمر من العنب، هذا مسموح. هناك مانعان فقط - على المعرفة وإدراك الحياة، يجب على آدم وحواء أن يبقيا جاهلين، وألا يدركا الحياة الحقيقية. بينما هما عصيا الأمر وأكلا ثمار المعرفة... وقبل أن يتناولا ثمار الشجرة التالية تم القبض عليهما. فبعد تذوقهما لثمار شجرة المعرفة، سارا سريعاً إلى شجرة الحياة، وهناك جرى إيقافهما. وهذا الأمر طبيعي: فكل من لديه الإدراك - وهي من صفات الحكمة - سيحاول قبل كل شيء إدراك الحياة أكثر وأعمق، وإغناء خبرته الحياتية، والارتباط بمركزها، واكتشاف سر الحياة.

هذا الأمر يصمت عنه التاريخ، فالتاريخ لم يكمل حديثه. إنني أؤكد أنهما ركضا مباشرة، فالأمر منطقي: عند تذوقهما لثمار المعرفة ركضا إلى شجرة الحياة. لهذا السبب كان سهلاً على الرب إيجادهما، كيف له أن يجدهما إذا كان في جنة عدن ملايين الأشجار؟ لأخذ البحث الأبدية كلها: ولم يكن الإنسان ليبحث عن الرب، بل الرب كان حتى اليوم يبحث عن الإنسان.

ولكنني أعرف كيف كان يجب أن تتطور الأحداث، وهو ما يتحدث عنه الإنجيل. فعندما علم الرب أن آدم وحواء أكلا ثمرة من شجرة المعرفة، أسرع الرب إلى شجرة الحياة وانتظر قدومهما هناك، عارفاً أنهما سيأتيان إليها قريباً. إنه منطق بسيط جداً، ولا ضرورة لتكون أرسطو لتعرفه. ومن الطبيعي أنه تم القبض عليهما هناك. كلاهما كانا يركضان عاريين، فرحين بكل ما يحيط بهما، لأنه ولأول مرة أدركا ما يريانه. ولأول مرة شعرا بنفسيهما إنسانين، قبل ذلك كانا مجرد حيوانين وسط بقية الحيوانات... أما الرب فقد طردهما خارج جنة عدن. ومنذ ذلك الحين والإنسان متعطش للحياة، وللمزيد منها. ولكن القساوسة الذين يمثلون الرب، الذي طرد الإنسان من جنة عدن، والآباء والأمهات، والشانكاراتشاري والرافينات، جميعهم يمثلون فاعلاً واحداً.

والغريب، أنه لا أحد قال إن هذا الفاعل كان عدو الإنسان الأول. بل على العكس الجميع يقولون إن العدو هو الثعبان المسكين الذي أقنع حواء قائلاً: "من الغباء من جانبك ألا تتذوقي ثمرة من شجرة المعرفة. فالرب حسود، وهو خائف من أن تذوقك ثمرة شجرة المعرفة سيجعلك حاملة للمعرفة. ويخاف إذا تذوقت ثمرة من شجرة الحياة، ستصبحين مثله. فمن سيعبده حينئذ؟ إنه حسود وجبان - لهذا السبب لم يسمح بذلك".

كان الثعبان هو الصديق الأول للبشرية، ولكنهم يلعنونه. ويدعون الصديق بالشيطان، والعدو بالرب. غريب عقل الإنسان! فعلى العكس يجب شكر الثعبان. فبفضله أصبحت على ما أنت عليه اليوم. فقط بفضل عصيان حواء لأمر الرب، حصلت على الكرامة الإنسانية التي لا شك فيها، وعلى الشموخ، والانسجام، والتفرد.

وهكذا، عوضاً عن شكر الرب، غير صيغة الجملة. فعوضاً عن أن تقول: "الشكر للرب"، قل: "الشكر للثعبان" فقط بفضل عطف الثعبان... والا فما المناسبة ليهتم بك؟ لا شك أنه كان رؤوفاً جداً.

العصيان، هو عقيدة الإنسان المتدين، عصيان جميع الرجال الذين وجميع السياسيين، وكامل مؤسسة الأوصياء. فقط في هذه الحالة يمكن التخلص من الشروط المفروضة عليك. وبتخلصك من الخرافات والآراء الباطلة، لن تعود لتتساءل عن مغزى الحياة. وسيتغير سؤالك تغيراً جذرياً فتسأل: "كيف السبيل لأعيش في انسجام أكبر وتكامل أكبر؟ كيف السبيل لأغوص أعمق قدر المستطاع في أمواج الحياة؟"، لأن الحياة هي هدف كل الموجودات، فبالتالي يستحيل أن يكون هناك هدف في الحياة. ولكنك تعاني من غياب الهدف، ويبدو لك أنه لا وجود لشيء غير الموت، الحياة تنزلق من بين يديك، والموت يقترب مع كل لحظة. وحياتك ليست إلا موتاً بطيئاً.

ومن الذي فعل بك ذلك؟ إنهم جميع المحسنين إليك، إنهم مريدي الخير لك، الأنبياء، والقديسين، ومجسدو الرب الجدد. جميع هؤلاء الناس حولوا حياتك إلى موت بطيء، وقد فعلوا ذلك بتأنق شديد. تستخدم إستراتيجية بسيطة للغاية: إنهم يؤكدون أن الحياة عقاب.

فالمسيحيون يقولون إن الإنسان مولود من الإثم الأول. فكيف يمكنك أن تعيش حياة فاضلة؟ فأنت آثم. النتيجة: لكي تصل إلى الحياة

الفاضلة، يجب أن تنهي هذه الحياة، لأنها ليست سوى إثم. من هم قديسوك؟ إن قديسوك هم الناس الذين يعيشون حياة الزهد والتقشف، وكلما قلّت حاجاتهم، كلما زادت عظمتهم. حياة جميع قديسيك شبيهة بالكابوس، ومع ذلك يحاولون إقناعك بالسير على خطاهم. جميع جهودهم تتلخص في تقصير حياتك. تحدُث إدانة الحياة، والجنس، وإدانة السعي إلى حياة كريمة. تتم إدانة الاستمتاع بالطعام والكساء. إن ذلك يقصر عمرك. إنهم يسرقون منك حياتك، لحظة تلو لحظة.

إذا ألقيت نظرة إلى تاريخ الأديرة المسيحية، والأديرة الدجاينية، والبوذية، والهندوسية، ستفاجأ: إذ من الغريب أن يعامل الناس بعدم إنسانية إلى هذا الحد وأن يتم ذلك باسم الدين! كل هذا سخافات...

فإذا كنت نصف حي، سيربح السياسي لأنك ستعترض أقل، وستكون أكثر طاعة، ويسهل التنبؤ بتصرفاتك، وتصبح تافهاً أكثر - لن تشكل خطراً. واذا كنت نصف حي، يربح رجل الدين للأسباب نفسها. فالإنسان الحي حقيقة يصبح خطراً على الجميع: على الذين يستغلونك، وعلى الذين يتطفلون عليك. إنه سيُحَارب محاربة مستميتة. وسيفضل الموت، على العيش عبداً، لأنه حتى الموت بالنسبة للإنسان الحي حقاً لا يعد موتاً: إنه ذروة الحياة. وحتى قبل الموت يستمر في العيش حياة كاملة القيمة ومتكاملة. إنه لا يخاف الموت، ولا يخاف شيئاً.

كل ذلك يجبر أقوياء هذا العالم على الخوف من الإنسان الحي. لقد استهدوا إلى إستراتيجية شديدة الدقة، تتلخص في زرع الحيرة والارتباك في نفس الإنسان من خلال دفعه للبحث عن هدف الحياة، والسعي ليصبح شخصاً معيناً، وليس على ما هو عليه.

ولكنك الإنسان الذي خلقتك الطبيعة بتدبير منها. ولا ضرورة لتصبح شخصاً آخر. ولكنهم يستمرون في تكرار ضرورة أن تصبح السيد

المسيح. لماذا؟ فالسيد المسيح لم يرد أن يكون إياي، فلماذا علي أن أكون إياه؟ السيد المسيح يجب أن يبقى السيد المسيح، وأنا يجب أن أبقى أنا. فما الذي يفعله جميع المسيحيين؟ إنهم يحاولون تقليد المسيح ويحاولون بدرجة ما أن يصبحوا المسيح. الهندوس يحاولون أن يصبحوا كريشنا، والبوذيون يحاولون أن يصبحوا بوذا. غريب! لا أحد يقلق بخصوص نفسه، وكل شخص يحاول التمثل بشخص آخر. إن ذلك يهلك حياة الإنسان بالكامل. ولهذا أقول: ليس في الحياة هدف، لأن الحياة بحد ذاتها هدف.

انس الأهداف. وتخلص من فكرة المستقبل. انس التفكير بالغد كلياً. اتحد في كل موحد. ركز على اليوم الحاضر، وفي اللحظة نفسها سيكون بمقدورك إدراك الحياة في خلودها.

الابن

جميع الأهل يبنون الآمال على أبنائهم، ولكن هذه الآمال تهلكهم الأبناء ليس إلا. يجب التخلص من وصاية الوالدين - تماماً كما يترك الوليد يوم الولادة رحم أمه، وإلا فإن هذا الرحم سيصبح سبباً لموته. بعد تسعة أشهر من الضروري أن يخرج الطفل ليرى النور، وعليه أن يهجر جسد الأم. يجب أن يخرج الطفل، مهما كان ذلك مؤلماً بالنسبة للأم، ومهما كان الفراغ الذي ستشعر به بعد ذلك. ثم يحل يوم، يجب فيه على الطفل أن يتحرر من آمال والديه. عندها فقط، ولأول مرة في حياته، يصبح إنساناً حقاً، إنساناً مستقلاً. عندها يقف على قدميه. وعندها يصبح حراً فعلاً. وإذا تصرف الوالدان بإدراك، وتفهم، فإنهما سيساعدان الطفل على أن يصبح حراً، قدر المستطاع، وبأسرع ما يمكن. وهما لن يربيا أطفالهما بهدف استغلالهم فيما بعد، سيُعلّمان أطفالهما المحبة.

آن أوان ولادة عالم مختلف تماماً، حيث الناس يعملون... النجار يعمل لأنه يحب الغابة. والمعلم يعمل لأنه يحب التعليم. والحذاء يصنع الأحذية لأن ذلك يعجبه. في حين أنه اليوم تحدث بلبلة تامة. فالحذاء صار جراحاً، والسياسي صار نجّاراً. وكلاهما غير راضيين. ويبدو وكأن الحياة بكاملها تغلي من شدة الغضب. انظر إلى الناس - وجوه الجميع غاضبة. ويبدو وكأن كل شيء ليس في مكانه الصحيح ، يمارسون أعمالاً غير التي خصصتهم لها الطبيعة. ويبدو وكأن كل من حولك فاشلون فقط. كل شيء يعاني من عدم الرضا بسبب مفهوم الربح، الذي يلاحقهم.

لقد سمعت قصة رائعة:

عند وصولها إلى الجنة، سألت السيدة غينسبيرغ الملاك كاتب الجنة وهي خجلة:

- أخبرني، هل يمكنني أن أقابل أحداً ممن وصلوا إلى الجنة قبلي؟

فأجاب الملاك:

- طبعاً، شرط أن يكون الشخص الذي تريدين مقابلته موجوداً في الجنة.

فردت السيدة غينسبيرغ:

- آه، إنها هنا، أنا واثقة من ذلك. في الحقيقة أريد رؤية السيدة مريم العذراء.

سعل الملاك وقال:

- في الحقيقة إنها موجودة في القطاع المجاور، ولكن إذا كنت مصرة، فإنني سأنقل لها طلبك. إنها سيدة لطيفة، وربما سترغب بزيارة القطاع المجاور.

جرى نقل الطلب للسيدة العذراء، وأظهرت اللطف فعلاً. ومر وقت قصير، حتى وجدت السيدة غينسبيرغ نفسها في صحبة السيدة العذراء. تأملت السيدة غينسبيرغ طويلاً الشخصية المحاطة بالهالة وقالت أخيراً:

ـ من فضلك، اعذريني على فضولي، ولكنني كنت دائماً أود سؤالك. أخبريني، كيف هو إحساس من لديه ابن رائع مثل ابنك، حيث أن آلاف الملايين بعد رحيله يصلون له كما يصلون للرب؟

فردت السيدة العذراء:

ـ في الحقيقة، يا سيدة غينسبيرغ، كنا نأمل أن يصبح طبيباً.

الأهل دائماً يأملون، وآمالهم تصبح سماً. واليك ما سأقوله: أحبُّوا أولادكم، ولكن لا تأملوا أي آمال بخصوصهم. أحبوا أولادكم أكثر قدر المستطاع، وليشعروا بأنكم تحبونهم بصدق، وليس لسبب عملي. أحبوا أولادكم بلا حدود، وليشعروا بأن أهلهم يحبونهم على ما هم عليه في الحقيقة. فهم ليسوا ملزمين بتنفيذ مطالب الأهل. الأبناء من حقهم اختيار المهنة التي سيمارسونها، ولكن ذلك لا يجب أن يؤثر على محبة الوالدين لهم. فمحبة الوالدين للأبناء يجب أن تكون غير مشروطة. عندها فقط يمكن أن نخلق عالماً مختلفاً تماماً. عندها يصبح بمقدور الناس أن يختاروا بأنفسهم ويمارسوا العمل والنشاط الذي يعجبهم. ومن الطبيعي أن الناس سينجذبون إلى المجالات التي يميلون اليها بعقولهم الباطنة.

والى أن يشعر الإنسان بالرضا، والى أن يعثر على شيء أكثر أهمية، من العمل الضروري ـ أي أن يعثر على عيد النفس، ورسالتها، فإنه لن يكون سعيداً بامتلاك والدين كوالديه، لأن والداه هما سبب حياته الفاشلة. إنه لن يكون شاكراً لهما، فلا شيء يشكرهما عليه. فقط من خلال الحصول على الرضا، يمكنك أن تكون شاكراً بلا حدود. ورضا الإنسان

ممكن فقط في حال لم يعاملوه معاملة الشيء. إن تخصصه أن يصبح إنساناً. وتخصصه أن يدرك قيمته الداخلية. وتخصصه أن يصبح مكتفياً بذاته.

هل يجب أن نعطي للحب كامل قوانا؟

الأب يصر قائلاً: "أحبَّني، أنا أبوك!"، فلا يبقى للطفل إلا أن يتظاهر بأنه يحبه. فالطفل ليس لديه أي ضرورة لمحبة الأب، ولا ضرورة لديه لمحبة الأم أيضاً. فهذا هو أحد قوانين الطبيعة، عندما تشعر الأم بمحبة غريزية تجاه طفلها، وليس العكس: فالطفل ليس لديه محبة غريزية تجاه أمه. إنه بحاجة لأمه، وهذا أمر مختلف، ولكن لا يوجد في الطبيعة قانون يلزم الطفل بمحبة أمه. إنها تعجبه، لأنها تساعده في كل شيء، وبدونها لم يكن ليحافظ على حياته. لهذا فهو ممتن لها، وهو يحترمها، وكل ذلك جيد، ولكن المحبة هي ظاهرة مختلفة تماماً.

المحبة تسيل نحو الأسفل، من الأم إلى الطفل، وليس العكس. وهذا الأمر بسيط تماماً، لأن محبة الطفل ستكون موجهة تجاه طفله في المستقبل، فالمحبة لا يمكن أن تسيل بالعكس، تماماً مثل الغانغ يجري إلى المحيط وليس إلى المنبع. الأم هي المنبع، والمحبة تجري إلى الأمام إلى الجيل الجديد. أما إعادة جريانها إلى الوراء فيعد قسراً، إنه وضع غير طبيعي، وفعل غير حيوي.

ولكن الطفل يتظاهر، لأن الأم تقول: "أنا أمك ـ عليك أن تحبني!" فماذا يبقى للطفل أن يفعل؟ لا يبقى أمامه من سبيل سوى التظاهر، فيتحول إلى سياسي. وكل طفل بدءاً من المهد يصبح سياسياً. فهو يبتسم ابتسامة جيمي كارتر، عندما تدخل أمه إلى الغرفة! مع أنه يمكن ألا يشعر

بأي فرح، ولكن عليه أن يبتسم. عليه أن يفتح فمه، ويمرن شفتيه، فذلك يساعده، إنه ضروري للحفاظ على البقاء. ولكن محبة كهذه تصبح كاذبة. فالتعود على المحبة المصطنعة والرخيصة، يجعل من الصعب التعرف على المحبة الحقيقية والأصيلة. وعندها سيضطر الطفل إلى محبة إخوانه وأخواته بدون سبب. وبصراحة، من يتوجب عليه محبة أخته وعلى أي شيء؟ جميع هذه الأفكار غرست للحفاظ على الأسرة متماسكة. ولكن مسار هذه العملية المزيفة بكامله يقود إلى أن الإنسان عندما يقع في الحب فعلاً، يتحول حبه إلى زيف أيضاً.

لقد نسيت المحبة الحقيقية. فأنت تقع في حب لون الشعر، ولكن ما علاقة الحب بذلك؟ فبعد يومين لن تنظر إلى لون الشعر. أو تقع في حب شكل الأنف أو العينين، ولكن بعد شهر العسل سيبدو كل ذلك مملاً! وعندها تضطر للخروج من المأزق: فتتظاهر وتخدع. لقد شُوهَت عفويتك وسُمِّمَت، وإلا لما كنت لتقع في حب أجزاء منفصلة من الجسم. ولكن هذا ما يحدث فعلاً. فإذا سألك أحدهم: "لماذا تحب هذه المرأة أو هذا الرجل؟" فتجيب: "لأن مظهرها فاخر" أو "بسبب أنفها، عينيها، شكل جسمها وإلى آخره". ولكن كل هذا هراء! فحب كهذا لن يكون عميقاً، ولن يكون له أي قيمة، ولن ينمو ليتحول إلى قرابة روحية. لأن شحنتها لا تكفي الحياة بكاملها، فقريباً سيجف نهر المحبة، فهو ضحل جداً. هذا الشعور ولد في العقل، لا في القلب. يمكن للمرأة أن تشبه ممثلة مشهورة ولهذا فهي تعجبك، ولكن الإعجاب لا يعني الحب. فالحب هو شعور مختلف تماماً، يصعب إيجاد تعريف له، فهو غامض غموضاً شديداً، لدرجة أن المسيح يقول عنه: "الرب هو المحبة". فبالنسبة له الرب والمحبة لهما دلالة واحدة ولا يخضعان للتعريف. ولكن الحب الطبيعي العفوي كهذا، نُسِيَ منذ زمن بعيد.

وتسأل: "هل يجب أن نكرس للمحبة كل قوانا؟" فهل تظن أن المسألة مسألة كمية. المحبة هي ليس ما يجب أو لا يجب فعله. إنها شعور قلبي. يخرج خارج حدود العقل والجسد. إنه ليس نثراً، بل شعر. وليس رياضيات بل موسيقى. أن تحب لا يعني أن تفعل بل أن تشعر. المحبة ليست فعلاً، بل حالة. ولكن جميع هذه التعاريف تُحِدُّ من حرية الإنسان. حيث لا يمكن التحكم بالمحبة، ولا يمكن أن تأمرها بشيء. يستحيل أن تجبر نفسك على المحبة بكل كيانك. ولكن هذا ما يفعله الناس، لهذا تغيب المحبة في عالمنا.

كيف يجب أن تكون المحبة تجاه الأم؟

يجب أن تحب أمك بشكل مختلف. فهي ليست حبيبتك، ولا يمكن أن تكون إياها. وإذا تعلقت بشدة بأمك، فإنك ستعجز عن إيجاد حبيبة لك. ففي أعماقك ستكون غاضباً منها بشدة، لأنه بسببها لم تستطع المغادرة إلى امرأة أخرى. فمغادرة بيت الأهل هو درجة من درجات تطور الإنسان، تماماً كتواجد الجنين في رحم أمه، ومن ثم يغادره. فتبدو مغادرة الطفل لجسد أمه شبيهة ... بالخيانة. ولكن إذا فكر الطفل وهو في رحم أمه: "كيف يمكنني أن أترك أمي التي منحتني الحياة؟" لقتلهما هذا الأمر كلاهما. إنه مضطر لمغادرة جسد أمه.

في البداية كان الطفل يشكل مع أمه كلاً موحداً، ومن ثم كان يجب قطع الحبل السري. فيبدأ الطفل بالتنفس باستقلالية، كانت تلك هي بداية تطوره ونموه. إنه يصبح شخصية، ويبدأ بأداء وظائفه باستقلالية. ولكنه سيبقى في حالة تبعية لأمه خلال سنوات طويلة تالية. فهو بحاجة للحليب، والغذاء، وسطح فوق رأسه، ومحبة، فهو تابع في كل شيء لأمه،

إنه ضعيف. ولكن بمقدار اكتسابه للقوة، يبدأ بالابتعاد أكثر فأكثر. فلم يعد بحاجة للحليب، ولكنه بات مضطر للتبعية لنوع آخر من الغذاء. وهذا الأمر يبعده أكثر.

في يوم من الأيام سيذهب إلى المدرسة، وسيصبح لديه أصدقاء. وعندما يصبح شاباً، سيقع في حب فتاة شابة وسينسى أمه تماماً، لأن امرأته الجديدة شغلت كامل كيانه، وصعقت مشاعره. وإذا لم يحدث ذلك، فهناك خلل ما. فإذا حاولت الأم التمسك به، فإنها لا تقوم بدورها كأم. وهذه المهمة متأدبة في المعاملة. فعلى الأم أن تساهم في تطور ابنها وتنامي قوته، لكي يستطيع تركها في يوم ما. هنا تكمن محبتها. عندها تقوم بواجبها. أما إذا استمر الابن في التمسك بأمه، فإنه يتصرف تصرفاً خاطئاً، ويسير عكس قوانين الطبيعة. ذلك شبيه بالنهر الذي قرر الجريان نحو الأعلى عكس التيار... فكل شيء ينقلب رأساً على عقب.

إن أمك هي منبعك. وإذا سبح الابن إلى أمه، فإنه يسبح عكس التيار. يجب الابتعاد عنها. فالنهر يجب أن يبتعد عن المنبع، متوجهاً إلى المحيط. ولكن ذلك لا يعني، أن الإنسان يجب ألا يحب أمه.

تذكر: المحبة تجاه الأم يجب أن تكون شبيهة أكثر بالاحترام وليس بالحب. فالمحبة تجاه الأم تشبه الامتنان والاحترام العميقين. لقد منحتك الحياة، وأخرجتك إلى النور. ومحبتك لها يجب أن تشبه الصلاة. افعل كل ما بوسعك لمساعدتها. ولكن محبتك لها لا يجب أن تكون مماثلة لمحبتك لفتاتك، وإلا فإنك ستخلط بين الأم والمحبوبة. عندما تختلط المفاهيم، تشعر بالحيرة. وتذكر جيداً: في الحياة عليك أن تعثر على الحبيبة - وهي ليست أمك بل هي امرأة أخرى. في هذه الحالة فقط ستصبح إنساناً ناضجاً فعلاً، لأن المغادرة إلى امرأة أخرى سيفصلك تماماً عن أمك، فينقطع الخيط الأخير الذي يربطك بها.

لهذا السبب تحضر في الحياة عداوة بالكاد تراها بين الأم وزوجة الابن، عداوة دقيقة جداً، وهي منتشرة في العالم كله. وهذا الأمر طبيعي، لأن الأم تشعر بأن المرأة الأخرى أخذت منها ابنها. ويمكننا أن نقول إن هذا الأمر طبيعي، ولكنه غير مُدْرَك. الأم يجب أن تكون سعيدة، لوجود امرأة أخرى عند ابنها. فطفلها لم يعد طفلاً، لقد صار ناضجاً، إنساناً راشداً. يجب أن تشعر بالسعادة، أليس كذلك؟

وهكذا فالإنسان يمكن أن يصبح ناضجاً فقط في حال مغادرته لأمه. وأمر مماثل يحصل على مستويات كثيرة من الوجود. في يوم من الأيام يجب أن يتمرد الابن على أمه، ولكن باحترام عميق. فالتمرد ضروري جداً. وهنا يجب إظهار رهافة الحس، حيث يحدث تمرد، مصحوب باحترام شديد. فإذا غاب الاحترام، فكل شيء يصبح قبيحاً، والتمرد يفقد رونقه. شيء ما يضيع من كل ذلك. عارض، كن حراً، ولكن احترم، لأن الأم والأب، هما منبع حياتك.

وهكذا يجب مغادرة الأهل. وأحياناً لا يكفي أن تغادر الأهل، بل يجب أن تسير ضدهما أيضاً. ولكن ذلك لا يجب أن يكون مصحوباً بالحقد. فذلك لا يجب أن يكون رديئاً، كل شيء يجب أن يكون جميلاً ومليئاً بالاحترام. فإذا قررت المغادرة غادر، ولكن انحني وقبل ثوب أباك وأمك. واشرح لهما، أنك بحاجة لمغادرتهما... ابكِ. وقل لهما، إن الأمر رغمٌ عنك، وإنه عليك الرحيل. تناديك الحياة، وعليك أن تذهب. الناس يكون عندما يغادرون بيت الأهل. ويتلفتون إلى الوراء مرات عديدة، وفي عيونهم الحنين. لقد كانت فترة رائعة. ولكن ما العمل؟

إذا استمررت في التمسك ببيت الأهل، ستبقى بليداً (غير مكتمل النمو)، ستبقى مراهقاً، ولن تصبح أبداً رجلاً مستقلاً. لهذا السبب أقول

لك: غادر باحترام. في اللحظة الصعبة قدم لهما يد المساعدة، وكن إلى جانبهما. ولكن لا تخلط بين أمك وحبيبتك، فهي أمك.

الرجل الآلي

لماذا يؤكد الصوفيون أن الإنسان آلة؟

الإنسان آلة لأن الإنسان يفكر ويتصرف بدون إدراك. فهو يمثل مجموعة من العادات.

الإنسان هو رجل آلي، فهو لم يصبح إنساناً بعد: وحتى يدخل الإدراك إلى حياته، سيبقى آلة.

لهذا السبب يؤكد الصوفيون، بأن الإنسان آلة. هذا التأكيد الصوفي بخصوص أن الإنسان آلة، صار معروفاً في الغرب بفضل غيورغي غوردجييف... عندها صُعِقَ الكثيرون بالإعلان المفاجئ لغوردجييف بأن الإنسان آلة، ومع ذلك فقد قال الحقيقة.

فمن النادر جداً أن يكون الإنسان مدركاً. فخلال سبعين سنة من حياته الساذجة (الاعتيادية) - هذا إذا كان بالإمكان تسميتها حياة أصلاً - من المستبعد أن الإنسان يدرك سبع لحظات فقط من مجموع لحظات حياته.

وحتى لو تصورنا، أنه كان لديه هذه اللحظات السبع أو أقل من الإدراك، فجميعها نتجت عن المصادفة، لا أكثر. فمثلاً، الإنسان يمكن أن يصبح مدركاً عندما يقوم أحدهم فجأة بتصويب مسدس إلى رأسه. في هذه اللحظة يتوقف تفكيره الآلي. ولثانية يصبح مدركاً، لأن الأمر خطير لدرجة يستحيل معها البقاء في نومك الاعتيادي.

يصبح الإنسان مدركاً في ظروف الخطر. وإلا فإنه يغفو سريعاً، فقد تعلم تعلماً ممتازاً كيف يتصرف بطريقة آلية.

إذا وقفت على حافة طريق وراقبت الناس، يمكنك أن تكتشف أنهم جميعاً يتحركون وكأنهم نائمون. جميعهم سائرون في المنام (مسرنمون).

اعتقلت الشرطة مشرَّدَين شاكة في ضلوعهما في جريمة قتل حدثت في المنطقة. اعتبرتهما لجنة المحلفين مذنبَين، وحكمَ عليهما القاضي بالإعدام شنقاً، ليرحمهما الرب.

وحتى صباح يوم الإعدام، كان الاثنان متماسكَين. وخلال تجهيزهما للتوجه إلى المشنقة، قال أحدهما للآخر:

- لا شك أنني جننت، لا أستطيع استجماع أفكاري. حتى أنني لا أستطيع تذكر أي يوم من أيام الأسبوع هو اليوم.

فأجابه الثاني: إنه يوم الاثنين.

فصاح المشرد الأول: أهو الاثنين؟ يا إلهي! إنها بداية مرعبة للأسبوع!

راقب نفسك ببساطة. فوصولاً إلى لحظة الموت، يستمر الناس بالتصرف منطلقين من عاداتهم القديمة. فقد حل اليوم الأخير بالنسبة للمُشَرَّدَين، جاء يوم الإعدام. ولن يعد لديهما أي أسبوع. ولكن وفق العادة القديمة، عندما سمع أن اليوم كان الاثنين، صاح أحدهما: "الاثنين؟ يا إلهي! إنها بداية مرعبة للأسبوع!".

الإنسان يستجيب بردود أفعال. ولهذا السبب يسمي الصوفيون الإنسان بالآلة.

وإلى أن يبدأ الإنسان بإدراك ما يحدث، وإلى أن يبدأ بتحمل المسؤولية... إن الاستجابة تولد من خبرة الماضي، أما الفعل المدرك

فيولد من لحظة الحاضر. الاستجابة ليست سوى عادة قديمة، في حين أن الفعل المدرك يكون عفوياً دائماً. راقب نفسك ببساطة. تخاطبك زوجتك: ومهما كانت إجابتك، فكر بها، زنها. هل هذه استجابة؟ ستفاجأ: فتسع وتسعون من أفعالك لا تعد أفعالاً فعلاً، لأنها أجوبة غير مدركة، بل ردود فعل آلية.

ردود فعل آلية لا أكثر. وكل ذلك يتكرر مرات كثيرة: فأنت تقول دائماً الأقوال نفسها، وعند زوجتك دائماً الاستجابة نفسها. ثم يأتي دورك لتستجيب، ومن جديد ينتهي كل شيء كالعادة. فأنت تعرف مسبقاً، ما الذي ستقوله، وهي تعرف كيف ستكون إجابتك.

كل شيء متوقَع.

لقد سمعت القصة التالية:

- بابا - سأل صبي في العاشرة من عمره - أخبرني كيف تبدأ الحروب؟

- حسناً يا ولدي - بدأ الأب - تخيل أن أمريكا تشاجرت مع إنكلترا...

- أمريكا لا تتشاجر مع إنكلترا - تدخلت الأم.

- ومن قال إنها تشاجرت؟ - سأل الأب، منزعجاً - كنت أريد فقط أن أقدم مثالاً افتراضياً.

- ما هذه السخافة! - تذمّرت الأم - إنك تملأ رأس الطفل بأفكار غبية.

- لا سخافة في ذلك! - اعترض الأب - فإذا استمع إليكِ، لن يكون في رأسه أي أفكار.

وما إن توتر الجو وأمسك الوالدان بصحنين، قال الابن:

- شكراً يا أمي. شكراً يا أبي. لن أسأل ثانية كيف تبدأ الحروب.

راقب نفسك ببساطة. فقد كررت مرات كثيرة في الماضي، الشيء الذي تفعله اليوم. إنك دائماً تستجيب استجابة متماثلة على الوضع نفسه. ورداً على نفس الوضع يكون سلوكك سهل التنبؤ به. إنك تشعر بالعصبية، وتُخرج سيجارة وتشعلها. إنها استجابة، في حالة العصبية دائماً كنت تفعل ذلك.

أنت آلة. والآن يتحكم بك البرنامج الذي بُرمِجتَ عليه، إنك تشعر بالعصبية، تمتد يدك إلى جيبك، وتخرج علبة سجائر. هذا الأمر يشبه قيام الآلة بالمهمة المطلوبة منها. تقوم بإخراج السيجارة من العلبة، تضعها في فمك، تشعلها، وكل هذا يحدث بطريقة آلية. لقد فعلت ذلك ملايين المرات، وتستمر بفعل ذلك الآن أيضاً.

ومع كل تكرار تزداد العادة رسوخاً، وتصبح الآلة آلية أكثر، وتزداد خبرة. وكلما زاد تكرار الفعل نفسه، كلما قلت ضرورة الإدراك لتنفيذه.

لهذا السبب يقول الصوفيون إن الإنسان يؤدي وظائفه كالآلة. من الضروري التخلي عن جميع هذه العادات الآلية... فمثلاً، افعل شيئاً معاكساً تماماً لما كنت تفعله دائماً.

جرب. مثلاً، عدت كالعادة متأخراً إلى بيتك. وتخشى الشجار مع زوجتك، التي تقوم باستجوابك. فتحَضِّر الأجوبة مسبقاً، وتفكر بما يجب أن تقوله: كان لديك عمل كثير، أو أي شيء آخر. هي تعرف أنك ستقدم تبريراً، وتعرف مسبقاً ما ستقوله مبرراً تأخرك في العودة إلى البيت. كذلك تعرف أنها لن تصدق قصتك حول تأخرك في العمل. فهي لم تكن تصدق ذلك يوماً. والأكثر من ذلك، لا شك أنها قامت بالتأكد من ساعة مغادرتك للعمل. ولكن كل هذا حدث في الماضي ويحدث وفق تقليد متبع. فلدى عودتك اليوم إلى بيتك تصرف بطريقة مغايرة تماماً. ستسألك زوجتك: "أين كنت؟" فقل لها: " كنت عند امرأة أخرى". وسترى ما يحدث. ستصعَق!

ولن تعرف بماذا ترد عليك، وستعجز عن انتقاء الكلمات، لتجيبك بشيء. سترتبك كلياً لوهلة لأنه في هذه الحالة، تكون الاستجابة القديمة غير مقبولة.

ولكن إذا كانت قد أصبحت آلة خبيرة، فمن المحتمل جداً أنها ستقول: "لا أصدق!" الأمر الذي كانت تفعله دائماً. "أنت تمزح!" ففي كل يوم تعود إلى بيتك...

سمعت قصة حول أحد المحللين النفسيين، والذي كان يقول لمريضه: "اليوم عندما تعود إلى بيتك..." بما أن المريض دائماً يأتي إليه بشكاويه: " إنني دائماً أخاف من العودة إلى البيت. فزوجتي تبدو بائسة، وحزينة، إنها دائماً يائسة، لدرجة أن قلبي يتقطع. أنا لا أريد العودة إلى البيت".

"ربما يكمن السبب فيك - رد المحلل النفسي - افعل التالي. اجلب لزوجتك اليوم أزهاراً، وبوظة وشوكولاته، وعندما تفتح لك الباب، عانقها وقبلها. ثم ساعدها في أمور البيت، اغسل الأطباق وامسح الأرض. افعل شيئاً جديداً تماماً، شيئاً لم تفعله في حياتك".

أعجب المريض بالفكرة، وحاول تنفيذها. فذهب إلى البيت. وعندما فتحت الزوجة الباب ورأت الأزهار والبوظة والشوكولاته، ورأت زوجها مبتسماً، والذي لم يكن في السابق يضحك أبداً، واقترب وعانقها، لم تصدق ما يحدث! لقد صعقت تماماً، ولم تصدق عينيها: فظنت أن القادم شخص آخر! وقررت أن تمعن النظر بدقة.

وعندما قبلها زوجها، وقام مباشرة بمسح الطاولة وغسل الأطباق، أجهشت بالبكاء، وعندما خرج الزوج من المطبخ، رأى أنها تبكي، فسأل: "ما الأمر، لماذا تبكين؟"

فسألته: "هل جننت؟ كنت أشك دائماً، أنك عاجلاً أم آجلاً ستجن. وها قد حدث ذلك. عليك أن تستشير محللاً نفسياً فوراً!".

توجد عند الصوفيين أساليب من هذا القبيل. فهم يقولون: تصرف تصرفاً جديداً تماماً، وذلك سيفاجئ الآخرين، وسيفاجئك أيضاً. على الأقل في الأمور البسيطة. فمثلاً عندما تتوتر، تبدأ بالسير بسرعة. فحاول ألا تمشي بسرعة، بل امش ببطء شديد وراقب ما سيحدث. ستفاجأ بشعورك بالارتباك مباشرة، وعقلك الآلي سيولول مباشرة: "ماذا تفعل؟ فأنت لم تفعل ذلك في السابق!" ولكن إذا مشيت ببطء، ستفاجأ مسروراً: سيتلاشى توترك، لأنك أدخلت إلى أفعالك شيئاً جديداً تماماً.

إنها أساليب فيباسانا ودزادزن (الآليات البوذية للتأمل). عندما تغوص فيهما، يمكن أن تكتشف، أنه في أساس هذه الآليات يكمن المبدأ نفسه. عند التنزه وفق طريقة فيباسانا، يجب السير أبطأ من أبطأ مشي مشيته. والبطء الشديد يجب أن يكون تجربة جديدة تماماً. إحساس غير اعتيادي تماماً، لدرجة أن العقل التفاعلي يتوقف عن أدائه الوظيفي. إنه يعجز عن أدائه لوظيفته، لأن مشياً بطيئاً كهذا غير مبرمج فيه أصلاً، فيتوقف عن الأداء الوظيفي أصلاً.

هذا هو السبب الذي يجعلك تهدأ عند أدائك فيباسانا، مراقباً تنفسك. فقد كنت تتنفس دائماً، ولكنك لم تقم بمراقبة التنفس في السابق: شهيق - زفير، شهيق - زفير، فيحتار العقل، ما الذي يحدث؟ إذ لم يحدث ذلك من قبل. الجِدّة تقود إلى أن العقل يصبح عاجزاً عن الاستجابة لحظياً. ولهذا السبب يجمد.

الفكرة هنا هي ذاتها. لا يهم من تكون، صوفي أو هندوسي، أو بوذي أو مسلم. فالغوص في حالة التأمل تتبع هدفاً هاماً: إزالة البرمجة الآلية عند الإنسان.

غوردجييف كان من عادته أن يطبق على تلامذته خدعاً مجنونة غريبة. فقد كان يقول للتلميذ النباتي في طعامه: "تناول اللحم". كان المبدأ مماثلاً، ولكن غوردجييف كان يبالغ قليلاً، فقد كان متطرفاً بعض الشيء، فهو يقول: "تناول اللحم". راقب النباتي الذي يأكل اللحم. فجسمه بالكامل يعارض، ويشعر بأنه سيتقيأ قريباً، وعقله محتار وقلق، ويبدأ تعرق غزير، لأن العقل عاجز عن حل المشكلة الجديدة. كان غوردجييف يريد أن يرى التالي: كيف يستجيب الإنسان في ظرف جديد. فالذي لم يكن يشرب الكحول أبداً، يقول له غوردجييف: "اشرب، واشرب أكثر قدر المستطاع".

وعلى العكس، الذي كان يشرب الكحول دائماً، كان غوردجييف يقول له: "اترك الشرب لمدة شهر واحد، لا تشرب بتاتاً".

كان يخلق ظروفاً يعجز العقل فيها على الاستجابة كالمعتاد فيصمت. لم يكن لديه جواب، لم يكن لديه إجابة جاهزة. العقل يعمل وفق تقليد متبع، كالببغاء.

لهذا السبب يستطيع معلم الدزن أن يضرب تلميذه أحياناً. والسبب هو نفسه. عندما يتوجه الإنسان للقاء المعلم، يستحيل أن يتصور أن بوذا قادر على ضربه. متوجهاً إلى بوذا يتوقع الإنسان أنه سيجد المحبة والرأفة والتعاطف، وأن المعلم سيغمره بالمحبة، ويضع يده على رأسه. بينما بوذا يوجه إليه ضربة مفاجئة . يأخذ شيئاً ما بيده ويضرب ضربة قوية على الرأس. فيستدعي ذلك صدمة. فهل يعقل أن يضرب بوذا أحداً ما؟ يتوقف العقل للحظة، فهو لا يعرف ماذا يفعل في الوضع الراهن، فيصمت.

وتوقف العقل هذا هو بداية فقط. أحياناً يصبح الإنسان متنوراً فقط لأن المعلم قام بعمل غير معقول.

الناس يسترشدون بالآمال، وهم يعيشون على الآمال. إنهم يجهلون، بأن المعلمين لا يدخلون ضمن أي أطر من الآمال.

في الهند اعتادوا على أناس مثل كريشنا وراما. ثم ظهر ماخافيرا، وكان عارياً تماماً. يصعب تخيل كريشنا عارياً، فقد كان دائماً يرتدي الثياب الرائعة والأكثر أناقة. كان أحد أجمل الناس في العالم، وكان يرتدي زينة من الذهب والألماس. وفجأة ظهر ماخافيرا. ما الذي أراد تحقيقه ماخافيرا من خلال مظهره العاري؟ لقد صَدَمَ البلاد بكاملها: فيما بعد هذه الصدمة ساعدت الكثيرين.

كل معلم يقرر بنفسه بأي طريقة يصدم تلاميذه.

الهند لم تعرف إنساناً شبيهاً لي منذ مئات السنين. مهما فعلت ومهما قلت، كل ذلك يولد صدمة. البلاد بكاملها مصدومة، رجفة قوية تمر عبر جسد البلاد. هذا الأمر يمتعني كثيراً، لأنهم ببساطة لا يفهمون...

لم آت لأحقق آمالكم. فإذا كنت سأتناسب مع آمالكم، فلن أستطيع تغييركم أبداً. لقد أتيت لأقضي على آمالكم. لقد جئت لأصدمكم جميعاً. تسبب هذه الصدمة سكون أدمغتكم. لن تستطيع الاستعداد لذلك، سيحدث ذلك بشكل مفاجئ، وفي تلك اللحظة تحديداً سينكشف لك شيء جديد.

إنني عمداً أقول أحياناً أشياء لا يُسمَحُ قولها. ولكن من تكونون، لتقرروا ماذا أقول وماذا لا أقول؟ فإذا لم يتناسب شيء مع آمالكم، فإنكم تستجيبون مباشرة استجابة تتناسب مع مقاصدكم القديمة.

إن الذين يتجاوبون مع الأحداث وفق مقاصدهم القديمة، يفقدون الجوهر. والذين لا يقيمون الوضع وفق تصوراتهم القديمة، يغوصون في

السكون، منتقلين إلى حالة جديدة. إنني أتحدث مع تلامذتي: وبطرائق متنوعة أحاول أن أضربهم. كل شيء يحدث بوعي تام. عندما أنتقد موراردجي ديساي (سياسي هندي)، فإن ذلك لا يتعلق به وحده. فأنا أنتقد أكثر موراردجي ديساي الذي في داخلكم، لأنه في كل شخص منا يقبع سياسي. وعندما أوجه الضربة إلى موراردجي ديساي، فإنني أوجه الضربة إلى موراردجي ديساي في داخلكم، إنني أضرب السياسي في داخلكم.

كل فرد يوجد في داخله سياسي صغير. والسياسي يعني السعي لإخضاع الآخرين لرغباته، والرغبة في أن الكون الرقم واحد. السياسي يعني حضور الغطرسة، والعقل المتكبر. وعندما أوجه الضربة إلى موراردجي ديساي، فيجرح ذلك أحاسيسك، تظن:"هذا الإنسان لا يمكن أن يكون متنوراً، ما حاجته ليستهزئ بموراردجي ديساي؟" فتستدعي منطقك الشخصي لمساعدتك. لا علاقة لك بموراردجي ديساي، ولكنك تنقذ ديساي الذي في داخلك، إنك تحاول أن تحمي السياسي في داخلك.

ليس لي أي علاقة بموراردجي ديساي المسكين؟ ولكن لي كامل العلاقة مع السياسي في داخلك.

يؤكد الصوفيون أن الإنسان آلة، لأن الإنسان يستجيب بالتناسب مع البرامج التي زرعت فيه. ابدأ بالتصرف بوعي، وستتوقف عن كونك آلة. وعندما تتوقف عن الكون آلة، تصبح إنساناً: ويولد إنسان جديد. راقب، كن يقظاً، أدرك، واستمر في التخلص من جميع ردود الفعل المتبعة في داخلك. وفي كل ثانية حاول أن تتعامل بوعي مع الواقع، وليس بالتناسب مع تصوراتك المبتذلة، عاكساً بصورة متشابهة الواقع المتغير دائماً من حولك. تجاوب مع الواقع بإدراك. ضع العقل جانباً، عش حياة عفوية.

وعندما تتصرف بطريقة عفوية، عندما لا تستجيب، يولد فعل جديد. الفعل رائع، والاستجابة قبيحة. الإنسان المدرك يفعل ويتصرف، أما الإنسان غير المدرك فإنه يستجيب. الفعل يُحرر. أما الاستجابة فإنها تزيد من سماكة القيود وصلابتها ومتانتها.

المُتهَوِّس الجنسي

الجنس موضوع دقيق، ومعقد، لأنه على امتداد قرون كان الاستغلال والفجور والشذوذ وفرض الشروط القسرية، مرتبط مع كلمة "الجنس". لقد أسيئ استعمال هذه الكلمة. إنها أحد أكثر الكلمات المستهلكة المبتذلة. فعندما نتلفظ بكلمة "الرب"، تبدو لنا فارغة. أما عندما نتلفظ بكلمة "الجنس"، فإن هذه الكلمة تولِّدُ الكثير جداً من القرائن الفكرية. آلاف القرائن في آن واحد تطفو على سطح الوعي، مثل الخوف والفساد والميل والرغبة التي لا تُقاوَم، وكذلك الاشمئزاز الذي يصعب التغلب عليه. جميع هذه القرائن تظهر في آن واحد. فكلمة "الجنس" بحد ذاتها تولِّدُ الارتباك والحيرة والبلبلة. الأمر شبيه بقيام أحدهم برمي حجر في بركة ساكنة، فينتشر الرذاذ والأمواج وكل ذلك بسبب كلمة واحدة هي "الجنس"! لقد عاشت البشرية وفق مفاهيم مشوهة جداً...

هل لفت انتباهك أنه في مرحلة عمرية معينة يبدأ الجنس بلعب دور هام في حياة الإنسان؟ وليس القصد أنك تبدأ باعتباره هاماً. بل يحدث ذلك رغماً عنك وليس بمبادرة منك، ذلك يحدث فقط. تقريباً بعمر الرابعة عشرة تظهر الطاقة الجنسية الهائلة ظهوراً مفاجئاً. ويتشكل انطباع، وكأنه فتحت عند الإنسان عيون خزانات. منابع غير مرئية للطاقة،

المغلقة حتى ذلك الوقت، فجأة فتحت، وكامل الطاقة عند الإنسان تصبح جنسية، وملونة بألوان جنسية. فالإنسان يفكر بالجنس، ويغني عن الجنس، ويمشي وهو يفكر بالجنس، كل شيء يصبح جنسياً. وكل فعل مرتبط بالجنس. ذلك يحدث بحد ذاته، فالإنسان لا يفعل شيئاً خاصاً ليحدث ذلك. إنها عملية طبيعية. كذلك التسامي هو عملية طبيعية. فإذا استسلم الإنسان للجنس بالكامل، بلا إدانة للجنس، ولا سعي للتخلص منه، فإنه بعمر الثانية والأربعين تنغلق عيون الطاقة الجنسية، تماماً كما فتحت في يوم ما بعمر الرابعة عشر. وهذا الأمر طبيعي جداً كظهور الطاقة الجنسية، فتبدأ هذه الطاقة بالنضوب، فيتسامى الجنس بلا أي تدخل من جانب الإنسان. وكل تدخل من جانب الإنسان سيكون له تأثير يزيد الوضع سوءاً، لأن الجنس لا يتوقف على جهود الإنسان. فالتعبير الجنسي هو حاجة فطرية طبيعية من حاجات الجسم الحي، هكذا هي طبيعة الإنسان. فنحن نولد كائنات جنسية، وليس في ذلك أي سوء. إنها الوسيلة الوحيدة للمجيء إلى هذا العالم. أن تكون إنساناً يعني أن تكون جنسياً. ففي لحظة الحمل بك لم يكن أبوك وأمك يصليان للرب، ولا يستمعان لمواعظ القسيس. ولم يكونا في الكنيسة، كانا يمارسان الجنس. ويبدو محرجاً التفكير بأن أبوك وأمك كانا يمارسان الجنس عند الحمل بك. كانا يمارسان الجنس وطاقتاهما الجنسيتان التقتا واتحدتا. هكذا كانت بدايتك، تحديداً أثناء الحميمية الجنسية الكاملة. الخلية الأولى كانت خلية جنسية، ثم ظهرت منها خلايا أخرى. ولكن كل خلية في جوهرها تعد جنسية. كامل جسم الإنسان جنسي، إنه مجموع من الخلايا الجنسية، البالغ عددها مليارات.

تذكر: الإنسان كائن جنسي. وما إن تتقبل هذه المُسلَّمة، حتى تزول الأزمة بكاملها، والتي تشكلت خلال قرون. وإلى أن توافق على ذلك

بالكامل، وبدون أن تشك بشيء، ناظراً إلى الجنس كحاجة طبيعية، سيصبح بإمكانك أن تعيش الأحاسيس الجنسية الحقيقية. فأنت لا تسأل، كيف تُصلِح طاقات المواد الغذائية، ولا تسأل كيف تُصلح طاقة التنفس، لأن الدين لا يُعلِّمُ ذلك. وإلا لكنت مهتماً بكيفية "تصعيد التنفس؟" ولكنك تتنفس ببساطة!

الحاجة إلى التنفس، كالحاجة إلى الجنس تعد بالنسبة للإنسان حاجة طبيعية. ولكن هناك فرق. فالسنوات الأربع عشرة الأولى من حياة الإنسان تمر تقريباً بلا جنس، وعند الحاجة القصوى تحدث لعبة جنسية بالأعضاء ناقصة النمو، والتي لا تعد جنسية تماماً، بل تحضيرية لا أكثر. ولكن في عمر الرابعة عشر تستيقظ الطاقة الجنسية فجأة.

انظر... وُلِدَ الطفل، وبعد ثلاث ثوان مباشرة، يجب أن يبدأ بالتنفس، وإلا فإنه سيموت. التنفس يرافق الإنسان منذ لحظة الولادة ويستمر طوال الحياة. ويستحيل تصعيد التنفس. ربما قبل الموت، بثلاث ثوان يتوقف التنفس، ولكن ليس قبل ذلك. دائماً تذكر: طرفا الحياة، أي بدايتها ونهايتها متماثلان تماماً. الطفل الوليد يبدأ التنفس بعد ثلاث ثوان. الإنسان العجوز يموت، وإذا توقف تنفسه، فبعد ثلاث ثوان يفارق الحياة.

يدخل الجنس إلى حياة الإنسان في مرحلة متأخرة جداً: أربع عشرة سنة يعيش الطفل بدون جنس. ولو أن المجتمع لم يكن مضطهداً فيما يتعلق بالجنس، وبالتالي مهووساً بالجنس، لعاش الطفل في جهل تام فيما يتعلق بوجود الجنس أو أي شيء مماثل. الطفل يمكن أن يبقى بريئاً تماماً. ولكن براءة كهذه باتت مستحيلة، لأن الناس مكبوتين بشدة. إن الكبت الجنسي يؤدي حتماً إلى الهوس الجنسي.

وهكذا يستمر القساوسة بكبت الغريزة الجنسية عند الإنسان، ولكن لديهم خصوم مثل هيو هفنر وآخرين ممن يستمرون بترويج الخلاعة أكثر فأكثر.

وبالتالي، من جهة هناك القساوسة، الذين يكبتون الجنس، ومن جانب آخر أعداء الدين، الذين يزيدون من تصوير إغراءات وجاذبية الجنس. إنهما موجودان معاً: وجهان لعملة واحدة. فمجلة بليبوي ستزول فقط مع زوال الكنيسة، وليس قبل ذلك. إنهما شريكان في التجارة. وهما يبدوان عدوين، ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا بهذا الخصوص. فهما يحاربان بعضهما بعضاً، ولكنهما قواعد لعبة واحدة.

سمعت قصة شريكين، أفلسا وأغلقا تجارتهما، فقررا بدء عمل بسيط. صارا يتنقلان من مدينة إلى أخرى. أحدهما كان يصل قبل الآخر، وليلاً كان يرش القطران على النوافذ والأبواب في بيوت المدينة. وبعد يومين أو ثلاثة كان يصل الثاني إلى المدينة ذاتها ويعرض خدماته ليس فقط لغسيل النوافذ والأبواب من القطران بل ولتصليح كل ما تعطل. في ذلك الوقت كان الأول ينشط في مدينة أخرى ليشوهها بالقطران. بهذه الطريقة جمعا مالاً وفيراً.

وهذا ما يحدث بالتحديد بين الكنيسة من جهة، وهيو هفنر وجميع الذين يصنعون الخلاعة ويروجونها من جهة ثانية.

سمعت قصة...

الحسناء الآنسة كيني توجهت للاعتراف في الكنيسة:

- أريد أن أعترف بأنني سمحت لخطيبي بتقبيلي.
- هل هذا كل ما فعلته؟ - سأل القسيس مهتماً.
- ليس تماماً. لقد سمحت له كذلك بوضع يده على ركبتي.
- وماذا بعد ذلك؟
- ومن ثم نزع عني ملابسي، ولم أعترض.
- حسناً، وبعد ذلك، بعد ذلك ماذا حدث؟..
- ثم دخلت أمي إلى الغرفة.
- اللعنة - تنهد القسيس.

إنهما يسيران يداً بيد، مشتركان في مؤامرة واحدة. فالمنع القسري الصارم يولد حتماً اهتماماً خلاعياً. والمشكلة تكمن في الخلاعة وليس في الجنس. فهذا القسيس صار عصابياً. المشكلة ليست في الجنس، إنما المشكلة عند هذا الشخص.

الراهبتان مارغريت إليس وفرنسيس كيترين كانتا تسيران في الشارع. وفجأة أمسك بهما رجلان، وسحباهما إلى مكان مهجور واعتديا عليهما.

- يا إلهي، سامحهما - رجت الأخت إليس - لأنهما لا يعرفان ما يفعلان.
- اصمتي! - صاحت الأخت كيترين - فهذا يعرف عمله.

وضع كهذا يصبح حتمياً. ولهذا لا تسمح ولا بفكرة سلبية واحدة بخصوص الجنس، وإلا فإنك ستعجز عن الحصول على الرضا التام من الجنس. أما الذين يعرفون الانفعالات الجنسية الحقيقية، يتقبلون الجنس كأمر بديهي. إنه ليس بالأمر السهل، أنا أعرف، فقد ولدت في مجتمع يُوَلِّدُ فيه الجنس عُصاباً عاماً. وكل شخص معرض لهذا العُصاب بدرجة أكثر أو أقل. ويصعب جداً الخروج من هذا العُصاب، وينجح في ذلك حصراً المتمتع ولو بالقليل من الإدراك. فالجهود لا يجب أن توجه نحو إصلاح الطاقة الجنسية، بل نحو تحويل الأخلاقيات الفاسدة من قبيل: الخوف من الجنس، كبت الجنس، القلق بخصوص الجنس.

الجنس رائع. فالجنس بحد ذاته هو ظاهرة طبيعية دورية. وهو ضروري عندما يكون الطفل جاهزاً للظهور إلى هذا العالم، وحسن أن الجنس موجود، وإلا لما كان للحياة وجود. الحياة موجودة بفضل الجنس، والجنس هو وسيلة لولادة حياة جديدة. واذا فهم الإنسان الحياة، وأحب

الحياة، فإن الجنس يصبح بالنسبة له مقدساً. عندها يتلاشى الإنسان في الجنس، فهو يجد فيه الفرح. وكما يأتي الجنس بصورة طبيعية، كذلك يغادر بصورة طبيعية. تقريباً عند عمر الثانية والأربعين يبدأ الجنس بالخفوت، بطريقة طبيعية كالتي ظهر بها. ولكن في الحقيقة كل ذلك يحدث بطريقة مغايرة.

إن كلامي حول انخفاض النشاط الجنسي عند الإنسان في سن الثانية والأربعين، يمكن أن يولد الدهشة. لأن الجميع يعرف أمثلة عندما يتسم أشخاص بعمر السبعين والثمانين بالنشاط الجنسي والعقلي. ولكن الجميع كذلك يعرفون تسمية "العجوز القذر". وهي تطلق على من يمكن تسميتهم بضحايا المجتمع. لأنهم عجزوا عن البقاء طبيعيين، فأصابتهم يقظة مرة بعد السَكَر، وحدث ذلك نتيجة أنهم كانوا يقمعون ميولهم الطبيعية، في الوقت الذي كان يجب عليهم فيه أن يفرحوا ويستمتعوا بالحياة. فهم لم يبتهجوا في لحظات الفرح العظيم، رادعين أنفسهم. ولم يحصلوا على هزة جماع حقيقية، كانت أفعالهم مترددة. والتردد دائماً يقود إلى تلكؤ الإنسان أكثر...

إن فهمي للموضوع كالتالي: إن الذين عاشوا بطريقة صحيحة، أو الذين عاشوا بطريقة طبيعية، يبدؤون عند عمر الثانية والأربعين بالسمو بطاقتهم الجنسية. أما إذا لم يلبوا خلال السنوات السابقة لهذه المرحلة العمرية حاجاتهم الطبيعية، وكبتوا الجنس، فإن مرحلة الثانية والأربعين من العمر تصبح بالنسبة لهم المرحلة الأكثر خطورة، لأن طاقتهم في هذا العمر تبدأ بالنضوب. ففي سن الشباب يمكن قمع الرغبات بدون التسبب بالضرر لصحتك، لأن الجسم يكون مليئاً بالطاقة. وتكمن سخرية الحياة في أن: الشاب يسهل عليه كبت رغباته الجنسية، لأنه يمتلك الطاقة الكافية لذلك. فهو قادر على كبتها وعدم السماح لها بالخروج. ولكن عندما

تنضب القوى الحيوية، وتقل، يبدأ الجنس بالإعلان عن نفسه بصوت عالٍ، وتصبح السيطرة عليه مستحيلة.

سمعت نكتة:

السيد ستاين البالغ الخامسة والستين من العمر، جاء إلى عيادة ابنه الدكتور ستاين، وطلب دواءً لزيادة النشاط الجنسي. فأعطاه الابن حقنة، ورفض أخذ المال. ومع ذلك أصر الأب ودفع عشرة دولارات.

بعد أسبوع جاء ستاين ليأخذ حقنة أخرى، فدفع لابنه عشرين دولاراً.

- ولكن يا أبي، الحقنة ثمنها عشرة دولارات فقط.

- خذ - قال العجوز - العشرة الثانية من عند أمك.

وسيستمر الوضع على هذا الحال... يجب الانتهاء من ذلك قبل أن تصبحوا جداً وجدة. لا تنتظر الشيخوخة، لأنه في الشيخوخة تصبح مساعيك في غير محلها. ففي الشيخوخة كل شيء في غير محله وفي غير وقته.

لماذا تفتنني الخلاعة إلى هذا الحد؟

يكمن السبب على الأغلب في تربيتك الدينية، وفي ارتيادك لمدرسة الآحاد، والا فليس هناك أي سبب للاهتمام بالخلاعة. فعندما يثور الإنسان ضد الواقع الطبيعي، يبدأ بالتخيل والتوهم. واليوم الذي ستختفي فيه من على وجه الأرض التربية الدينية، سيصبح نهاية الخلاعة. وليس قبل ذلك. يبدو الأمر متناقضاً ظاهرياً. فمجلات مثل بليبوي يمكنها

الوجود فقط بفضل الفاتيكان. وبدون البابا لن يكون لمجلات من هذا النوع أي وجود، لأنها لن تستطيع الحفاظ على بقائها. فلن يكون فيها أي مغزى. وراء كل هذا يقف القسيس.

ما هو مغزى الخلاعة، إذا كان من حولك الكثير من الناس الأحياء؟ لكم هو رائع أن تنظر إلى الأحياء! فأنت لا تهمك الشجرة العارية، أليس كذلك؟ لأن جميع الأشجار عارية! والآن تخيل أن جميع الأشجار جرى تغطيتها بأغطية، وبعد فترة تظهر مجلات سرية فيها صور لأشجار عارية! سيقرأ الناس هذه المجلات، ويخبئونها في الأناجيل، وسينظرون إليها ويحصلون على المتعة. جرب، وستتأكد من ذلك بنفسك.

ستختفي الخلاعة فقط في حال تقبل الناس أجسامهم العارية كشيء طبيعي تماماً. فلا أحد يشعر برغبة في تفحص صور القطط والكلاب العارية، والأسود والنمور، لأنها دائماً عارية! ففي الحقيقة، عندما يمر كلب بجانبك فإنك لا تلاحظ ذلك، ولا تنتبه لجسمه العاري. سمعت أنه في إنكلترا توجد سيدات تُلبِسن كلابهن الملابس. فهن يخشين من أن الكلاب العارية يمكن أن تقلق أياً من الأنفس المتدينة. كذلك سمعت أن برتران راسل في سيرته الذاتية، كتب أنه في طفولته، وكانت أزمنة فكتورية - كانوا يُلبسون الأغطية على أرجل الكراسي، لأنها كانت أرجلاً.

اسمحوا للإنسان أن يكون طبيعياً، وستختفي الخلاعة. من سيحتاج إلى مجلة بليبوي ولماذا؟ أما عندما لم يتم إرضاء شيء ما، وعندما لم يُرضَ الفضول الفطري عند الإنسان، تظهر الخلاعة...

تخلص من القسيس في داخلك، افترق عنه. وستكتشف أن الخلاعة اختفت. اقتل القسيس في عقلك الباطن - وسترى تغييرات مدهشة في حياتك، حيث ستزداد انسجاماً.

رجل أعمال مسافر، توقف في فندق لقضاء ليلته، ووجد في سريره إنجيلاً. وعلى الصفحة الأولى رأى كتابة تقول: "إذا كنت تشعر بسوء، افتح الصفحة اثنين وأربعين. وإذا كنت قلقاً بسبب أمورك العائلية، اقرأ الصفحة ثمانية وستين. وإذا كنت وحيداً، ابحث عن الصفحة اثنين وتسعين".

كان الرجل وحيداً، ولهذا فتح الصفحة اثنين وتسعين وقرأها. وعندما انتهى من قراءتها، رأى أن أحدهم أضاف بخط اليد: "إذا كنت لا تزال وحيداً كالسابق، اتصل على الرقم 62485 واطلب غلوريا".

بدون تأمل يمكن للرجل أن يجن، فالنساء ستجننه. ولكن التأمل أصعب على الرجل منه على المرأة. فالأم الخبيرة التي أنجبت طفلين أو ثلاثة، يمكن سؤالها عن جنس المولود، صبي أو بنت. ويمكنها أن تجيب بثقة، لأنها تعرف: أن البنت تكون هادئة في الرحم، بينما الصبي يبدأ بلعب كرة القدم، فهو يضرب بقدميه جدار الرحم هنا وهناك. البنات قادرات على الغوص في التأمل أعمق مما ينجح في ذلك الصبيان. من جهة يمكنهن الوصول إلى أعماق التأمل، ومن جهة أخرى هن سلبيات جنسياً، فالجنس لا يعد بالنسبة لهن حاجة ملحة.

لقد أدهشني ما اكتشفته من تجربتي الذاتية من خلال إقامتي في أوساط متنوعة من الرهبان والراهبات: ولا راهب واحد التزم بالعفة، في حين أن جميع الراهبات التزمن بذلك. فالراهبات يمكنهن السماح لأنفسهن بذلك، لأن شهوتهن الجنسية ليست عدوانية، والأكثر من ذلك، فقد اهتمت الطبيعة بإفراغ شحنة الطاقة الجنسية لديهن مرة كل شهر إفراغاً آلياً، فيعُدن لهدوئهن لمدة شهر جديد. بينما الأمر أصعب بكثير على الرجل، فطاقته الجنسية تتسامى فقط من خلال التأمل العميق. في هذه الحالة فقط لن يمسه الجنون.

فبدون تأمل عميق لن يستطيع الرجل أن يسمو بجنونه الجنسي...

مظاهرة طلابية تحولت إلى شغب. وفجأة انفصل رجل عن الحشد، حاملاً على يديه فتاة فاقدة الوعي.

- أعطني إياها، سأخرجها من هنا! - صاح الشرطي.

- هيهات - رد الرجل - اذهب وابحث لنفسك عن واحدة!

حتى في ذروة الفوضى، عندما يتم إطلاق النار على الناس، وعندما يموت الناس، فإن الإنسان يستمر في التفكير دائماً بالجنس.

الجنس هو التبعية الأكبر عند الإنسان.

يجب بذل المجهود الأقصى، لتنمية القدرة التأملية في النفس: عندها ستتحرك كامل الطاقة الجنسية إلى الأعلى، وليس إلى الأسفل. فعوضاً عن البحث عن امرأة جميلة، ابدأ بخلق رجل جميل في داخلك. وعوضاً عن البحث عن امرأة رشيقة، وجه طاقتك نحو جعل نفسك رجلاً رشيقاً.

ولكن الرجل أغبى من المرأة. فالتاريخ بالكامل صنعه الرجال، ويمكننا أن نرى نتائج هذا الجنون: إنه ليس تاريخ بشرية، إنه تاريخ جنون، وحروب، وعنف، وحرق الأحياء، إنه تاريخ الإبادة...

زوجان أحضرا ابنهما الصغير إلى السيرك. وعندما خرجت الغوريلات إلى الحلبة، كان الأب قد خرج ليدخن، فسأل الطفل أمه: "ما هو هذا الشيء الطويل الذي يتدلى بين رجلي الغوريلا؟" فارتبكت الأم وردت: "لا شيء، إنها سخافة يا بني".

وعندما عاد الزوج، خرجت الزوجة لشراء "البوب كورن"، وأثناء غيابها، أعاد الطفل السؤال على أبيه: "بابا، ما هذا الشيء الطويل الذي يتدلى بين رجلي الغوريلا؟"

فابتسم الأب وأجاب: "إنه القضيب، يا بني".

فاستغرب الصغير، وسأل: "ولماذا قالت أمي إنه سخافة؟"

"يا بني - رد الأب بفخر - لقد أفرطت في إرضاء هذه المرأة".

في صحبتك يبدو التنور والغبطة قريبين جداً، ويبدو عالم بوذا قريباً منا. فلماذا أتصرف مع فتاتي كالغوريلا الجامحة؟

مع الفتيات الجميع يتصرفون كالغوريلات. ولا ستشعر الفتيات بخيبة أمل كبيرة. فكلما زاد سلوكك شبهاً بسلوك الغوريلات كلما زاد رضا الفتاة عنك. راقب فقط: فسلوكك الخشن يجلب الفرح للفتاة، لدرجة أن ولا واحدة من معارفك لن ترغب بتفويت هذه الفرصة على نفسها. أما إذا تصرفت معها كسيد مهذب، فإنها ستصاب بخيبة أمل كبيرة.

التنور يتواجد على مسافة خطوة واحدة عن الغوريلا. ولا يهم أين تتواجد، فالتنور دائماً على بعد مسافة واحدة منك - على بعد خطوة واحدة. فلكي تصبح متنوراً يجب أن تخرج من جلد الغوريلا. والخروج من جلد الغوريلا أمر بسيط للغاية - ولكن من الذي يريد أن يكون غوريلا؟ أصعب بكثير التواجد في جلد الرئيس رونالد ريغن، أو رئيس وزراء البلاد، أو أغنى رجل في العالم. الأصعب أن تتخلى عن لعب الأدوار - فكل ذلك أدوار على مسرح دراما الحياة.

يأتي التنور أسرع وأسهل، إذا كنت تلعب دوراً، لا تحبه. إنك تكره هذا الدور من أعماق قلبك، ولكنك تستمر في لعبه من أجل فتاتك. هي أيضاً تحاول لعب دورها، ولكن غوريلتان في سرير واحد ستشعران بضيق المكان. ولهذا قرر الرجل أن على الفتاة أن تكون أنيقة ونبيلة، وأنها يجب

أن تستلقي بلا حراك، وعيناها مغلقتان، كي يكون بمقدوره القفز في أرجاء السرير كالغوريلا.

ولكن دورك لا يعجبك. وليس سيئاً أن تضع كاميرا فيديو لتصور سلوكك كالغوريلا. لاحقاً إذا شاهدت الشريط، ستخجل من تصرفك. وتفكر في نفسك: كيف تتصرف؟ يا لك من أحمق من الجيد أن الناس يطفئون النور. جميع المجتمعات في السابق كانت تعارض ممارسة الجنس أمام أنظار الجميع، على الشاطئ أو في الحديقة. جميع المجتمعات في السابق كانت تعارض قطعاً هذا الفعل لسبب هو أن ممارسة الجنس على الشاطئ ستُذكر البقية بـ: "أنا أيضاً أفعل ذلك، ولكن تحت غطاء الليل".

ولكن خطو الخطوة التي تفصل بين الغوريلا والإنسان، تعني أن تقوم بخطوة واحدة نحو إدراك أفعالك والتحرر من هذه الأفعال، تماماً كما تتخلص الأفعى من جلدها القديم.

اقفز خارج السرير وتحول إلى بوذا. افعل ذلك اليوم مساءً. جرب! تماماً في قمة ثورة الغوريلا، اقفز خارج السرير، واجلس جلسة اللوتس وكن بوذا! وأعدك، أن فتاتك ستصبح أكثر غبطة وأكثر سعادة: "أخيراً ظهرت لديك مشاعر من نوع ما". وستكتشف بدهشة، أن هذا المسار قريب جداً منك. يمكنك أن تحلم حلماً بأنك غوريلا، ويمكن أن تحلم حلماً بأنك رئيس، وفي أحلامك يمكنك أن تصبح أغنى رجل في العالم، ولكنها جميعاً تبقى أحلاماً. والحقيقة إن رؤيتك في منامك تحولك إلى غوريلا يعد كابوساً. جميع العلاقات الجنسية تتحول إلى كوابيس. والخروج من هذا الكابوس ليس سهلاً، ولكن الناس لا يستيقظون إلا عندما يتحول الحلم إلى كابوس. أما إذا كان الحلم لطيفاً وسعيداً فمن سيريد الاستيقاظ منه؟

أنت تتصرف كالغوريلا: من الجيد أنك على الأقل أدركت ذلك. إنه

فهم عظيم. والآن، حاول اليوم مساءً، أن تقوم بالخطوة الأولى نحو التنور، وغداً صباحاً سيرى الجميع، أن هذا الإنسان الذي كان يتصرف كالغوريلا، صار متنوراً. ما زالت العجائب تحدث.

ما الفرق بين الجنس العادي والجنس التانتريتي؟

الفرق بينهما جوهري. فالجنس العادي يجلب الارتياح، فهو شبيه بالعطاس الجيد. فالطاقة تجد مخرجاً، فتتحرر من تراكم الطاقة في داخلك. هذا الجنس مدمِر وليس بنّاء. إنه وسيلة علاجية جيدة. إنه يساعدك على الاسترخاء، ولكن ليس أكثر من ذلك.

في حين أن الجنس التانتريتي يختلف بشدة عن الجنس العادي، فهما في الحقيقة على طرفي نقيض. إنه لا يرخي، ولا يسمح للطاقة بالخروج إلى الخارج، فهو يفترض الجماع بدون بلوغ الذروة، وبدون قذف للطاقة، إنه استمتاع بالاتحاد منذ بداية الجماع، وليس في نهايته فقط. إنه سمة جديدة بالكامل، وأحاسيس جديدة تماماً.

حاول أن تدرك أين يكمن الفرق. يوجد نوعان لبلوغ الذروة، هزة الجماع، نوع معروف للجميع. يصل الإنسان إلى قمة الإثارة، وعند هذا الحد ينتهي كل شيء، ويستحيل أن يكون هناك استمرار. حيث يصل التهيج إلى نقطة يفقد فيها الإنسان السيطرة عليه. فتفور الطاقة، كالموجة، وتُقذَفُ إلى الخارج. لقد تحرر الإنسان، وشعر بالارتياح. لقد رمى الحمل عنه، وصار بإمكانه أن يسترخي وينام.

الإنسان يستخدم الجنس كمهدئ. إنه مهدئ طبيعي: يأتي بعده نوم صحي، شريطة ألا يكون العقل مثقلاً بالدين. وإلا فإن المهدئ لا يعمل. يجلب الجنس السكينة والراحة فقط في حال لم يكن العقل

معتماً بتأثير الدين. فإذا شعر الإنسان بشعور بالذنب، فإن نومه سيكون مضطرباً. وسيتولد لديه الاكتئاب، ويبدأ الإنسان بإدانة نفسه ويقسم بأنه سيتوقف عن مغامراته العاطفية. وعما قريب سيتحول نومه إلى كابوس. فالجنس يمكن أن يصبح وسيلة مهدئة فقط بالنسبة للإنسان المتقيد بقوانين الطبيعة والذي لم يرهق نفسه بالعقائد الدينية أو الأخلاقية الجامدة.

وهكذا فإن الوصول إلى ذروة الإثارة الجنسية هو النوع الأول من هزة الجماع. بينما التانترا تبنى على النوع الثاني من هزة الجماع. فإذا أطلقنا على النوع الأول تسمية هزة الجماع المبنية على الوصول إلى الذروة "قمة الجبل"، فإن هزة الجماع التانترية تكون منبسطة "كالسهول". فيها لا يصل الإنسان إلى قمة الإثارة، بل يتواجد في استرخاء عميق منبسط انبساط السهول.

الإثارة ضرورية فقط من أجل البداية، ومن أجل هزة الجماع القممية. ولهذا أؤكد على أن البداية واحدة عند النوعين، بينما الجزء الختامي مختلف.

الإثارة ضرورية لتحقيق نوعي هزات الجماع، بغض النظر إلى أين يتحرك الإنسان، إلى قمة الإثارة، أو إلى سهل الاسترخاء. في الحالة الأولى يجب أن تكون الإثارة قوية، وهذه القوة يجب أن تتنامى. يجب الاتحاد مع هذه الإثارة، ويجب مساعدتها على الوصول إلى الذروة. في الحالة الثانية تسبق الإثارة بداية الجماع فقط. وما إن يتحد الحبيبين، يمكنهما الاسترخاء مباشرة. ولا ضرورة للقيام بأي حركة. فهما يستطيعان الاسترخاء في أي عناق يريدان. وفقط عندما يشعر الرجل أو المرأة، بأن الانتصاب بدأ يضعف، تأتي للمساعدة حركة بسيطة وإثارة قليلة، يتلو ذلك الاسترخاء. هذا العناق العميق يمكن أن يستمر لساعات بلا قذف،

ويمكن للزوجين أن يغرقا في نوم عميق. هذه هي هزة الجماع السهلية. كلاهما يتواجدان في حالة استرخاء ويتحدان ككائنين مسترخيين.

في هزة الجماع العادية يتحد كائنان مثاران: متوتران، وممتلئين إثارة، ساعيين للتخلص من التوتر. هزة الجماع العادية تبدو مثل الجنون، وهزة الجماع التانترية تشبه التأمل المسترخي العميق.

ويمكن ألا يتوقع الإنسان ذلك، ولكنها حقيقة حيوية وطاقية: فالرجل والمرأة قوتان متعارضتان. قوة سلبية وقوة إيجابية، (إن) و(يان)، الرجل والمرأة يتنافسان مع بعضهما بعضاً. أما عندما يتحدان في استرخاء عميق، فهما يبثان الحياة الجديدة في بعضهما بعضاً. إنهما يحييان بعضهما بعضاً، ويصبحان مولدين للطاقة، إنهما يشعران بتدفق قوى جديدة ولا يخسران شيئاً. وتتجدد الطاقة فقط بفضل التقاء قطبين متعاكسين.

يمكن لجلسة الجماع التانتري أن تستمر طويلاً حسب الرغبة. أما الجماع العادي فلا يمكنه ذلك، بسبب فقدان الطاقة خلاله ويحتاج الجسم لفاصل راحة ليجدد قواه. وبعد تجدد الطاقة تسعى لخسارتها من جديد. يبدو ذلك فعلاً سخيفاً. وبهذه الطريقة تمر الحياة بكاملها: نكتسب ثم نفقد، نجدد ثم نفقد، ذلك يشبه الهوس. انتبه إلى الحقيقة التالية: ربما لاحظت وربما لا، أن الحيوانات لا تستمتع بالجنس أبداً. فهم لا يستمتعون بالجماع. راقب القردة أو الكلاب أو أي حيوانات أخرى. أثناء تزاوج الحيوانات يستحيل أن ترى على وجوههم تعابير الغبطة أو الاستمتاع، فذلك لا يحدث! فتزاوجهم يبدو فعلاً آلياً، فقوة طبيعية تدفعهم للتقارب. وإذا رأيت كيف يحدث ذلك عند القردة، ستعرف، أنهم يفترقون مباشرة بعد الجماع. انظر إلى وجوهها، فلا ذهول عليها، وكأنما لم يحدث شيء، إذ تحركهم الطاقة المتراكمة، فائض الطاقة، فهم يسمحون لها بالخروج.

الجنس العادي يشبه الجنس عند الحيوانات كثيراً، ولكن الوعاظ يؤكدون العكس. فهم يقولون: "لا تتساهل مع رغباتك، لا تبحث عن "المتعة". وهم يؤكدون: "هكذا تفعل الحيوانات". ولكن ذلك كذب! فالحيوانات لا تحصل على المتعة أبداً، هذا الأمر مميز للإنسان فقط. وكلما زاد عمق الرضا، كلما زادت المقدرة الروحية للجيل الجديد. إذا كان الإنسان قادراً على التأمل خلال الجنس، وإذا كان قادراً على اكتساب النشوة، فإنه يتقارب مع الرب. ولكن تذكر: تانترا هو الطريق إلى هزة الجماع السهلية، وليست صعوداً إلى القمة. إنه طريق إلى السهل!

في الغرب صار مصطلح الصعود إلى القمة معروفاً بشكل واسع بفضل آبراهام ماسلو. الإنسان يصل إلى ذروة الإثارة، ثم يسقط سقوطاً سريعاً إلى الأسفل. لهذا السبب يشعر بعد كل جماع بهبوط في القوى. وهذا الأمر طبيعي: لأنه يسقط من القمة. ولكن في الجنس التانتري لا يحدث ذلك أبداً. فلا أحد يسقط من أي مكان. فالسقوط يستحيل أن يحدث، لأنها منطقة سهلية. وعلى الأغلب الأمر معاكس، فالإنسان يحلق مرتفعاً إلى الأعلى.

في الجنس التانتري لا تسقط، بل تصعد. فأنت تشعر بأنك نشيط وحيوي ومتجدد وتشع نوراً. هذه النشوة الروحية يمكن أن تستمر لساعات، وحتى لعدة أيام. كل شيء متوقف على مدى عمق انغماسك فيه. فمن خلال الذوبان فيه، عاجلاً أم آجلاً تبدأ بإدراك أن القذف هو فقدان عبثي للطاقة. ولا ضرورة لذلك، إلا إذا كنت تخطط لإنجاب أطفال. بعد ممارسة الجنس التانتري، تشعر برضا عميق على امتداد اليوم، وعلى امتداد عدة أيام تشعر بالاسترخاء، وتصبح هادئاً، وطبيعياً، ومنشرح الصدر. شخص كهذا لن يشكل تهديداً للآخرين أبداً. على العكس، سيساعد الآخرين ليصبحوا سعداء، إذا استطاع. وإذا لم يستطع، فعلى الأقل، لن يسبب البؤس لأحد.

(فقط) التانترا يمكن أن تخلق الإنسان الجديد، وهذا الإنسان، سيدرك انعدام الزمن، وغياب الأنا، والاتحاد العميق مع الطبيعة، إنه سيزدهر.

الراهب

أغلب الأديان تُعلِّم التبرؤ من الزوجة والأطفال، والتبرؤ من العالم، ووسائل الراحة، وعن كل ما يجعل الحياة سعيدة. وفقط في هذه الحالة يمكن أن تأتي النجاة. إنهم يعلمون الناس الانتحار، إنه ليس ديناً. ولكنهم نجحوا في تحويل ملايين الناس إلى عصابة من المنتحرين.

ما إن تموت المحبة في نفس الإنسان، يموت فيه الكثير معها. فالذي محبته ميتة، يعجز عن رؤية جمال الحياة. وإذا عجز عن رؤية جمال وجه الإنسان، وعجز عن رؤية جمال الحياة وروعتها في جميع مظاهرها، فما الذي سيراه على قماش اللوحة؟ سيرى عدة ظلال من الألوان. إنه عاجز عن تقدير ميزاتها.

إن الذي محبته ميتة، يعجز عن تأليف الشعر، فبدون محبة يصبح شعره خالياً من الحياة. إنه شعر ميت، يمثل مجموعة من الكلمات تخلو من أي محتوى روحي. إنه ليس شعراً، بل جثة. إن الذي يعجز عن المحبة، يعجز عن أي نوع من الإبداع... فالقديسون كما يسمونهم، نذروا أنفسهم للعزوبية، فلم يُدخِلوا أي مدخول في تطور الحكمة البشرية، والإدراك، والجمال، والغنى، والموسيقى، والرقص. لا، لم يكن هناك أي فائدة من كل هؤلاء الرهبان والراهبات. كانوا فقط عبئاً زائداً على وجه الأرض.

لقد ساهموا فقط في نشر الإيدز. وهذا أمر طبيعي تماماً.

الحياة تظهر نتيجة الجنس، والحياة مكونة من الجنس. ويمكن جعل حالتك الجنسية دقيقة للغاية بحيث تتحول إلى محبة ورأفة. ولكن إذا حاصرت الطاقة الجنسية بنذر العزوبية الإلزامي، فإنك تقضي على أي إمكانية للكمال. إنه طريق إلى الموت. وهو منطق بسيط... أنصار نذر العزوبية أهدوا للعالم الإيدز، لأن نذر العزوبية أمر معارض للطبيعة البشرية، ومعارض لعلم الأحياء وعلم النفس البشريين، وهو يؤذي النظام الهرموني للجسم.

يجب أن نتذكر جيداً أن الجسم مستقل ذاتياً. فهو لا يعمل بأمر، إنه يمتلك برنامجه الذاتي ويعمل وفقاً له. أنت تأكل الطعام. ويمكنك اختيار ما تأكله، ولكن عندما يدخل الطعام إلى المريء، لا يعود بإمكان الإنسان أن يؤثر على سير عملية الهضم. الآن سيبدأ الجسم عملية الهضم، وتفتيت الطعام إلى أجزاء صغيرة، موجهاً هذه العناصر إلى مختلف أنحاء الجسم: فالدماغ سيحصل على ما يحتاجه، والأعضاء التناسلية ستحصل على ما تحتاجه.

الجسد لا يعرف أن سيده راهب مسيحي، وأنه نذر نفسه للعزوبية، فيستمر في إنتاج السائل المنوي. فماذا سيفعل به؟ النطاف لا يمكن حبسها إلى ما لا نهاية، لأن مستودعها صغير الحجم، وبمقدار امتلائه يجب أن يحدث إفراغ النطاف. تسرع النطاف إلى الخارج، لأنها تريد الخروج إلى العالم ورؤية ما يحدث هناك. هكذا جئتَ إلى هذا العالم، وهكذا جئنا جميعاً.

من الجيد أن والد غوتاما بوذا لم يكن راهباً. عدد من الأشخاص فقط - والد غوتاما، ووالد لاو تزي، ووالد خوان تزي، ووالد موسى، لم يكونوا رهباناً - فلو أن هؤلاء الناس كانوا رهباناً، لما وجدت أي ديانات سوى المسيحية...

هل فكرت في أن الرب المسيحي هو الثالوث، وأن أحد أجزاء هذا الثالوث هو الروح القدس؟ وأنه ليس من أنصار نذر العزوبية. الفعل الرباني العظيم! وبسبب ذلك لا يمكننا اعتبار الرب من مشجعي نذر العزوبية.

جميع هؤلاء الرهبان والراهبات، والأديان يفرضون على البشرية الموت، إنهم يقتلون البشرية. والنتيجة النهائية هي الإيدز... إنه سريع الانتشار، كالنار الجامحة. ويمكنه أن يقضي على البشرية.

لماذا قامت الديانات في الماضي برفض الحياة؟

لقد جرى استغلال الإنسان باسم الدين، فقد استغله القسيس والسياسي. لقد عقد السياسي والقسيس حلفاً سرياً ضد الإنسان. حيث يمكن استغلال الإنسان بطريقة واحدة فقط - هي إجباره على الخوف. فعندما تعيش في حالة رعب وذعر دائمين، تخضع بسهولة. عندما ترجف في داخلك، تفقد الثقة بالنفس. عندها ستصدق كل سخافة بسهولة. ويستحيل جعلك تؤمن بالسخافة، إذا كنت تثق بنفسك.

وتذكر، أنه بهذه الطريقة تحديداً استغلوا الإنسان على امتداد قرون. إنه السر الأعظم لما يسمونه بالأديان: أجبر الإنسان على الخوف، والشعور بعدم نفعه لشيء، والشعور بالذنب، وتصديق أنه على عتبة الجحيم.

بأي طريقة يمكن زرع هذا الخوف في نفس الإنسان؟ توجد طريقة واحدة: هي رفض الحياة، ورفض كل ما هو طبيعي. تتم إدانة الجنس، لأنه أساس الحياة؛ وتتم إدانة الطعام، لأنه الأساس الثاني للحياة، وتدان العلاقات بين الناس، والأسرة والصداقة، لأنه الأساس الثالث للحياة، وتستمر الإدانة على المسار نفسه.

كل ما هو طبيعي بالنسبة للإنسان، يجب إدانته، والإعلان عن أنه خاطئ: "إذا فعلت ذلك ستتم معاقبتك بالمعاناة. أما إذا لم تفعل ذلك، فستحصل على مكافأة. وإذا عشت حياة طبيعية سينهال عليك الجحيم، أما إذا سرت ضد الحياة، فإنك ستذهب إلى الجنة". هنا تكمن رسالة الماضي.

يعني ذلك أنك إذا كنت منتحراً، فإن الرب سيقبلك. وكلما قتلت مشاعرك وجسدك وقلبك، وتابعت إهلاك نفسك، وأكثرت من التسبب بالضرر لنفسك، كلما أحبك الرب أكثر. على هذا كانت تقوم جميع تعاليم الدين في الماضي البعيد. كانت تعتم وعي الإنسان، وتسمم حياته. هؤلاء الأشخاص سيئي النوايا استغلوا ذلك جيداً، واستغلوا الإنسان بلا رحمة.

جميع ديانات الماضي كانت توجه الإنسان نحو الموت، وكانت ترفض الحياة.

إنني أدعو إلى محبة الحياة: أن تحب الحياة بكامل تنوعها، لأنه السبيل الوحيد للاقتراب من الحقيقة العليا. هذه الحقيقة ليست بعيدة، إنها هنا، قريبة منك، إنها في كل مكان. فالرب موجود هنا، وليس هناك. التواجد في المكان والزمان الراهنين - هذا هو الواقع الأعلى، فالطبيعة متسامية. والرب ليس وراء الغيوم، بل هو فيك. وأنت لست عديم النفع، ولست آثماً.

إنني هنا لأساعدك على التخلص من الشعور بالذنب. إنني هنا لأساعدك على استرجاع ثقتك بنفسك. لن يكون بمقدور السياسي ولا القسيس استغلالك، في حال بدأت بالإيمان بقدراتك. لقد استغلوا الإنسان دوماً بمساعدة الخوف.

لقد سمعت القصة التالية:

في إحدى المرات تاه المُلا نصر الدين في الغابات. طوال النهار حاول الخروج منها، ولكنه عجز عن ذلك، فقد أنهك قواه، وكان جائعاً،

والدم ينزف من جروحه، وملابسه ممزقة، فالغابات كانت نائية برية. بدأ الظلام يحل، ومالت الشمس إلى المغيب، وقريباً كان يجب أن يحل الليل.

كان الرجل ملحداً، مقتنعاً بإلحاده، ولم يكن يصلي أبداً. ولكن في هذا الوضع فكر بالرب لأول مرة، كان يخاف من الظلام والحيوانات البرية بشدة. فنسي جميع حججه، التي كان كثيراً ما يستعين بها في نقاشاته حول وجود الرب، وجثا على ركبتيه، ورجا ربه: "يا ربي - وتلفت من حوله مرتبكاً بعض الشيء، كان يعرف أنه لا يوجد بجانبه أحد، ومع ذلك كان مرتبكاً، فطوال حياته كان يتبع فلسفة الإلحاد! ولكن عندما يدق الخوف الباب، وعندما تكون على بعد شعرة من الموت، من يفكر عندها بالمنطق والفلسفة؟ ومن يحتاج إلى الحجج والبراهين؟

فقال الرجل: "يا ربي العزيز، ساعدني على الخروج من هذه الغابة، وطوال حياتي سأصلي لك. وسأذهب إلى المسجد. وسأطبق جميع شعائر الإسلام. أعدك بذلك! فقط أنقذني. سامحني. سامحني على كل ما قلته ضدك. لقد كنت غبياً، غبياً جداً. والآن أعرف أنك موجود".

في هذه اللحظة حلقت فوق رأسه عصفورة وأسقطت شيئاً سقط مباشرة في يديه الممدودتين. نظر نصر الدين إلى يديه وصاح: "يا ربي لا ترسل لي أي قذارة! لقد تهت فعلاً".

في لحظة الخوف، حتى الذي كان طوال حياته ملحداً، يصبح مؤمناً بالرب. وكان رجال الكنيسة يعرفون ذلك، ويستغلونه طوال قرون. إن تاريخ البشرية بكامله مصاب بالرعب.

إن أفضل طريقة لزرع الخوف في نفس الإنسان - هي إجباره على الإحساس بالذنب في أبسط المسائل. فالإنسان عاجز عن الاستغناء عن حاجته، وعاجز عن الاستمتاع بها، بسبب الخوف من الجحيم، ولهذا فهو

مقيد مرتين. هذه القيود المزدوجة هي أساس استغلال الإنسان، لأنه يستحيل التخلي عن الميول والرغبات الجنسية، لأن أحد رجال الكنيسة تحدث عن ضرر هذه الميول. فمفهومي الضرر والنفع لا علاقة لهما بالجنس، لأن ممارسة الجنس يعد أمراً طبيعياً مميزاً لطبيعة الإنسان. بفضل الجنس ظهر الإنسان إلى هذا العالم، وكل خلية من خلاياه هي خلية جنسية. لا يمكن التخلي عن الجنس، بمجرد الإعلان عن ذلك. نعم يمكن كبت الجنس، ولكن بالكبت سيراكم الإنسان الطاقة الجنسية في لاوعيه، وهذا الأمر لم يعد آمناً. فالامتناع المطول عن الممارسة الجنسية يولد الهوس الجنسي. وكلما زاد هذا الهوس، كلما زاد الإحساس بالذنب. إنها دائرة مغلقة. بهذه الطريقة يقع الإنسان في فخ رجل الكنيسة. أما القسيس نفسه فإنه لم يؤمن بما يصرح به أبداً، تماماً مثل رجل السياسة. فكل هذا الهراء كان مخصصاً للشعب، للجماهير، وتم خداع الجماهير.

تتحدث المدونات التاريخية، عن أن الملوك كان لديهم مئات من النساء، والأمر نفسه يمكن قوله عن الخوارنة. ومثير للدهشة كيف استمر الناس في تصديق هؤلاء الدجالين... فالخوري والسياسي كانا يمارسان ما منعا الشعب من فعله. أحياناً كانا "يرتكبان الخطايا" سراً، وأحياناً علناً...

يسدد رجال الكنيسة ضربة قوية لقلب الإنسان ووعيه. إنهم يسممون الإنسان بفكرة أن الحياة هي شيء كريه. إنهم يعلمون الناس، كيفية التخلص من الحياة.

في حين أنني أعلمكم، كيف تغوصون في الحياة أعمق. إنهم يعلمونكم التحرر من الحياة. بينما أنا أسعى لتعليمكم كيف تجعلون حياتكم حرة. هم يعلمونكم كيف تنهون هذه الحياة، أما أنا فأعلمكم كيف تصلون إلى الغبطة الخالدة والوفرة في هذه الحياة. هذا هو سبب التناقضات. فوجهة نظري معاكسة للتي كانوا يعلموننا إياها باسم الدين.

إنني أحمل للعالم رؤية جديدة للدين.

إنها المحاولة الأكثر شجاعة، من بين جميع المحاولات التي جرى القيام بها في السابق: أي تقبل الحياة بكامل تنوعها، والفرح بها، والاحتفال بها، والسباحة فيها. إن دربي هو الفرح، وليس التبرؤ من الحياة. دربي هو الاحتفال، وليس الجوع. أن تكون فرحاً يعني أن تكون متديناً، لأن الدين بالنسبة لي عيد.

لا وجود لكائن حي آخر يعرف معنى الاحتفال، ولا وجود لحيوان يعرف معنى العيد. الكاباء تستطيع اللعب، والشمبانزي تستطيع اللعب، ولكن الإنسان فقط يستطيع الاحتفال.

الاحتفال هو الدرجة الأعلى من الوعي. إنني أعلمكم الاحتفال. مفتاحي هو الاحتفال.

الجنوسي (مشتهي المماثل)

منذ مدة اكتشفت لدي ميولاً جنوسية. وحسب رأي المختص، فإن مستواي الانفعالي يتناسب مع مستوى الطفل. هل يمكنك التعليق على ذلك؟

قبل كل شيء، لا تصنع من الحبة قبة. إذا كنت فعلاً تريد حل هذه المسألة، فلا داعي لتعقيد كل شيء. فما إن تصنع من ذلك مشكلة، يصبح حلها مستحيلاً. يمكن لكلماتي أن تبدو متناقضة ظاهرياً، ولكنني مع ذلك سأقول: تقبل جنوستك، فلا سوء فيها. يعتبر المجتمع الجنوسة انحرافاً، لكنها في الحقيقة لا تستحق اللوم. فمن الجيد أنك على الأقل تشعر بميل تجاه أحد ما. وهكذا وقبل كل شيء، تقبلها، ولا تقاوم، وإلا فإنك ستعجز

عن حل المشكلة. من خلال اعترافك بجنوستك، ستحصل على الفرصة لتتخلص منها. فكلما كرهت أكثر ميلك هذا، كلما جذبك الفتيان أكثر، لأن كل ما هو مرفوض مرغوب. تصالح مع هذه الحالة وستختفي.

إن الجنوسة هي مرحلة ضرورية على مسار تطور الرجل أو المرأة.

(يقصد أوشو المراحل الأربع للتطور الجنسي عند الإنسان، بدءاً من الجنس الذاتي في الطفولة وانتقالاً إلى الجنوسة التي تعد سلفاً طبيعياً للجنس مشتهي المغاير، وأخيراً المرحلة الأخيرة الختامية وهي براخماتشاري).

الطبيب على الأغلب محق: فقد علِقتَ في المرحلة الثانية من التطور. ولا شيء سيء في ذلك. الجنوسة يمكن تجاوزها فقط من خلال المرور عبرها. ارم جميع الخرافات والآراء الباطلة المحاكة حولها، فكل ذلك كان دعاية امتدت لقرون ليس أكثر. وأكرر إنها مرحلة تطور ولا شيء سيء فيها، إنها ليست إثماً. بتقبلك للجنوسة ستتجاوزها بلا شك، وستبدأ النساء بإثارة اهتمامك، ولكن لكي يحدث ذلك يجب أن تمر عبر هذه المرحلة.

من المحتمل جداً أنه كانت لديك أمٌ متسلطة، وهذا الأمر كثيراً ما يحدث. فمن النادر جداً أن تصادف زوجاً لا تتسلط عليه زوجته. كقاعدة هذا الأمر قليل جداً، وحتى لو صادفت هذه الحالات، فإنها تكون استثناءً يؤكد القاعدة لا أكثر. وهذا الوضع له أسبابه ذات الطابع النفسي.

بما أن الرجل دائم الصراع في عالم المنافسة، فإن طاقته الذكرية تنضب تدريجياً. ولدى عودته إلى بيته مساءً، يود قضاء وقته في حالة استرخاء وضعف. حيث يريد أن يرتاح من عدوانيته الذكرية، فقد صرف

طاقته في كل مكان: في المكتب، وفي الشركة، وفي السوق، وفي السياسة. في بيته لا يريد أن يصارع، بل يريد أن يرتاح، لأن غداً سيتابع الصراع. ولهذا عند عودته إلى البيت، يصبح الرجل ضعيفاً ورقيقاً. المرأة على العكس، تبقى ضعيفة طوال النهار، فهي لا تحل مشكلات عالمية - لأنه ببساطة ليس هناك أحد يحل هذه المشكلات معها. إنها تتعب من البقاء امرأة... الطبخ، التنظيف، الأولاد. وهي تريد أن تُفَرِّغ توترها، وتمنح المخرج لعدوانيتها، وتظهر طبعها. وهنا يأتي زوجها المسكين، فتصبح متسلطة، وزوجها لا يُظهر أي مقاومة، وهنا يكمن حجر أساس تحكم المرأة بالرجل. هذا الوضع يسبب المعاناة للأطفال: فهم يرون الأم المتسلطة، ويشفقون على أبيهم، وبسبب إحساسهم بالشفقة يريدون أن يحبوه. ولكنهم لا يستطيعون إظهار مشاعرهم: إنهم لا يستطيعون معارضة أمهم. لأنه حتى أبوهم غير قادر على معارضتها، فكيف سيفعل ذلك الأبناء. في عقولهم الباطنة يعارضون أمهم، فالأم المتسلطة تولد الاشمئزاز. هكذا يحدث التعرف الأول للأطفال على المرأة. لاحقاً، بعد أن يكبروا، سيخشون دائماً من أن امرأتهم ستكون شبيهة بأمهم. فهي ستتسلط وتتذمر وتأمر.

هذا هو سبب خوفك، بالإضافة إلى أنك ما زلت تشعر بالشفقة على أبيك. ذلك المسكين الذي لم يعطوه الفرصة أبداً ليتكلم. وبسبب عطفك على أبيك يجذبك الفتيان أكثر. ولكن لا تظن أنها مشكلة كبيرة، فكل شيء زائل. ابدأ بتقبل نفسك كما أنت ولا تشعر بأي ذنب. وقريباً ستندهش - سيبدأ في داخلك بالتنامي ميل هائل تجاه النساء. يمكن الشعور بالميل تجاه الرجال، ولكن الحصول على الإشباع الكامل مع الرجل مستحيل. فالإشباع يتطلب وجود النقيض، لأن النقيضين فقط يكملان بعضهما بعضاً. التواجد مع الرجل يمنح شعوراً جيداً - ولكنه أمر يختلف

تماماً عن الشعور بالحب العميق الصادق. يمكنك أن تكون سعيداً. ولكن أن تكون سعيداً يختلف تماماً عن أن تشعر بنشوة روحية.

فالنشوة الروحية ممكنة فقط عند اتحاد الطاقتين الذكرية والأنثوية، علماً أن النشوة الروحية لها وجه معاكس، فهي تولد الصدامات. وهنا يكمن الخوف كله: فقد شاهدتَ الصدامات كثيراً، وكنت تشعر بالخوف. ولكن النشوة الروحية رائعة، بحيث أنها تستحق هذا الصراع والصدامات والمشكلات. تذكر أن أفضل الأصدقاء هم الرجال فيما بينهم، أما الرجل والمرأة فلا يمكنهما أن يكونا صديقين. العاشقان يمكن أن يكونا عدوَين، أما صديقين فمستحيل. الرجال هم أفضل الأصدقاء، أما النساء فلا يتقنَّ الصداقة. حيث يصعب على النساء كثيراً محبة النساء الأخريات: فهن يعرفن جيداً بعضهن بعضاً، ويعرفن الكثير جداً عن بعضهن بعضاً. أما الرجال فهم قادرون على الصداقة، فالجنوسيون هم فعلاً شعب مرح، لأنهم لا يتشاجرون... ولكنهم لا يعيشون النشوة الروحية أيضاً. فالمغامرة لها ثمنها.

كلمة gay الإنكليزية لها معنيين "المَرح، الجنوسي".

وأقترح عليك التالي: تقبل جنوستك - وعما قريب ستتجاوزها. قريباً ستبدأ بإدراك نقيضك، أي المرأة. وهذا الإدراك ضروري، إنه جزء من التطور. يجب على الرجل أن يدرك المرأة، وعلى المرأة أن تدرك الرجل. وكلما تعمقت أكثر في هذا الإدراك، كلما زادت النشوة الروحية وزادت المشاحنات. فهما تسيران معاً، موازنتان بعضهما بعضاً.

العلاقات بين الرجال أكثر انسجاماً، يتخللها تفهم أكبر. أما العلاقات بين الرجل والمرأة فتتسم بالتشويش دائماً، حيث ينقصهما الفهم، لأنهما يمثلان عالمين مختلفين تماماً. فكيف يمكنهما أن يفهما بعضهما بعضاً؟ لا وجود لرجل واحد يستطيع فهم المرأة، ويستحيل على المرأة فهم

الرجل، وهنا تكمن روعة اتحادهما. فهذا يولد السرية والغموض... والخلاف. ولكن كبداية اعترف بجنوستك، ولا تقاومها، وستتجاوزها سريعاً.

إن الاتحاد بين كائنين متماثلي القطبية يستحيل أن يكون منسجماً، ولهذا أقول، إن الجنوسة أمر مناقض للطبيعة.

في الغرب تصبح الجنوسة ظاهرة متزايدة في الانتشار. اليوم يظن الجنوسيون أنهم متطورون ومتقدمون: فيفتتحون نواديهم، وأحزابهم، وينشرون مجلاتهم، ويمارسون الدعاية والخ. عاجلاً أم آجلاً ستصبح الجنوسة ظاهرة عادية، ومنتشرة في كل مكان. واليوم تسمح بعض الولايات في الولايات المتحدة الأمريكية الزواج بين الجنوسيين. فعندما يصر الناس، لا يبقى أمام السلطات إلا الانصياع، فالحكومة يجب أن تخدم اهتمامات الشعب.

إذا أراد جنوسيان العيش كزوجين، فلا يحق لأحد أن يمنعهما، فذلك طبيعي. وإذا قررت امرأتان أن تعقدا القران، فهذا أمرهما الشخصي. ولا يجب أن يمنعهما أحد، مع أن ذلك يعارض قوانين الطبيعة. فهذا أمر يخص الشريكين فقط، ولا يجب أن يتدخل بينهما أحد. فهذين الاثنين يجهلان أنهما يخرقان القانون الرئيسي لحركة الطاقة عند الإنسان.

الجنوسيون يستحيل أن يصبحوا أشخاصاً روحانيين. فهذا صعب جداً. فقد جرى تشويه قانون التبادل الطاقي، واختلت الآلية بكاملها. وإذا بقيت الجنوسة العالمية تتزايد بهذه السرعة فسيكون ضرورياً تطوير أساليب جديدة تماماً لجذبهم إلى التأمل.

بعد عشر سنوات من الخدمة في الجيش أرسلوا العسكر العاملين لإجراء فحوص طبية.

يخلع العسكر ملابسهم ويدخلون واحداً تلو الآخر إلى عيادة الطبيب.

يضع الطبيب السماعة على صدر العسكري الأول، ويقول: "صوفي لورين". فيبدأ قلب العسكري بالدق بسرعة: "دق! دق! دق!"

- راكيل ولش - يقول الطبيب ويسمع: "دق!دق!دق!"

- زوجتك - يقول الطبيب.

"دق!"

- ممتاز. قف هنا.

العسكري التالي يخضع للاختبار نفسه:

- مارلين مونرو - يقول الطبيب.

"دق!دق!دق!"

- زوجتك - لا استجابة - جيد قف إلى جانب ذلك الجندي.

يدخل إلى العيادة العسكري الثالث.

- صوفي لورين.

"دق!.. دق!.. دق!"

- بريدجيت باردو.

"... دق!.. دق!.. دق!"

- زوجتك.

"...دق!"

- غريب. حسناً، أنت أيضاً أمورك بخير. قف إلى جانب الآخرين.

"دق! دق! دق! دق!"

زوربا

هل قرأت كتاب زوربا اليوناني؟ اقرأه! يقول زوربا لرئيسه في العمل: " ينقصك شيء ما يا رئيس، قليل من الجنون! وإلى أن تقطع ماضيك لن تستطيع العيش حياة حقيقية". فجنون بسيط يعطي الإنسان بعداً جديداً، يمنحه هبة الشعر والشجاعة ليكون سعيداً في العالم البائس.

زوربا جميل على طريقته، ومؤلف رواية "زوربا اليوناني"، يعد أحد أفضل روائيي قرننا، وقد تضرر بشدة من يد الكنيسة.

زوربا - هو اسم مختلق، وليس شخصية تاريخية. عندما كتب كازانتزاكيس رواية "زوربا اليوناني"، تعرض للعنة من قبل الكنيسة. حيث وجهت الكنيسة لمؤلف "زوربا" إنذاراً نهائياً: "إما أن تتخلى عن الرواية، أو أن الكنيسة ستضطر لحرمانك". وبما أن المؤلف لم يتخلَ عن كتابه، فقد طردوه من المسيحية وحكموا عليه بعذاب الجحيم.

إن زوربا هو الجوهر الحقيقي لكازانتزاكيس، الذي تعمل المسيحية على قمعه. كان يريد العيش في وفاق مع طبيعته الداخلية، ولكنه لم يستطع. فذلك الجزء من حياته، الذي لم يسمحوا له بإظهاره، جسَّدَهُ المؤلف على شكل زوربا. زوربا إنسان رائع، لا يخاف من الجحيم، ولا يسعى إلى الجنة، يعيش حياة كاملة، مستمتعاً بالمتع الصغيرة في الحياة... الطعام والشراب والنساء. وبعد يوم عمل طويل يأخذ بيده آلة موسيقية ويرقص لساعات على الشاطئ.

في رواية "زوربا اليوناني" يوصَفُ جزء آخر من حياة كازانتزاكيس، التي سمحوا له بإظهارها في الواقع... زوربا الخادم، أما الجزء الثاني فهو السيد الذي استأجر زوربا للعمل لديه كخادم. السيد دائماً حزين، يجلس في المكتب، يدير مسك الملفات، لا يضحك أبداً، لا يخرج إلى المجتمع أبداً، ودائم الشعور بالحسد تجاه زوربا، لأن زوربا يكسب القليل، ولكنه يعيش كإمبراطور، بدون أن يفكر بالغد، وبما يمكن أن يحدث. إنه يأكل حتى الشبع، ويشرب كثيراً، ويغني ويرقص. أما سيده، الرجل الغني جداً، يجلس حزيناً، متوتراً، يعاني، ويتعذب، ويقلق.

زوربا هو الجزء غير الظاهر، المقموع المكبوت من حياة كل ما يسمى بالإنسان المتدين. فلماذا حشدت الكنيسة قواتها ضد زوربا، عندما خرج الكتاب من المطبعة؟ لقد كانت رواية ليس إلا، ولم يكن على الكنيسة أن تقلق كل هذا القلق. ولكن الرواية كانت تشير إلى أنه في كل مسيحي يوجد مسيحي آخر، لا يسمحون له بالحياة، كما كان يريد أن يعيش في أعماق نفسه، ولهذا كان يمكن للكتاب أن يصبح خطيراً. وهو فعلاً خطير.

ولكن زوربا رائع ببساطة. حيث يرسله كازانتزاكيس إلى المدينة للتبضع، ولكن الأخير ينسى كل شيء. فهو يشرب، ويزور بائعات الهوى، ويمرح، ويتذكر أحياناً أنه مر حتى الآن عدد من الأيام، ولكن ما زال معه بعض النقود. كيف يمكنه العودة وما زال معه نقود؟ سيغضب السيد، ولكن ما العمل، إنها مشكلته. بعد ثلاثة أسابيع، وقد بدا له أنها ثلاثة أيام، عاد زوربا بدون أن يشتري شيئاً مما أرسلوه لشرائه. ولكنه عاد مليئاً بالانطباعات: "يا لها من رحلة، يجب أن تذهب إلى هناك. لو رأيت الفتيات هناك... والنبيذ الذي لديهم!"

غضب السيد:

- أين المشتريات؟ صار لي ثلاثة أسابيع أنتظر.

- من سيفكر بسخافة كهذه، عندما تحتط به كل تلك الروعة؟ يمكنك أن تقتطع من راتبي الأسبوعي النصف، حتى أسدد لك ديني. اعذرني، ولكنني لم أستطع الحضور قبل اليوم. يجب أن تكون سعيداً، لأنني عدت. كنت مضطراً للعودة، لأن المال نفد لدي ولكن أعدك أنني في المرة القادمة سأشتري كل ما تطلبه مني.

- أنت لن تذهب إلى هناك ثانية، سأرسل أحداً آخر.

حياة زوربا هي حياة الفرح الجسدي البسيط، الخالي من الهموم، والإحساس بالذنب، والتفكير بالذنب والفضيلة.

نيقوس كازانتزاكيس يمثلك، إنه يمثل كل فرد فينا. لقد كان شخصاً بارزاً، ولكنه وقع ضحية الماضي. كان كازانتزاكيس يمتاز بإحساس مرهف، لهذا صار الانقسام الداخلي محسوساً لديه بهذا الوضوح. وبكونه ذكياً كفاية، استطاع أن يدرك انقسامه الداخلي، والذي أصبح سبباً لمعاناته الداخلية.

أن تكون مجزءاً هو عذاب الجحيم، أن تتصارع مع نفسك - تعذيب لا ينتهي. أراد الإنسان أن يفعل شيئاً، هنا يظهر جزء منه، أما الجزء الآخر فيقول له: "لا.. لا يجوز فعل ذلك. إنه إثم". فكيف يمكنك في هذه الحالة تحقيق السكينة الداخلية؟ فالذي يعجز عن أن يكون في وفاق مع نفسه، لا يستطيع أن يكون في وفاق مع المجتمع، ومع الثقافة، ومع الحياة. فالفرد هو طوبة من بناء هذا الكون.

أريد أن يعيش زوربا كهذا في داخل كل فرد فينا، لأن زوربا يعكس الطبيعة الحقيقية للإنسان. ولكن لا يجوز التوقف عند مرحلة زوربا، فزوربا هو البداية فقط.

إنني راغب في أن يكون الإنسان زوربا اليوناني وغوتاما بوذا معاً، في آن واحد. فقط في اتحاد كهذا يمكن تحقيق المراد. فزوربا يمثل

الأرض بجميع أزهارها ونباتاتها وجبالها وأنهارها ومحيطاتها. وبوذا يمثل السماء بنجومها وغيومها وقوس قزحها. والسماء بلا أرض كانت ستكون فارغة. السماء لا تستطيع الضحك بلا أرض. والأرض بلا سماء كانت ستكون ميتة. وَجِدْهُما معاً وستولد رقصة. الأرض والسماء ترقصان معاً... والضحك في كل مكان، والمرح، والعيد.

فإذا استطاع الإنسان أن يكون زوربا، فإنه لم يعد بعيداً عن بوذا. فقد قطع حتى الآن نصف المسافة. والقسم الأول من الطريق هو الأكثر صعوبة، لأن جميع الديانات تقوم ضده. جميع الديانات تشد الإنسان بعيداً عن هذا النصف الأول، وإذا نجحوا في إضاعة الإنسان، فإنه لن يصبح بوذا أبداً، لأنه إلى بوذا يقود طريق واحد فقط، وزوربا هو الطريق إلى بوذا.

> منذ أن التقيتك، صرت أقع في الحب من جديد، وأضحك وأرقص. لقد فتحتَ عيناي على الجمال وعلى شِعر الحياة. إنني أشعر بأنني عدت شاباً، كما كنت في طفولتي، إنني مبهور بالجمال المحيط بي: الوثني الشاب، الذي يتجول باستمتاع عبر العالم، والذي يشرب الرحيق، مستمتعاً بكل قطرة منه. فهل ذلك غير أخلاقي؟

لا إن ذلك قمة الأخلاق. إنها الأخلاق الوحيدة في العالم؟ أن تكون وثنياً، وتعصر كامل العصير من كل لحظة من لحظات الحياة، أن تكون كالطفل، بريئاً، تركض من جديد وراء الفراشات، وتجمع الأصداف البحرية والحجارة الملونة على الشاطئ، وأن ترى جمال الحياة المحيطة بك،

وتسمح لنفسك بالحب وبأن تكون محبوباً. المحبة هي بداية الدين، والمحبة هي أيضاً نهاية الدين.

الإنسان المتدين شاب دائماً. حتى عندما يموت يبقى شاباً. وحتى في موته يمتلئ فرحاً ورقصاً وغناء.

إنني أعلمكم كيف تكونون وثنيين، أعلمكم كيف تكونون أبرياء مثل الأطفال. أعلمكم كيف تدركون الأعاجيب وأسرار الحياة، ليس تحليلها، بل الاستمتاع بها، محولين إياها إلى رقصة وليس إلى نظرية.

جميع الأحياء يرقصون ما عدا الإنسان. لقد تحول الإنسان إلى مقبرة كبيرة. إنني أدعوكم لهجر قبوركم.

لا، إن ذلك ليس عديم الأخلاق. جميع الديانات ستؤكد على أن هذا السلوك غير أخلاقي، ولكن جميع الديانات مخطئة. فالذي يقول إن ذلك غير أخلاقي، يقوم ضد البشرية، وضد الحياة، والفرح، والغبطة، وضد كل ما يقود إلى الغبطة. وأنا بالكامل أدعم كل هذا.

القسم الثاني

الرجل والمرأة
وحيدان بحد ذاتهما
ولكن المحبة تولد
عند اتحاد نفسين.
التصوف الباوولي

حواء

أحياناً أشعر بأنني رجل وأحياناً بأنني امرأة. فهل هذا طبيعي؟ أم أنني أصاب بالجنون؟

كل إنسان يحمل في نفسه البدايتين الذكرية والأنثوية، ومن الضروري إدراك ذلك. من الجيد أنه لديك أحاسيس مماثلة، إنه تغلغل إلى الجوهر نفسه. كل شخص لديه صفات ذكرية وأنثوية. ولكن حتى الآن تنتشر في المجتمع الآراء الباطلة، لقد ربونا وعلمونا، بأن الرجل - هو الرجل، والمرأة هي المرأة. إنها حجة كاذبة، تُناقِضُ طبيعة الإنسان بحد ذاتها. فإذا أجهش الرجل بالبكاء، سيقولون له: "لا تبكي، أنت لست امرأة، لا تبكي مثل النساء، ولا تكن الابن المدلل لأمك". ولكن هذا هراء: فالرجل لديه نفس العدد من الغدد الدمعية مثل المرأة. فلو أن الطبيعة كانت ضد أن تبكي، فلما زودتك بالغدد الدمعية. من هذه الناحية المجتمع المعاصر يمارس الاضطهاد على الرجل. وإذا تصرفت الفتاة الشابة كالرجل، وإذا اتصفت بالتعجرف والإصرار، فإن المحيطين يظنون أن لديها مشكلات صحية، واضطرابات هرمونية. فيسمونها بالصبي المشاكس، وليس بالفتاة. ما هذا الهراء! إن تقسيماً كهذا ليس طبيعياً، وله أسباب سياسية واجتماعية.

لقد جرى إجبار المرأة على لعب دور المرأة أربع وعشرين ساعة في اليوم، وإجبار الرجل على لعب دور الرجل بلا استرخاء. إن ذلك يناقض الطبيعة وصار سبباً لمصائب كثيرة في العالم.

أحياناً يحتاج الرجل ببساطة لأن يكون لطيفاً ورقيقاً. وأحياناً يجب أن يقوم الزوج بمهام الزوجة والزوجة بمهام الزوج. هكذا هي طبيعة

الإنسان. في هذه الحالة سيزيد الإيقاع والانسجام. فإذا لم يُطالَبْ الرجل بأن يكون متحلياً بالرجولة أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، فإنه بإمكانه الاسترخاء. في هذه الحالة ستتصرف المرأة بطبيعية وعفوية أكثر.

أحياناً، في ثورة الغضب يمكن أن تكون المرأة أكثر خطراً من الرجل، وفي بعض الحالات يمكن للرجل أن يكون أكثر رقة من المرأة. هذه الحالات تتناوب باستمرار. وكلا الظاهرتين طبيعيتين، ولا يجب التفكير بأن ذلك جنون، لأن الثنوية هي جزء من الطبيعة.

لقد كنت محظوظاً، لتمكنك من النظر إلى جوهرك. لا تفقد هذه الهبة ولا تقلق بخصوص صحتك النفسية: فعدة ساعات يمكنك أن تكون رجلاً، وعدة ساعات يمكنك أن تكون امرأة. وإذا راقبت بدقة، لن يصعب عليك أن تحدد بنفسك، كم من الوقت تغلب عليك السمات الذكرية، وكم من الوقت تغلب السمات الأنثوية. فهما تتبادلان دورياً. في اليوغا درسوا طويلاً هذه الأسرار الداخلية. فمراقبة التنفس الذاتي يسمح بدقة بتحديد الفترة الزمنية للجزء المسيطر. فإذا كنت تتنفس بصورة رئيسية عبر المنخر الأيسر، فإنها سمة أنثوية. أما التنفس عبر المنخر الأيمن فإنه سمة ذكرية. تبادل كهذا يحدث تقريباً كل 48 دقيقة.

الانتقال من البداية الأنثوية إلى الذكرية يحدث باستمرار، نهاراً وليلاً. عند التنفس بالمنخر الأيسر يبدأ بالعمل نصف الكرة الدماغية الأيمن، إنه النصف الأنثوي. المنخر الأيمن يشغل نصف الكرة الدماغية الأيسر، وهو النصف الذكري. ويمكنك أن تقوم بالاختيار الواعي بنفسك.

في ثورة الغضب افعل التالي: أغلق المنخر الأيمن وتنفس من خلال الأيسر. بعد عدة ثوان سيزول الغضب، لأن العدوانية سمة ذكرية. جرب كيف يعمل ذلك، وستدهش. فمبادلة التنفس بين المنخرين،

يساعدنا على تحقيق تغييرات مدهشة. فإذا كنت مليئاً بالغضب على العالم كله، تنفس من خلال المنخر الأيسر، أطلق عنان خيالك، وستشعر فجأة بدفء يغمرك.

بعض المسائل تُحَلُ بطريقة أسهل، عندما يشغل الإنسان البداية الذكرية. فعند ممارسة العمل العضلي الجسدي القاسي، مثلاً عند نقل حمل ما، انتبه إلى المنخر الذي يعمل خلال تلك الفترة. يجب أن يكون المنخر ذكرياً. وإلا فإن الجسم سيكون في خطر، لأنه سيكون مسترخياً. أما خلال اللعب مع الطفل أو عند التنزه مع الكلب، يجب أن توجه نفسك نحو السمات الأنثوية، عندها سيزداد التفاهم المتبادل. كذلك يجب للبداية الأنثوية أن تسود عند كتابة الشعر، وعند الرسم أو تأليف الموسيقى... شريطة ألا يكون نشيداً عسكرياً! فتأليف النشيد العسكري يحتاج إلى العدوانية، وبالتالي إلى غلبة السمات الذكرية. راقب، وستتعلم تدريجياً التمييز بين هذين القطبين.

من الجيد أنهما موجودان: هكذا تعطي الطبيعة للإنسان إمكانية الاستراحة. فعندما يرتاح النصف الذكري، يعمل النصف الأنثوي. وعندما يرهق النصف الأنثوي، تعود للظهور السمات الذكرية. هكذا تعمل الآلية الداخلية: وتحدث تغييرات دائمة. ولكن المجتمع يطالبه بمطالب لا أساس صحيح لها: وهو أنه على الرجل أن يكون رجلاً أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، وهذا أمر صعب للغاية. وعلى المرأة أن تكون امرأة اليوم بطوله - لطيفة، ورقيقة، ومحبة، ورؤوفة، وهذا الأمر صعب للغاية، لأنها هي أيضاً تريد أحياناً الدخول في صراع، والغضب، وبعثرة الأشياء... وهذا الأمر جيد، إذا كنت تفهم طبيعة التغييرات.

انتقال هذين القطبين أحدهما إلى الآخر - هو لعبة باطنية جيدة، هي لعبة الإدراك. هكذا تثنى الرب في داخلك، ليلعب منعك لعبة

"الغميضة". وعندما تنتهي اللعبة، بعد أن تتعلم الشيء الذي يجب أن تتعلمه، وعندما تستوعب الدرس - تكون قد نجحت في الامتحان.

الدرجة العليا من التطور - ليست ذكرية ولا أنثوية، إنها محايدة.

في أعماق نفسه يدرك الرجل، أن المرأة تمتاز بالشيء الذي ينقصه . فالمرأة جذابة، وتبدو في صورة جميلة. إنه يقع في حبها ويولع بها، ومن هنا تنبع جميع المشكلات.

شعور الرجل بعدم القدرة على الاستغناء عن المرأة، تجبره على التصرف بهذه الطريقة، لاستعباد المرأة، وصنع عبد روحي منها. كما أنه يخشى من جمالها. فهي ليست جميلة فقط في عينيه، فكل من ينظر إليها أو يتعامل معها يرى جمالها. فتولد غيرة هائلة في العقل الأناني الشوفيني (المتعصب). وصار الرجل يتعامل مع المرأة بالطريقة التي اقترحها ميكافيلي على السياسيين ليتصرفوا وفقاً لها - فالزواج يشابه السياسة.

كان ميكافيلي ينظر إلى الهجوم كأفضل وسيلة للدفاع، وكان الرجال لقرون يستخدمون هذا التكتيك، وذلك منذ فترة طويلة جداً قبل أن يعترف ميكافيللي بهذا المبدأ على أنه الأساسي في جميع مجالات الحياة السياسية. لتحقيق سيادة وسيطرة أي عِرق، كان الهجوم بلا شك هو الأفضل كوسيلة للدفاع. فعندما تدافع عن نفسك، تخسر التربة تحت قدميك، وتعترف بأنك الضحية. إنك تدافع لا أكثر.

في الهند يوجد كتاب ديني عنوانه مانوسمريتي، وعمره خمسة آلاف سنة. سجل فيه أنه من أجل الهدوء والسكينة في البيت من الضروري أحياناً توبيخ الزوجة. ويجب أن تشعر بنفسها وكأنها في السجن. بهذه الطريقة تعيش النساء في مختلف البلدان والثقافات، فوضعهن متشابه

تقريباً. والسبب كله كامن في أن الرجل متعطش لإثبات تفوقه... وتذكر، أن سعيك لإثبات شيء ما، يثبت قبل كل شيء، غياب هذه السمة عندك. فالتفوق الحقيقي لا يحتاج لإثباتات وحجج. التفوق الحقيقي معترف به مباشرة من قبل كل من يمتلك ولو غراماً من الإدراك. فتفوق كهذا له جاذبيته الخاصة.

إن لوم الرجل للمرأة يهدف للإبقاء على سلطته عليها، فيقوم الرجل بإذلال كرامتها الإنسانية. ما الذي يدفع الرجل لمعاملة المرأة بهذه الطريقة؟ إنه الذهان الكبريائي (البارانويا) ولا شيء آخر. الرجل دائماً يقارن نفسه بالمرأة، ويفهم أن المرأة تتفوق عليه. فمثلاً هي تتفوق عليه في عدد هزات الجماع، لأن الرجل يمكن أن يعيش هزة جماع واحدة، أما المرأة فعدد من هزات الجماع، وعدة مرات. وبسبب ذلك يشعر الرجل نفسه عاجزاً تماماً: فهو عاجز عن أن يمنح المرأة كامل أحاسيسها الخاصة بهزات الجماع. وقد ولّد ذلك أحد أكبر خيبات الأمل في العالم: فبكونه عاجزاً عن إرضاء المرأة لتعيش مجموعة من هزات الجماع، بات الرجل بشكل عام لا يحاول إرضاء شريكته، فذلك يمكن أن يمثل خطراً عليه.

فإذا شعرت المرأة بهزة جماع، فإنها تدرك أن هزة جماع واحدة لا تكفيها، وأنها تريد أكثر من ذلك. ولكن الرجل لم يبق منه شيء، ولهذا تكمن الحيلة في إخفاء حقيقة وجود هزة الجماع أصلاً عن مدارك المرأة وعندما تُحرَم المرأة من المتعة، يعاقب الرجل نفسه بنفسه، لأنه في هذه الحالة لن يحصل على شيء أصلاً. من الضروري فهم التالي: الجنس عند الرجل نقطي، مرتبط فقط بالأعضاء الجنسية والمركز الجنسي في الدماغ. عند المرأة الأمور مختلفة تماماً: فالجنس عند المرأة له علاقة بالجسم بكامله، فجسمها منطقة شبقية بالكامل. إحساس الرجل موضعي، وضئيل المساحة، أما إحساس المرأة فهو هائل. الرجل يحصل

على الرضا خلال عدة ثوان، في حين تكون المرأة بالكاد بدأت تشعر بالحرارة. الرجل يسرع كثيراً، وكأنه يؤدي واجباً ويريد الانتهاء منه سريعاً.

وأنا أسأل نفسي - ما حاجة الرجل إلى الجنس أصلاً؟ ثانيتان أو ثلاث - وانتهى كل شيء! المرأة ما إن بدأت تسخن، في حين أن الرجل قد فقد كل اهتمام بالموضوع. حتى أنه لم يشعر بهزة الجماع، لأن القذف هو ليس هزة الجماع. ثم يدير ظهره لشريكته وينام على جنبه، أما النساء، ليس امرأة واحدة فقط، بل ملايين النساء يبكون بعد تجربة جنسية كهذه، شبيهة بالتعذيب. الرجل يغوي المرأة، ولكن قبل أن تبدأ بالإحساس بأي شيء، يخرج هو من اللعبة.

إني أحاول أن أبين لك، أنه وراء كل ذلك يختبئ سبب جدي: فلحرمان المرأة من هزة الجماع، يجب على الرجل أن ينهي لعبة الحب سريعاً. هكذا تفقد المرأة شيئاً رائعاً، شيئاً مقدساً، ولكن الرجل أيضاً ينال النصيب نفسه.

وهزة الجماع هي ليست المجال الوحيد الذي تتفوق فيه المرأة على الرجل. ففي العالم كله تعيش النساء أكثر من الرجال خمس سنوات على الأقل. وهذا يعني أن مقاومة أجسامهن أعلى وكذلك قوة تحملهن ومناعتهن. النساء تمرضن أقل من الرجال، واذا مرضن فيشفين أسرع. إنها معطيات علمية.

ومقابل كل مئة وخمسة عشر صبياً تولد مئة بنت. فلماذا مئة وخمسة عشر؟ الطبيعة أكثر دراية بأمورها. فحتى سن الزواج سينخفض عدد الذكور بمقدار خمسة عشر ذكراً ويبقى عدد متساوي من الذكور والإناث! والبقاء عند الإناث أعلى من الذكور. نسبة الانتحار عند النساء أقل بمرتين من الرجال، مع أن النساء يهدِدن بالانتحار ويتحدثن عنه أكثر من الرجال. الرجال عادة لا يتحدثون حوله... النساء تثرن ضجة حول الانتحار،

ولكنهن دائماً سيفضلن البقاء أحياء، لأنهن لا يلجأن إلى أساليب فعالة، كالرجال. إنهن تخترن الأساليب الأكثر راحة، والأكثر علمية، والأكثر عصرية، إنه المنوم. وتبدو غريبة حقيقة أن عدد حبات الدواء لا تتجاوز أبداً تلك الجرعة، التي خلفها يصبح مستحيلاً التغلب على الموت. ولهذا فإن "الانتحار" الأنثوي يشبه الاحتجاج أكثر، والتهديد، والابتزاز، كي يأخذ الزوج ذلك بعين الاعتبار. والجميع يلقي عليه باللوم: الأطباء والجيران والأقارب والشرطة. لقد صار مجرماً رغماً عنه، والجميع يعطف على الزوجة، مع أنها هي بالتحديد من حاول الانتحار.

وإذا قارنا عدد الجرائم حسب الدوافع الجنسية، سيكون الفرق هائلاً. فوسط المجرمين القتلة يغلب عدد الرجال على عدد النساء بعشرين مرة. وحالات إصابة الرجال بالجنون أكثر بمرتين من النساء.

وعلى الرغم من كثرة الوقائع العلمية، ما زالت القناعة قوية بأن الرجل أقوى من المرأة. ولكنه أقوى منها في أمر واحد فقط هو الجسد. فهو ينجح في الأعمال اليدوية القاسية والمجهدة، أما فيما عدا ذلك، وهذا الأمر استمر على مدار قرون، فإنه يشعر بتفوق المرأة عليه. ولتجنب عقدة النقص، يجب إخضاع المرأة بالقوة. إنه الأمر الوحيد الذي يتفوق فيه الرجل على المرأة: يمكنه اللجوء لاستخدام القوة الجسدية. فهو أكثر قسوة وعدوانية، وقد أجبر المرأة على القبول بالفكرة السخيفة بخصوص ضعفها. وليثبت حقيقة ضعفها، يدين جميع صفاتها الأنثوية. فهو يردد باستمرار، بأن جميع النساء ضعيفات، وكل ذلك يجعل المرأة فعلاً ضعيفة.

لكن في الحقيقة المرأة تمتاز بالصفات الرائعة فقط. وعندما يصبح الرجل مُدركاً يبدأ بتقدير ما أدانه في السابق فيها. الضعف يعد نصيب المرأة. غريب، ولكن إلى هذه المجموعة تنتمي جميع الصفات الرائعة

بشكل عام. أما الفضائل فتضم الفظاظة والعدوانية فقط، السمتان اللتان ورثناهما من الطبيعة البرية القاسية.

المرأة قادرة على المحبة العظيمة، والرجل عجز عن إثبات قدرته على المحبة أكثر منها. في الهند ملايين النساء غادرن الحياة بإرادتهن، قافزات في نيران دفن الحبيب، فهن كن عاجزات عن تصور حياتهن بدون الزوج أو الحبيب. ألا يبدو غريباً أنه خلال عشرة آلاف عام لم يتجرأ رجل واحد على القفز في نيران دفن محبوبته؟ لقد مر وقت كافٍ وتوفرت الإمكانيات والفرص لذلك... ولكن الرجل أقوى. امرأة رقيقة وأنيقة تحترق في النار، أما محمد علي الجبار فيستمر في التمرن في صالات الرياضة. وهو يعد الأقوى!

للقوة مقاييس كثيرة، وللمحبة مقاييسها. فمثلاً، لكي تحمل الطفل تسعة أشهر، تحتاج إلى القوة والمحبة والصبر. ولا وجود لرجل واحد يستطيع فعل ذلك. يستطيع العلماء أن يزرعوا للرجل رحماً اصطناعياً، والعلم النظري الحديث قد وصل إلى ذلك، أي زرع رحم جراحياً في جسم الرجل. ولكنني لست واثقاً من أنه سيصمد تسعة أشهر! على الأغلب أنه سيرمي نفسه في المحيط.

من الصعب منح الحياة لنفس جديدة، ومنحها الجسد والدماغ والعقل. المرأة تتقاسم بسرور مع الطفل بكل ما تملك. وبعد الولادة تأتي المهمة الصعبة وهي تربية الطفل. وأعتقد أنها المهمة الأصعب في العالم. رجال الفضاء وادموند هيلاري... هم يجب أن يكونوا أول من يتولى تربية الأطفال. وفقط بعد ذلك يمكن أن نعترف لهم بتحقيق شيء ما، خلال تسلقهم لجبال الإفرست، وإلا فإن كل ذلك عبثي. وماذا في ذلك، إذا نزل أحدهم على سطح القمر وتنزه فوقه؟ إنه ليس برهاناً على القوة. فالطفل المتقلب المزاج، الذي تفيض طاقته بغزارة، يرهق من يرعاه

ولكـن عنـدما أقـول إنـه علـى الرجـل أن يربـي فـي نفسـه الصـفات الأنثوية، لا أقصد أن أقول إنه يجب أن يقلد المرأة.

الفحل "المتباهي برجولته"

حبيبتـي كثيـراً مـا تسـتخدم تجاهي جملـة "أنانيـة الرجال". وأعتقد أنها تظلمني. لقد عاملتُ النساء دائماً برعاية واهتمام. والأكثر من ذلك، إنني أشعر في كلماتها شيئاً من الكراهية تجاه الرجال. هل يمكنك أن تشـرح لـي معنـى "أنانيـة الرجـال"، مـا الـذي تقصـده المـرأة، عنـد استخدامها لهذا التعبير في حديثها عن الرجل؟

الأنانية لا يمكن أن تكون مذكرة أو مؤنثة. فالأنانية هي الأنانية. الرجل لقرون عامل المرأة معاملة غير إنسانية. ويبـدو صعباً على التصديق أن سبب هذه المعاملة القاسية وغير الإنسانية تجاه المرأة من جانب الرجل كامنة في أنه يشعر بعقدة النقص بالمقارنـة معها. المشكلة الأكبر فـي أن المـرأة قـادرة علـى أن تصبح أمـاً، وقـادرة علـى مـنح حيـاة جديدة، أما الرجل فلا. ولّدَ ذلك شعوراً بـالنقص: فالطبيعـة متوقفـة علـى المرأة وليس على الرجل.

والأكثـر مـن ذلـك، لقـد اكتشـف أنهـا فـي كثيـر مـن الأمـور أقـوى منـه. فـالمرأة أكثـر منـه صـبراً، وأكثـر تسـامحاً مـن الرجـل. الرجـل أقـل صـبراً وتسـامحاً منهـا. المـرأة ليسـت عدوانيـة بقـدر الرجـل. النسـاء لا تـرتكبن جـرائم القتـل، فغالبـاً القتلـة هـم الرجـال، فهـم الـذين يشـنون الحـروب الصـليبية، ويشـعلون فتيـل الحـروب، ويخترعـون مختلـف

أنـواع الأسـلحة القاتلـة: كالقنابـل الذريـة، والسـلاح النـووي. فـي هـذه اللعبـة القاتلـة لـيس للمـرأة أي دور. ولـيس غريبـاً أن يبـدأ الرجـل بالشـعور بـالنقص. ولكـن لا أحـد يريـد أن يكـون خاسـراً، والمخـرج الوحيـد مـن هـذا الوضـع بالنسـبة للرجـل هـو الإذلال المصـطنع المطبـق علـى المـرأة. فمـثلاً، الرجـل يمنعهـا مـن الـتعلم، ويقيـد حريتهـا الاقتصـادية، ويمنعهـا مـن الخـروج بمفردهـا مـن البيـت، ويبقيهـا أسيرة لديه.

نعجز عن تصور الكم الهائل من الإجراءات التي اتخذها الرجل للتخلص من خسارته أمام المرأة. لقد أخضع المرأة إخضاعاً مصطنعاً.

هـذه المسـألة لا تتوقـف عليـك. عنـدما تتحـدث صـديقتك عـن الأنانيـة الذكريـة، فهـي تعبـر عـن الـرأي العـام عنـد جميـع النسـاء، وتخاطبـك بصـفتك ممـثلاً عـن جميـع الرجـال. إن أجـدادك ألحقـوا بـالمرأة ضـرراً بالغـاً، لدرجـة بـات مسـتحيلاً تحقيـق التـوازن. ولـذلك عنـدما تقـول المـرأة عـن تصـرفك بأنـه أنانيـة الـذكور، حـاول أن تفهمهـا، ربمـا كانـت محقـة. وعلـى الأغلـب سـتكون محقـة، لأن الرجـل شـرَّع تفوقـه علـى المـرأة منـذ زمـن بعيـد جـداً، لدرجـة بـات فيهـا لا يشعر بأن ذلك أنانية. إنما تشعر بذلك المرأة.

لا ترفض مشاعرها. كن شاكراً لها، واسألها، كيف تستشعر الأنا الخاص بك، ليسهل عليك التغلب عليه. استعن بمساعدتها.

أنت ببساطة لا تعترف بقدرتها على الشعور بأنانيتك، ولا تـدرك الأنـا الـذكري الخـاص بـك. ولكنـه لـيس إلا تقليداً ورثتـه . فالأنـا الـذكري موجود عند كل صبي. فعنـدما يبكـي الصـغير، يقولـون لـه: "لا تبـكِ مثـل الفتاة. الفتاة يمكنها البكاء، لأنها تنتمي إلى الجنس الأدنى. أما أنت عنـدما تكبـر، ستصـبح رجـلاً حقيقيـاً، حاكمـاً، فـلا يجـوز لـك البكـاء أو الشـكوى".

فيتوقف الصغير عن البكاء. من النادر جداً أن نصادف رجلاً، مستعداً للبكاء أو ذرف الدموع، كالنساء.

أنصت إلى المرأة. لقد ظَلَمْتَ المرأة طويلاً وقمعتها، لدرجة أنه آن الأوان لتنصت لها وتصلح وضع الأمور. على الأقل في علاقتكما حاول أن تمنحها حرية أكبر، نفس المقدار الذي تسمح به لنفسك. ساعدها لتنتعش، لتزدهر من جديد. سيصبح عالمنا أكثر روعة، إذا منحنا النساء، وهن يشكلن نصف سكان العالم، إمكانية تطوير مواهبهن ونبوغهن. فالسؤال غير مطروح بهذه الصيغة أصلاً... فجميع الناس سواسية.

فالنساء تبقى نساءً، والرجال رجالاً، لديهم فوارق، ولكن هذه الفوارق لا تمنح لأحدهما الأفضلية على الآخر. فهذه الفوارق تمنح الجاذبية لكلا الجانبين. تخيل عالماً ليس فيه نساء. عالم كهذا سيتحول إلى كابوس، فتنوع الآراء والمسالك والفوارق يجعل الحياة غنية وبديعة. لا وجود لبشر من الصنف الأول، ولا وجود لبشر من الصنف الأدنى. الناس ببساطة مختلفون. أدرك هذا الأمر، وساعد حبيبتك على رمي حمل الظلم والاضطهاد المستمر خلال عشرة آلاف عام عن كاهلها. وكن صديقاً لها. لقد مرت عبر معاناة طويلة، وتلقت ضربة قوية، وإذا ساعدَتْ محبتك في شفاء جرحها ولو قليلاً، فإنك ستساهم مساهمتك الخاصة في ولادة العالم الواعي. ولا تنزعج عندما تقول حبيبتك "أنانية الذكور". فهي موجودة، على الرغم من صعوبة التعرف عليها، لأن هذه الأنانية كانت موجودة دائماً، على امتداد عصور، ولكنك نسيت، بأن ذلك يسمى أنانية. وستحتاج لمساعدتها لك، كي تكتشف هذه الأنانية وتدمرها.

لماذا ينمو الشعر على صدر الرجل؟

حسناً، بإمكان الرجال أن يمتلكوا عيباً واحداً على الأقل!

كثيراً ما أسمعك تتحدث بإعجاب عن النساء. ألا يمكنك أحياناً أن تقول شيئاً إيجابياً عن الرجال؟

إنه سؤال صعب جداً. لم أستطع أن أنام طوال الليل. وأجهدت نفسي في محاولة تذكر أي شيء جيد عن الرجال، وأدركت، أنه لا شيء لدي لأقوله. احكم بنفسك.

مراسلة إحدى المجلات النسائية كانت تجري مقابلة صحفية مع جنرال بريطاني حول حياته الجنسية.

- اعذرني يا سيدي - بدأت هي - ألا يمكنك أن تتذكر، متى كان آخر لقاء حميمي بينك وبين زوجتك؟

زم الجنرال للحظة شفته العليا وقال:

- نعم، طبعاً، كان ذلك في 1945.

- كان ذلك منذ زمن بعيد جداً - علقت المراسلة بعد لحظة ذهول.

نظر الجنرال إلى ساعته وقال:

ليس كثيراً. فالساعة الآن49: 21.

(في الإنكليزية يرمز العدد الرباعي إلى السنة والوقت معاً).

الرجل كائن مدهش. وإذا اكتشف أحد منكم شيئاً إيجابياً عند الرجل، فليخبرني. أنا أعترف بخسارتي الكاملة.

العالم يعاني بشدة من فائض الطاقة الذكرية. من الضروري إعادة التوازن. أنا لا أقول إن الطاقة الذكرية غير ضرورية، إنها ضرورية ولكن بنسبة محددة. اليوم يمتلك الرجال نسبة تسع وتسعين في المئة من الطاقة الغالبة، والنساء لا يصلهن شيء تقريباً. فدور المرأة في المجتمع ثانوي، ومن هنا ينبع كل هذا التوتر، والتنافس، والصراع، والحرب. الطاقة الذكرية السائدة أوصلت العالم إلى حافة الانتحار الشامل. ويمكن أن يحدث ذلك في أي لحظة، إذا لم تتم معادلة الطاقة الذكرية بالطاقة الأنثوية. وهذا الأمر فيه الأمل الأخير.

يمكننا تجنب الحرب العالمية الثالثة فقط من خلال قيام الطاقة الأنثوية بموازنة الطاقة الذكرية على المستوى العالمي، وإلا فإن العالم محكوم عليه بالفناء. الحرب يستحيل تجنبها بالمظاهرات السلمية والاحتجاجات، لأنها طاقة ذكرية! هل شاهدت المظاهرات؟ إنها عدوانية جداً، وكل مظاهرة سلمية يمكن أن تتحول بسهولة إلى شغب. وعاجلاً أم آجلاً يقومون بحرق الحافلات ورمي الشرطة بالحجارة. لقد جاؤوا ليطالبوا بالسلام، ولكن في الحقيقة هم يحرضون على التدمير والمذابح.

الطاقة الذكرية موجهة نحو المحادثات بخصوص السلام، ولكنها في الحقيقة تعد الأساس للحرب. وتستمر الأحاديث حول أن الخير يجب أن يتزود بقبضتين قويتين. إنه جنون أن يذهب الجميع إلى الحرب ليحافظوا على السلام على الأرض. نحن نحارب من أجل السلام. لقد حاربنا بهذه الطريقة لقرون، والسلام لم يأتِ. خلال ثلاثة آلاف سنة حدثت خمسة آلاف حرب. ولا يمر يوم بدون أن تجري حرب في نقطة ما من العالم. فالحرب يمكن أن تحدث في فيتنام، أو إسرائيل، أو كشمير، في أي مكان، ولكنها مستمرة كل يوم. المشكلة لن تُحَل بتغيير الإيديولوجية السياسية في العالم، هذا لن يساعد، لأنه وراء جميع الإيديولوجيات يقف الرجال.

من الضروري منح الحرية للطاقة الأنثوية. فهذا سيحمل التوازن إلى العالم. لقد تجاهلنا القمر طويلاً، وبقينا طويلاً نرفع من شأن الشمس. يجب أن نعيد القمر إلى الحياة. فالقمر يجسد البداية الأنثوية، والشعر، والجمال، والحب، وكل ما ينتمي للقلب، كله صادر عن القمر. كل ما هو حدسي وجداني مرتبط بالقمر.

و تذكر هذا الأمر. ففي كل كائن حي، وفي كل امرأة وكل رجل يحضر نوعا الطاقة: الشمس والقمر. الآن يجب أن نعطي الأفضلية للقمر. لقد أفرطنا في تولعنا بالشمس، إنها تدمرنا. للمحافظة على التوازن، يجب أن نسير في الاتجاه المعاكس، إلى أن نصير تدريجياً في المنتصف: القمر في يد، والشمس في اليد الأخرى، وكلاهما متساويان تماماً. إنني أعلن عن تساوي الرجال والنساء ليس لأسباب سياسية، إنني أصرح عن تساويهما للمحافظة على الحياة على الأرض. يجب أن يكونا متساويين، وإلا سيتم تدمير الحياة نفسها.

إذاً، اعثر في داخلك على المرأة. دللها واعتني بها، وساعدها على النمو. إنها ليست شيئاً يستدعي الخجل، ولا تقل لنفسك: "إنني رجل". لا وجود لرجال أو نساء وجوداً نقياً صافياً، فنحن نحمل في أنفسنا صفات الجنسين. وهذا ما يجب أن يكون عليه الوضع: فنصف حياتك منحها لك أبوك، ونصفُ منحتك إياه أمك. أنت نتيجة اللقاء بين نوعين من الطاقة. لا يجوز أن تكون رجلاً فقط، ولا يجوز أن تكون امرأة فقط.

ساعد امرأتك الداخلية، قوي في داخلك صفاتها، اجعل نفسك أكثر ليناً، وحساسية، وخمولاً، وحباً. التأمل ينجح بسهولة عند الإنسان في حالة الخمول. فالتأمل هو ليس مدخلاً نشيطاً نحو الحياة، إنه انتظار في حالة انفتاح على العالم. التأمل يأتي بنفسه: يستحيل جلبه، ويستحيل

الاستيلاء عليه. من الضروري أن تسلم نفسك للتأمل بالكامل. هنا تبرز أهمية القسم الأنثوي...

في درس العلاج النفسي اكتشفت منذ فترة أنه لدي فائض من العدوانية وخوف من المرأة. وأعتقد أن الخوف من المرأة مرتبط لدي بتجربة الولادة، التي عايشتها من جديد في الصف والتي كانت بالنسبة لي مؤلمة جداً.

كل هذا مرتبط مع بعضه بعضاً. الخوف من المرأة ينشأ قبل كل شيء بسبب الخوف من الأم. كل شخص من الضروري أن يتصالح مع أمه. واذا فشلت في إصلاح علاقتك مع أمك، فإنه مع كل امرأة سيكون لديك مشكلات، لأن كل امرأة ستذكرك بأمك. أحياناً يمكن للإنسان ألا يدرك ذلك، ولكن في وعيه الجزئي سيعاني من ذلك. اليوم لا تمر حالة ولادة واحدة بلا ألم. فالحضارة دمرت بشكل كامل سير العملية الطبيعية لظهور حياة جديدة. فالأطفال لم يعودوا يولدون ولادة طبيعية. فالأم متشنجة لدرجة أنها لا تساهم في ولادة الطفل ولادة طبيعية. على العكس إنها تعيقه فقط. إنها لا تسمح للطفل بالخروج إلى العالم. إنها لا تسمح للرحم بالانفتاح.

وهذا الأمر يتوافق تماماً مع الإيقاع المتوتر للحياة العصرية. فالفكرة الرئيسية للعصرية، والتي تغذي القلق والتوتر، تتلخص في وجوب الصراع مع الحياة ومع الطبيعة. وهذا يعني أنه بالنسبة لك لا جديد هنا. كل طفل مر عبر ولادة مؤلمة أكثر أو أقل. ولهذا فإن المخرج الوحيد من الوضع المتشكل، هو معايشة الولادة من جديد بوعي تام. فإذا ولدت

مرة ثانية بوعي، فيمكنك أن تفهم وتسامح أمك، لأن المرأة المسكينة قد تعذبت كثيراً. إنها لم تفعل لك أي سوء، فقد كانت هي أيضاً ضحية. لا أحد ملوم، فالمدخل نفسه كان خاطئاً. فقد عانت هي عند ظهورها إلى هذا العالم، وجعلتك أنت أيضاً تعاني. ولكنها لم تكن تعرف أنها تتصرف بطريقة خاطئة.

وبعد أن تصحو، وتصبح مدركاً، يصبح بمقدورك أن تسامحها. والأكثر من ذلك، ستشعر تجاهها بالرأفة. وما إن تظهر فيك الرأفة تجاه أمك، تحدث المصالحة. ستختفي لديك جميع الإدعاءات تجاهها، وستشعر فجأة، بأن أمورك صارت سهلة مع النساء. ولن تعد تخشاهن، إنما تحبهن.

المرأة هي إحدى أجمل المخلوقات على وجه الأرض، والمرأة خارج كل المقارنات. المرأة هي تحفة خلقها الخالق. واذا شعرت بخوف من المرأة، ستشعر بخوف من الرب، وستخاف من الحب، ومن الصلاة. ستخشى كل ما هو جميل، لأن المرأة تجسد الجمال والغبطة.

وما إن تنفتح على الطاقة الأنثوية من حولك، حتى تختفي عدوانيتك. فالعدوانية ليست سوى طاقة، لم تتحول بعد إلى محبة. العدوانية ليست سوى محبة لم يتم إيقاظها بعد. والإنسان العدواني هو الذي لديه الكثير من طاقة المحبة، ولكنه لا يعرف كيف يجد لها مخرجاً.

المحبة بناءة، أما القسر والإكراه فمدمرين، والطاقة الخلاقة تتحول إلى مدمرة إذا لم يتم استخدامها. لقد عشت وسط مجموعتك بعض اللحظات الرائعة والقيمة والهامة.

يأتيني الكثير من الرجال، الذين يقولون إنهم يخافون من النساء، خوفاً شديداً. وحضور هذا الخوف بشكل دائم يمنعهم من التعامل مع النساء، ويمنعهم من إقامة أي من العلاقات معهن. عندما يخاف الإنسان

من العلاقات، سيقيده الخوف. في هذه الحالة سيعجز عن الاسترخاء، والبقاء على طبيعته. الخوف الدائم يجعل الرجل متردداً: فهو يخاف طوال الوقت، من رفض المرأة له، وأنها ستجيبه بالرفض.

هناك مخاوف أخرى. إذا ردد الرجل دائماً: "أنا لا أخاف من النساء، ومع كل يوم جديد أشعر بتحسن في حالتي الشعورية"، فإذا استخدم أساليب مماثلة، فإنه يستطيع لفترة مؤقتة التغلب على خوفه، ولكن الخوف قد اختبأ لفترة وسيعلن عن وجوده من جديد.

إذا كان الرجل يخاف من النساء، فالسبب على الأغلب يكمن في علاقته بأمه، لأن أمه كانت المرأة الأولى في حياته. يمكن أن يكون من حولك الكثير من النساء: الزوجة، والعشيقة، والابنة، والصديقة، ولكن صورة الأم ستبقى السائدة دوماً. إنها تجربتك الأولى في التعامل مع المرأة. جميع العلاقات التالية في التعامل مع النساء ستتأسس على هذه التجربة، على تجربة التعامل مع أمك. وهكذا، إذا كان الرجل يخاف من النساء، فعليه أن يعود في رحلة فكرية إلى الوراء، إلى الماضي، إلى طفولته، ليجد هناك مصدر نشوء الخوف. يمكنه أن يكون حادثاً عادياً، تافهاً للغاية، ويمكن أن لا يتذكره أصلاً. ولكن، بالعودة إلى الوراء، سيكتشف في مكان ما هذا الجرح.

كنت بحاجة لمحبة أمك لك، وهي حاجة كل طفل، ولكن يبدو أن أمك كان لديها اهتمامات أخرى. لقد كانت امرأة أعمال، وكان يجب عليها حضور الاجتماعات واللقاءات. كانت تسعى للمحافظة على قوامها الرشيق، ولهذا لم ترضعك الفترة الكافية. فلم تشأ أن يفقد ثدياها شكلهما بسبب الرضاعة، ولهذا حولتك إلى الإرضاع الاصطناعي. ومحتمل أنه كان لديها أسباب أخرى ذات طابع نفسي: فلم تكن طفلاً مرغوباً به، لقد أصبحت عبئاً مزعجاً، لم يعمل الدواء المانع للحمل، فولدت أنت. أو ربما كانت تكره

زوجها، وأنت كنت تشبهه، مما ولد لديها كراهية عظيمة وغريبة. ولكن عليك العودة إلى الوراء، لتشعر ثانية بأنك طفل.

تذكر، أنك لا تغادر أي مرحلة من مراحل الحياة بلا عودة. فالطفل ما زال يعيش فيك كالسابق. وليس الأمر في أن الطفل يتحول إلى شاب، لا. الطفل موجود في داخلك، لكن الشاب يغطيه، وسيغطيه بدوره العجوز، فينتج تركيب كثير الطبقات والمستويات. الطفل لا يتحول إلى شاب أبداً، فهو يبقى في الداخل، ببساطة الشاب يتوضع فوقه. هنا يوجد تشابه مع البصلة متعددة الطبقات: إذا بدأت تقشرها، فيمكنك أن ترى أن جميع الطبقات بقيت ولم تختفي أو تتحول إلى شيء آخر.

العلاج النفسي يساعد الناس على الرجوع إلى الماضي والشعور ثانية بأنهم أطفال. فهم يتشاجرون ويبكون ويصرخون، ولكن هذا الصراخ لم يعد ينتمي إلى الحاضر. إنه لا ينتمي للكبير، إنه ينتمي للطفل المخبأ في الداخل. وعندما ينطلق هذا الصراخ، الصرخة الطفلية الأولى، كثير من سمات الطبع تتحول. إنه جزء واحد فقط من أجزاء المنهج المسمى (براتي براساف). منذ خمسة آلاف عام مضت كان باتاندجالي يعلم تلاميذه النظام الذي يدرس أسباب كل نتيجة. حيث يمكن استئصال السبب فقط. فالشجرة تموت إذا قصصت جذورها. ولا يمكن أن تأمل موت الشجرة بقص أغصانها، فذلك يحسن من نمو الشجرة.

(براتي براساف) كلمة رائعة، حيث تعني (براساف) الولادة. ولادة الطفل هي براساف. براتي براساف تعني الولادة في الذاكرة، أي أنك تعود إلى الوراء، إلى ولادتك، إلى صدمة الولادة وتعيشها من جديد. الذكريات أمر مختلف تماماً. يمكن التذكر وأنت تجلس وسط الهدوء، ولكن ذلك لن يأتي بأي تغيير، ستبقى ذاتك بلا تغيير: فأنت تتذكر أنك كنت طفلاً، وأن أمك ضربتك بقوة. جرحك ما زال ينزف، ولكنها ليست سوى ذكرى. تتذكر

الحادثة وكأنها حدثت مع شخص آخر. معايشة الحدث والإحساس بـه - هذا هو معنى براتي براساف. وهذا يعني ضرورة أن تعود ثانية طفلاً. ليس أن تتذكر نفسك طفلاً، بل أن تصبح إياه ثانية، أن تعايش هذه التجربة ثانية. أمك تضربك ليس في ذكرياتك، بل تضربك الآن مباشرة، وتشعر بالألم، فتغضب، وتنكمش، وتمتعض، وتستجيب، وكأن الفعل يحدث في هذه الدقيقة. هذا هو معنى براتي براساف.

هذه الطريقة لا يقتصر تطبيقها على العلاج النفسي، بل يمكن أن يطبقها كل باحث عن الحياة الكريمة، وعن الحقيقة.

المتعطش للاهتمام

لماذا أتعطش كالمستعطي لإثارة اهتمام الآخرين بي؟ كيف السبيل لأتخلص من ذلك؟

إنها إحدى نقاط الضعف عند الإنسان، المترسخة عميقاً. فالإنسان يتعطش لنيل اهتمام المحيطين بـه، لأنـه لا يعرف نفسه. فقط وسط الآخرين يدرك ذاته، من خلال موشور آراء الآخرين عنه يدرك نفسه كشخصية. فرأي الآخرين هام للغاية. عندما يتم الاستخفاف بالإنسان، وتجاهله، فإنه يصاب بالحيرة. وإذا لم ينتبه إليه أحد ولم يعره أي اهتمام، يبدأ تصوره عن نفسه بالانهيار - أي شخصيته وتقييمه الذاتي. إن الشخصية هي أمر مناقض للطبيعة ومزيف ومشروط. ولكن الإنسان لم يدرك ذلك بعد.

كل إنسان تواق لنيل اهتمام الآخرين بـه، فلست وحدك. وسيبقى الأمر على هذا الحال، إلى أن تكتشف جوهرك الحقيقي: الشيء الذي

لا يتوقف على آراء الآخرين، واهتمامهم، ونقدهم، ولامبالاتهم، الشيء الذي لا علاقة له بالآخرين. قلة فقط استطاعوا إدراك جوهرهم، ولهذا فإن العالم مليء بالمتعطشين لنيل الاعتراف بهم وتقديرهم. تحت عتبة الوعي كل إنسان يسعى لجذب الأنظار إليه، فهذا مطلب الأنا لديه. الإنسان يقبل أن يُلعن ويُنتقد ويُرفض - شريطة أن ينتبهوا له.

لا شك أن الأفضل عندما يكون المحيطون ودودين ولطيفين، لأن الشخصية لا تستطيع الحفاظ على البقاء بدون اهتمام المحيطين بها. ولا يهم إن كانوا يحبونه أو يكرهونه، المهم أن ينتبهوا له. الناس يجب أن يقولوا رأيهم بك، والنقد والمدح يخدمان الهدف نفسه. دعنا نتناول كلمة "احترام"، فهي لا تساوي في معناها كلمة "كرامة"، كما يؤكد ذلك جميع القواميس بلا استثناء. هذه الكلمة تعني "إعادة النظر مرة أخرى". فأنت تمشي في الشارع، وفجأة التفت أحد ما، لقد استرعيت انتباهه، فأنت تساوي شيئاً. فطالما أنهم التفتوا إليك، فأنت تثير الاهتمام، ولهذا يمكن القيام بأي سخافة، لمجرد جذب الانتباه.

في الإنكليزية كلمة re-spect "إعادة النظر".

في جميع الأزمنة استخدم الناس آلاف الأساليب لجذب الانتباه إليهم. البعض يلجأ إلى نزوات مغالية، مثل البانكي في الغرب. ما الذي يريدون تحقيقه بتسريحات شعورهم الغريبة وصبغها بألوان عجيبة؟ ماذا يريدون؟ يريدون أن يبرزوا وسط الحشد. فلا تدنهم لأن ذلك خيارهم. والأهل لا يجب أن يعنفوهم، فالأولاد لديهم حق الاختيار. فإذا لم ينتبه إليهم أحد، سيموتون.

في الماضي كان الناس يقومون بأفعال غير معقولة. فالبعض كان يمشي عارياً بين الناس... أكان ذلك ضرورياً إلى هذا الحد لـ ماخافيرا وديوغين أن يمشيا عاريين؟ لم يعد الأمر طبيعياً بالنسبة للإنسان منذ

زمن بعيد في جميع أوقات السنة، فكل هذا صار جزءاً من الماضي البعيد. الحيوانات لا ترتدي الملابس، ولكنها متأقلمة جيداً. ففي الشتاء القارص يدفئها فروها، وفي الصيف الحار ينسل شعرها. فالطبيعة تحميهم. بنفس الطريقة كانت الطبيعة تحمي الإنسان. ولكن الإنسان يمتاز بالعقل، فقرر تصحيح الطبيعة، وصار يرتدي الملابس حسب الفصول. وتدريجياً توقف الغطاء الشعري بأداء وظيفته الطبيعية. انزع ملابسك... وسترى أن الوسيلة الدفاعية لن تعمل.

ماخافيرا وديوغين كانا شخصين فريدين، ولكنني أظن أنهما لم يكونا مقتنعين تماماً بفرادتهما. ولكي يتخلصا من كل شك ويبعدا كل الشبهات، في أن الأمر ليس كذلك، نزعا عن جسديهما جميع الملابس. في العالم الذي يمشي فيه الجميع مرتدين الملابس، الإنسان العاري دائماً سيكون ملفتاً للانتباه، إنه منفرد. ومن الصعب ... والمستحيل عدم الانتباه له، وعدم النظر، وعدم السؤال: "ماذا حدث؟" ولكن عريهما حصل على لون روحاني، حيث صار الناس يحترمونهما فقط لأنهما تخليا عن الملابس. لكن في الحقيقة، العري لا يعد شيئاً خاصاً، ليس فيه عنصر الإبداع أو الموهبة، فجميع الحيوانات، وجميع الطيور، وجميع الأشجار عارية. بقي في الهند القليل من رهبان الدجاين، لا يزيد عددهم عن العشرين. في السابق كان عددهم بالآلاف، ولكن الآن صار صعباً العثور على أغبياء من هذا النوع. حيث يموت راهب، ولا أحد يعوض مكانه، ولهذا يستمر عددهم بالتناقص. ففي الهند بكاملها لم يعد سوى عشرين شخصاً يسيرون عراة، وقد رأيت بعضهم. إنهم لا يتركون أبداً انطباعاً بأنهم بشر مدركين وعاقلين وعارفين لحكمة السكينة والصمت. فمظهرهم جاد ومتوتر وشديد التركيز، ووجوههم تعبر عن الانقطاع عن العالم والحزن وقلة النوم. إنهم يعانون ويعذبون أنفسهم فقط لجذب انتباه الآخرين إليهم.

فإذا كان بمقدور سخافة ما أن تجعل الإنسان مركزاً للاهتمام، فإنه يقوم بها. في روسيا ما قبل ثورة البلاشفة كان أعضاء إحدى الطوائف المسيحية يقطعون لأنفسهم الأعضاء التناسلية أمام الجماهير في يوم محدد بدقة في السنة، وكان لديهم آلاف من الأتباع. وفقط بسبب هذا الفعل كانوا يحصلون على مرتبة الروحانيين. ففي اليوم المحدد كانوا يجتمعون في ساحة الكنيسة، ويقطعون أعضاءهم التناسلية ويراكمونها في كومة. وكان آلاف المتفرجين يراقبون هذه السخافة. كما أنهم لم ينسوا النساء... فأعضاؤهن التناسلية مخبأة في داخل أجسامهن، وليس في الخارج. ولهذا صرن يقطعن أثداءهن، رافضات أن يتخلفن عن الرجال. هذا الفعل بأكمله كان يشبه مجزرة دموية جنونية، ومع ذلك كان الناس ينحنون لهم ويلامسون أرجلهم، فقط لأنهم فعلوا فعلاً رهيباً بحق الطبيعة وأنفسهم.

ما الغريب في أن يصوم الإنسان؟ ماهاتما غاندي كان يلجأ إلى هذا الأسلوب طوال حياته: وبهذه الطريقة لفت إليه أنظار الأمة بكاملها. أما لو قرر أن يوصل نفسه بهذه الطريقة إلى الموت، للفت أنظار العالم بكامله. فالامتناع عن تناول الطعام بحد ذاته يخلو تماماً من الروحانية: ففي العالم يجوع ملايين البشر. وبعد عشر سنوات أو عشرين سنة سيموت الملايين من الجوع. فلماذا لا يحترمهم أحد ولا يبجلهم؟ لأن مجاعتهم حتمية. فهم يجوعون ليس لأنهم قرروا بإرادتهم ذلك، بل لأنه ليس لديهم طعام، إنهم فقراء، بشر يموتون من الجوع.

عند ماهاتما غاندي كان يوجد كل شيء، ولكنه كان يعيش كالفقير. وإحدى تابعاته المقربات، امرأة عاقلة جداً اسمها ساروجيني نايدو، اعترفت في إحدى المرات، أنهم كانوا يصرفون مبالغ طائلة لكي يشعر غاندي نفسه فقيراً. إنه لم يكن فقراً بحتاً، إنه كان استعراضاً منظماً بدقة.

كان يرفض شرب حليب الجاموس، لأنه كان يحتوي الكثير من فيتامين A وفيتامينات أخرى. كما رفض شرب حليب البقر، لأنه كان غنياً بالفيتامينات وكان الفقراء عاجزين عن الحصول عليه. وكان يقبل شرب حليب الماعز فقط - فالماعز كان الحيوان الأرخص، وكان الفقراء يستطيعون تربية الماعز. ولكن قلة من يعرفون، أن عنزته كانت تحمم مرتين في اليوم بصابون الاستحمام (لوكس) وأن البرنامج الغذائي عند عنزته كان غنياً لدرجة كان سيحسدها أغنياء العالم. لقد جن العالَم! كانوا يسقون العنزة حليب البقر، ولم يسمحوا لها بالرعي، وعوضاً عن ذلك كانوا يطعمونها جوز (كيشيو) وتفاح وفاكهة غنية بالعصير. في تلك الأيام كان برنامجها الغذائي اليومي يكلف عشر روبيات في اليوم! وكان هذا المال كافياً لعيش الإنسان شهراً كاملاً.

كان غاندي يسافر في القطارات في مقطورات الدرجة الثالثة، وكان ذلك يسترعي الانتباه، شخص مشهور يسافر في مقطورة من الدرجة الثالثة! ولكن لم ير أحد، أنه في هذه المقطورة التي تسع ستين شخصاً، يسافر شخص واحد فقط، وكان ذلك يكلف أكثر بكثير من المقطورة المكيفة. ولكن في المقابل كان ذلك يؤمن لفت الأنظار إليه.

كان يرتدي ملابس الفلاح الهندي، وعدد الفلاحين في الهند يشكل نسبة ثمانين بالمئة، حيث يكون الجذع عارياً، والنصف السفلي من الجسم تغطيه قطعة ليست كبيرة من القماش، تستر الجسم. فصار الفقراء يحترمونه كثيراً وأطلقوا عليه لقب مهاتما، والذي معناه "النفس الكبيرة". لقد درست حياته بتمعن ودقة ولم أجد لديه نفساً كبيرة. حتى أنني لم أجد نفساً صغيرة: كل شيء كان سياسة بحتة باسم الدين. كان يدرك جيداً أنه بالتدين فقط يمكنه أن يترك انطباعاً على الهند، فكان يصلي في الصباح

والمساء، لافتاً إليه الأنظار بشتى الوسائل. فالاستحواذ على الانتباه هو تغذية هائلة للأنا.

فالسياسيون يمكنهم التظاهر بالتدين، إذا جذب ذلك أنظار الجماهير إليهم. ولهذا فهم مُشَرَّبون حتى العظام بالكذب. فالمستقبل السياسي متوقف على عدد الأتباع، وعدد المهتمين بهم. إنها سياسة العدد.

قسيس كاثوليكي يعارض الرقابة على الإنجاب، ويعارض الإجهاض. ليس بدافع الرأفة يقول "هذا قاسي"، وليس بسبب حبه للحياة. ففي الكاثوليكية يتعاملون سلبياً مع الحياة، ويرفضونها. فمن أين تنبع هذه المقاومة الدؤوبة لإقامة الرقابة على الإنجاب والإجهاض؟ السبب كامن في أنها الطريقة الوحيدة لزيادة كاثوليكية الكاثوليك، إنه الأسلوب الوحيد لجعل الناس بؤساء لدرجة تدفعهم بسهولة للانضواء تحت جناح الإمبراطورية الكاثوليكية. ظهرت عند الكاثوليك آفاق مستقبلية جيدة نظراً للعدد الهائل من الأيتام في الهند. يدهشني أمر واحد... الأم تيريزا تكافأ بجائزة نوبل، وتكرم بدرجة دكتوراه فخرية في الجامعات الهندية، وتشكرها الحكومة الهندية. وكل ذلك، لأنها تهتم بالأيتام. ولكن لم يفكر أحد بأن عناية كهذه تقود فقط لزيادة عدد الكاثوليك. ومن الطبيعي أن الأم تيريزا ستقف ضد الرقابة على الإنجاب، والا فمن أين ستأتي بالأيتام الجدد؟

المسيحية لا يمكن أن تسمح بأن يكون العالم غنياً. العلماء يؤكدون لنا، أننا وصلنا إلى ذلك الحد من التطور التقني، بحيث أنه لا يجب أن يكون في العالم جائعين أو من يموت من الجوع. في السابق كان ذلك يبدو مستحيلاً، ولكن الآن، وحسب ما يصرح به العلماء، يمكننا بسهولة أن نطعم خمسة مليارات شخص وأكثر، ولكن آراء من هذا النوع لا تصبح في

متناول أوساط الرأي العام الاجتماعية. لا يوجد سياسي واحد يُظهر القلق حول هذه المسألة، لأن السياسيين أيضاً مهتمون بزيادة الأتباع في صفوفهم.

فمن يسمون بالقادة الدينيين، ومن يسمون بالقادة السياسيين، جميعهم يسعون يجذب انتباه الرأي العام إليهم. إنهم يريدون أن تكون أسماؤهم وصورهم حاضرة دائماً في وسائل الإعلام، لأنه إذا اختفت كنياتهم لعدة أشهر عن عناوين الصحف، سينساهم الناس. هل تعرف اليوم شيئاً عن ريتشارد نيكسون، مثلاً؟ أين هو الآن هذا المسكين؟ كان في يوم من الأيام الأعظم والأكثر سلطة على الأرض، أما في المرة التالية فسيكتبون عنه فقط بعد موته، بملاحظة صغيرة على الصفحة الأخيرة. ما الذي يحدث مع سادة هذا العالم؟ ما إن يتوقفوا عن التواجد في مركز الاهتمام، سلطتهم تضعف تدريجياً.

أنا أعرف الكثير من قادة هذا البلد. وبالمقارنة مع البلدان الأخرى، في الهند، ربما يوجد العدد الأكبر من الوزراء السابقين والوزراء والمحافظين، من أي بلد آخر. وما إن يظهر في لقبهم كلمة "سابق"، حتى ينتهي مستقبلهم السياسي. فلا أحد يعود ينتبه لهم، ولا أحد يدعوهم إلى الافتتاحات الرسمية للجسور والسكك الحديدية والمدارس والمستشفيات. ولن تقرأ في أي جريدة خبراً عنهم - إن كانوا أحياء أو أموات. في حين أنه فيما مضى كانوا يتحدثون عنهم ويكتبون عنهم كل يوم، في الصحافة والإذاعة والتلفزيون.

لست الوحيد الراغب في أن تكون مركز الاهتمام، هكذا هو واقعنا. ويكمن السبب في أننا تابعون لشخصيتنا المزيفة. المجتمع خلق هذه الشخصية، والمجتمع يجب أن يقضي عليها. تحرر منها. قوتك ليست فيها. إن قوتك في جوهرك الطبيعي. اعثر عليها! وفي هذا البحث سيساعدك التأمل.

عندما تدرك نفسك، ستتوقف عن القلق بخصوص رأي الآخرين بك. فلن تكترث بالمطلق، حتى لو نسيك العالم بكامله. كما أن الأنا خاصتك لن يزداد قوة، حتى ولو تكلم العالم كله عنك. فأنت تعرف أن الأنا كذبة، والاعتماد على الكذب يشبه بناء القصور الهوائية. الشخصية هي توقيع على الماء. فأنت لم تنهِ توقيعك بعد، في حين أنه يكون قد اختفى.

اجتمعت عدة من الأمهات اليهوديات تشربن القهوة وتتفاخرن بأبنائهن. إحداهن لديها ابن في الرابعة تعلم القراءة. وأخرى ابنها في الخامسة صار نجماً سينمائياً. وهنا جاء دور بيكي غولدبرغ لتتفاخر وتقول كلمتها:

- كل هذا هراء. لو أنكن رأيتن صغيري خايمي! إذ لم يتجاوز الخامسة بعد، حتى صار يذهب بمفرده إلى العيادة النفسية!

امرأة في متوسط العمر اعترفت للقسيس بأنها تصبح مغرورة.

- لماذا تعتقدين ذلك؟ - سألها.

- لأنني في كل مرة أنظر فيها إلى المرآة، أدهش لجمالي.

- لا تقلقي، هذا ليس ذنباً، إنه ليس إلا وهماً!

في المستشفى احتفلوا بتقاعد طبيب الأذن والحنجرة، والذي كرس للطب خمسين سنة من عمره. وكهدية قدموا له أذناً ذهبية.

فألقى كلمة شكر، وعندما هدأ التصفيق، نظر إلى الهدية وقال:

- الحمد لله أنني لم أعمل طبيباً نسائياً!

لا يجوز أن تكون تابعاً لآراء الآخرين! كن مستقلاً، استمع إلى صوتك الداخلي. ويجب أن تستمع في اللحظة التي تبدأ فيها الغوص داخل السكون، عندما لا يكون العقل مثقلاً بالأفكار. هذا ليس صعباً. وإذا قلتُ، إن ذلك ليس صعباً، فإنني مسؤول عن قولي: إنه ليس صعباً! فأنا نجحت وأنت ستنجح، لا فرق بيننا. فجميع الكائنات البشرية قادرة قدرة كامنة على إدراك ذاتها. فما إن تنجح بذلك، حتى يعجز أي شخص عن قمع فرديتك. حتى لو قاموا بقتلك، سيقتلون جسدك، ولن يقتلوك أنت.

فقط الإنسان المتفرد يستطيع أن يتخلص من التوق لنيل اهتمام الجميع، أما البقية فسيضطرون للمعاناة من برده القارص طوال حياتهم. إن الذي يريد التخلص من هذه التبعية، عليه أن يتخلص من الأنا الخاص به، من شخصيته. يجب أن تدرك أنه خلف الاحترام والسمعة والوقار لا يقف شيء. جميعها كلمات مزيفة، خالية من أي مغزى، ومن أي محتوى. الحياة ملك لك، ولكن إلى أن تجد جوهرك ستبقى تابعاً للآخرين.

في داخلك إمبراطور، عليك فقط أن تصل إليه. وهذا ليس صعباً: فمملكتك توجد في داخلك. يجب أن تتعلم كيف تغلق عينيك وتركز على أحاسيسك الداخلية.

ستحتاج إلى تنظيم نفسك بعض الشيء، والقليل من الخبرة في تجاهل المؤثر الخارجي، بل توجيه بصرك إلى داخلك. على الأقل مرة أو مرتين في اليوم، عندما يتوفر لك الوقت... تدريجياً تبدأ بإدراك خلودك. عندها سيتلاشى لديك السعي لجذب انتباه الآخرين إليك. والطرافة في الموقف، هو أنك في اليوم الذي ستدرك فيه أنك لست بحاجة لجذب انتباه الآخرين إليك، سيبدأ المحيطون بك بالإحساس بجاذبيتك (الكاريزما)، لأنها ضوء فرديتك. سيشعرون بفرادتك وبجاذبيتك الخاصة، على الرغم من أنهم سيعجزون عن تفسير المصدر المحدد لمغناطيسيتك.

إن الذين أدركوا جوهرهم يكتشفون فجأة، أنهم يجذبون اهتمام آلاف الناس الآخرين، على الرغم من عدم حاجتهم لذلك.

الغني المنغمس في الملذات

إنني في موقف حرج: أحب ثلاث نساء في آن واحد. وهذا الجحيم يستمر ثلاثة أشهر. ماذا يمكنني أن أفعل؟

لا شك أنك سوبرمان حقيقي! فامرأة واحدة تكفي. أنت بحاجة لدفاع قضائي! ولكن إذا نجحت في أن تصمد ثلاثة أشهر كاملة، فعليك أن تصبر قليلاً بعد. الوقت سيرتب كل شيء في مكانه. كما أن النساء دائماً ذوات همة عالية: فإذا عجزت عن فعل أي شيء، فإنهن حتماً سيتخذن تدبيراً ما.

جون وماري كانا يمارسان الجنس فوق جسر سكة الحديد. وفي أوج العاطفة تدحرجا باتجاه السكة، مباشرة إلى عجلات القطار المقترب. رآهما سائق القاطرة في الوقت المناسب، وأوقف القطار. إيقاف القطار هو جنحة خطيرة، وفي المحكمة طلب القاضي تفسيراً.

ـ اسمع يا جون ـ قال القاضي ـ أنا أيضاً رجل، وأفهم أنك وصديقتك قررتما أن تتسليا. ولكن لماذا لم تفسحا الطريق للقطار؟

ـ يا حضرة القاضي، نحن عجزنا عن التوقف، وظننت أنه ليتوقف القادر على التوقف.

هل هذه بركة ربانية؟ فبعد فترة زمنية طويلة من الوحدة، وقعت في حب ثلاث نساء معاً، وفي البداية كل شيء كان جيداً. ولكن بمقدار تعمق العلاقات مع إحداهن شعرت برغبة في الهروب إلى أخرى، وهي أيضاً رغبت في الذهاب إلى شخص آخر. الأمر نفسه حدث في علاقتي مع المرأة الثانية. وأدركت أن الفرح والمعاناة يسيران يداً بيد. أخبرني، هل ينقصني شيء ما؟

ألا يخطر في بالك بأن ثلاث نساء أكثر من كافٍ؟ أو ربما أنك تعتقد أنه تنقصك الرابعة؟ امرأة واحدة تستطيع تحويل الحياة إلى جحيم، وأنت تسأل: "هل هذه بركة ربانية؟" لا شك في أنه لعنة بصورة غبطة.

- ماذا حدث لجيك؟ لم أره مئة سنة.

- لقد أنقذ شابة كانت تغرق، ومن ثم تزوجها.

- وهل هو سعيد معها؟

- بلا شك! ولكنه صار يكره الماء منذ ذلك الحين.

ربما أنت صاحب نفس واسعة: أو أن نفسك ليست ناضجة، بحيث أن ثلاث نساء عاجزات عن التسبب لك بالإزعاج، أو أن نفسك متنورة كفاية بحيث أنك لا تأخذ شيئاً على محمل الجد.

ثلاثة أشخاص كانوا كثيراً ما يعودون من عملهم في قطار واحد. في إحدى الأمسيات عندما صادف ركوبهم معاً للمرة الثالثة، تشعب بينهم الحديث وصاروا يتفاخرون، بروعة زوجاتهن.

الأول قال فخوراً: "زوجتي يومياً تستقبل القطار، مع أننا متزوجان منذ عشر سنوات".

- وماذا في ذلك؟ - سخر الثاني - زوجتي أيضاً تستقبلني كل مساء، ونحن متزوجان منذ سبع عشرة سنة".

- "كل هذا هراء. اسمعا ما سأقوله لكما" - قال الثالث، الأصغر بينهم.

- "وماذا ستحكي لنا؟" - سأل الأول.

- "أظن أن زوجتك أيضاً تستقبلك كل مساء". هزأ بخبث الثاني.

- تماماً - أجاب الثالث - ولكنني ما زلت أعزب".

لديك ثلاث نساء، وما زلت أعزباً! إنهن على وشك أن يقذفنك إلى بعضهن بعضاً للتخلص منك. وما زلت تسأل: "هل هذه بركة ربانية؟"، وما زلت تشك في الأمر. كن حذراً إنه مكان خطير لأمثالك. فحولك عدد هائل من النساء، وقريباً لن يتبقى منك شيء، وأنا سأفقد عبثاً تلميذي. فكر بي أنا أيضاً.

عند فاينشتاين، رجل الأعمال الناجح، كانت ابنة قبيحة. فعثر لها على عريس شاب، تزوجته. بعد عشر سنوات من الحياة الزوجية وقد صار لديهما ولدان. دعا فاينشتاين صهره إلى مكتبه:

- اسمع، لقد أهديتني حفيدين رائعين، وجعلتني سعيداً. أريد أن أنقل إليك نسبة تسع وأربعين في المئة من تجارتي.

- شكراً، أبي!

- هل يمكنني أن أفعل شيئاً آخر لك؟

- نعم، أعتقني!

أنا مستعد لأعتقك مقابل أي ثمن. ولكن عليك أولاً أن تعرف الثمن من نسائك الثلاثة!

الحب ضروري كخبرة وعظية جيدة، فقط كخبرة وعظية. مدرسة واحدة تكفي، أما ثلاث مدارس فكثير جداً. مع ثلاث نساء ستعجز عن تعلم الكثير، وستقع في مصيبة. الأفضل أن تكون مع واحدة فقط، لتشكل معها كلاً موحداً، لتفهمها بدقة أكبر وتفهم مطامحك، عندها سيتضح الوضع، وستقل معاناتك، لأن الحب في أوله ظاهرة لاواعية. إنه علم وظائف الأعضاء، ولا شيء قيم جداً هنا.

وفقط عندما تقحم وعيك في علاقاتك، وعندما تصبح متأملاً، يكتسب حبك المعنى والأهمية، فيرقى بك.

العلاقة الحميمية الغرامية مع امرأة واحدة (رجل واحد) أفضل من كثرة من العلاقات العابرة القصيرة. الحب ليس زهرة موسمية، فهو يحتاج لسنوات ليتطور وينمو. وفقط بعد أن يكبر الحب يخرج خارج حدود علم الأحياء ويكتسب الروحانية. عند إقامة الشخص علاقات غرامية فوضوية مع عدد كبير من النساء (الرجال)، يبقى الإنسان خاسراً مغبوناً حقه. يحتمل أنه لا يشعر بالملل، ولكنه مع ذلك يبقى في داخله فارغاً. إنه يعيش نزوة وتولعاً، ولكن هذا التولع لا يساهم في نموه الداخلي.

مدهش التأثير الإيجابي الهائل الذي تؤثره على الإنسان العلاقة المطولة مع شريك واحد، لأنها تمنح إمكانية الفهم الأفضل لبعضهما بعضاً. لماذا يحدث ذلك؟ وهل من الضروري للرجل أن يفهم المرأة، والعكس؟ في الواقع، كل رجل يمتلك بداية أنثوية، وكل امرأة لديها بداية ذكرية. والسبيل الوحيد لإدراك هذه البداية في بعضهما بعضاً، والسبيل الأسهل لفهمها، والسبيل الأكثر طبيعية لإدراكها - هي العلاقات الحميمية

المتعمقة مع الشريك. فإذا كنت رجلاً، فادخل في اتصال حميم وغرامي مع المرأة. ولتزل الثقة جميع العقبات.

اتحد مع المرأة في كل موحد، لتستطيع أن ترى رؤية أعمق عالمها الداخلي، وهي بدورها سترى عالمك الداخلي. كونا صادقين وصريحين مع بعضكما بعضاً.

فإذا كان لديك عدد كبير من النساء، ستضطر للكذب باستمرار. سيكون الكذب رفيقك الدائم وكذلك الخيانة والنفاق، ولن تستطيع قول ما تفكر فيه، وجميع نسائك ستبدأن بالشك في صدقك. من الصعب جداً كسب ثقة المرأة بك، إذا لم تكن وحيدة عندك. يسهل خداع الرجل، لأنه يعيش بعقله وإدراكه، ولكن يستحيل تقريباً خداع المرأة، لأنها تعيش بحدسها. فأنت لن تتجرأ على النظر في عينيها، من خشيتك أن تقرأ نفسيتك وترى الخداع بأكمله، وكل الكذب المستور.

وهكذا إذا كان لديك عدد كبير من النساء، لن تستطيع التعمق في النفس الأنثوية. في حين أنه الأمر الوحيد الضروري: أن تدرك بدايتك الأنثوية الذاتية. فالعلاقات بين الجنسين تصبح مرآة. فالمرأة عند نظرها إلى الرجل، كما النظر في المرآة، تبدأ باكتشاف جزء ذكري صغير في نفسها، والرجل عند إمعانه النظر في المرأة، يكتشف المرأة في داخله. كلما تعمق الرجل في إدراك البداية الأنثوية، القطب المعاكس له، كلما زاد تكاملاً وانسجاماً. عندما يذوب الرجل والمرأة داخل الإنسان، وعندما يتوقفان عن الكون جزأين منفصلين، وعندما يتحدان في كل موحد، يصبح الإنسان ذاتاً فردية. ويطلق كارل غوستاف يونغ على سير هذه العملية اسم الفردية. وهو محق، فقد اختار الكلمة الصحيحة. الأمر ذاته متعلق بالمرأة.

عندما تلعب مع الكثيرين، تبقى سطحياً، فارغاً من الداخل. يمكنك أن تتسلى، وقضاء الوقت مرحاً، ولكنك لن تنمو روحياً ولن تصبح غني الروح، في حين أن التكميل والتطوير هو السبيل الوحيد المستحق للاهتمام بالدرجة الأولى: تطوير التكامل والانسجام والفردية. من أجل هذا النمو من الضروري إدراك بدايتك الداخلية الثانية المعاكسة. الطريقة الأبسط لتحقيق الكمال - هو أن تدرك أولاً المرأة في العالم الخارجي، لتكتشف بعد ذلك المرأة في داخلك.

هذا الأمر يشبه المرآة: فهي تعكس وتظهر للإنسان وجهه، فالمرأة تشبه مرآة للرجل، والرجل يصبح مرآة للمرأة. إنك ترى وجهك في انعكاس الآخرين، ولكن إذا كان حولك الكثير من المرايا، واذا كنت تتقلب من مرآة لأخرى، وإذا كنت تضل كل مرآة من ناحية جارتها، فإنك تدخل في عالم الفوضى وتصاب بالجنون.

الرجل يقع في حب المرأة، فهي طريفة وغضة وجديدة، كل شيء فيها جذاب، بنيتها الجسدية العضوية، شكل جسمها، وجهها، عيناها، حاجباها، لون شعرها، مشيتها، نظرتها، طريقة دورانها، وإلقاؤها التحية. كل شيء فيها جديد بالنسبة له، المنطقة مجهولة بكاملها، وهو راغب بشدة باستكشافها. إنها تجذبه بقوة، لقد وقع في الأسر، ونوِّم مغناطيسياً. ولكن ما إن يبدأ بالسعي نحو التقارب، تبدأ هي فجأة بالهرب بعيداً عنه - إنه جزء من اللعبة. وكلما زاد هربها منه، كلما زادت جاذبيتها في عينيه. فلو أنها أجابته ببساطة: "نعم، أنا جاهزة"، لاختفى نصف الحماس في نفس اللحظة. وعلى العكس، سيبدأ الرجل بالتفكير بكيفية الهرب منها

سريعاً، ولكنها تمنحه الفرصة لملاحقتها. الناس في غاية السعادة، طوال استمرار فترة المغازلة، لأنها فترة الملاحقة (المطاردة). الرجل بطبيعته صياد، ولهذا عندما يطارد المرأة، وتهرب منه محاولة الاختباء في مكان ما، والتهرُّب من اللقاء، والرفض، فإنه يزداد حماساً. التحدي صار شديداً جداً، وصار ضرورياً الاستيلاء على المرأة بأي طريقة. في تلك اللحظة يكون مستعداً للموت من أجلها، وفعل كل ما تريده، في سبيل إخضاعها. إذ يهمه أن يثبت لنفسه، أنه ليس فانياً عادياً.

ولكن ما إن يعقدا القران، حتى يختفي كل شيء... لأن الاهتمام بكامله كان في المطاردة، مطاردة المجهول، في مطاردة المرأة المحصنة. بينما بعد الزواج تم الاستيلاء على المرأة، فكيف يمكنه الحفاظ على اهتمامه السابق بها؟ في أفضل الأحوال يمكن التظاهر، ولكن الاهتمام السابق لن يعود إليه. كل شيء يبدو مملاً بالنسبة له وتتفاقم هذه الحالة تدريجياً. يغزو الضجر العلاقة الزوجية، إذ تكثر النساء الأخريات من حوله، وهن أراضٍ جديدة غير محتلة، تجذبنه وتحفزنه. الأمر ذاته يصيب الأفكار: الرجل يُعجَبُ بأسلوب تفكيرها، ولكن ما إن يبدأ بالاعتياد عليه، وينتهي شهر العسل، يمر الحب. الآن يريد شيئاً جديداً، مجهولاً، يمنحه أحاسيس جديدة، وابتهاجاً جديداً.

فينتج أن الرجل تجذبه نساء أخريات، والمرأة تبحث لنفسها عن رجال جديدين. ولكن علاقات كهذه هي عائق أمام خلق جو من الثقة الكاملة المتبادلة.

الحبيب

تقـول رفيقتـي، إننـي ممـل، وهامـد، ومصـاب بالوسوسة والارتياب، وإنني ضحية. إنني أشعر بوجود هذه الطاقة المدمرة في داخلي، ولكن ولسبب ما تمنحني المتعة! هل يمكن تحويل هذه الطاقة إلى مسار الإبداع؟

إن رفيقتك رؤوفة جداً بحالك، لأنه في نهاية المطاف كل رجل يصبح مملا، ومملاً جداً. هل تدرك، أن ما تسميه بحبك، في واقع الأمر ليس إلا تكراراً لا نهائياً لرياضة بليدة؟ وفي هذه اللعبة الغبية يخسر الرجل دائماً. فهو يبذر طاقته، ويعرق، ويلهث، في حين أن الفتاة تستلقي بعينين مغمضتين وتفكر. "بقي دقيقتان أو ثلاث وينتهي هذا الكابوس".

الناس بدائيون لدرجة أنهم يفترضون بجدية، أن ممارسة النشاط نفسه وتكراره، يجعلهم أكثر جاذبية ومثارة للاهتمام. ولهذا أقول لك إن رفيقتك رؤوفة جداً بحالك: فهي اكتفت بتسميتك بالممل. أما أنا فكنت سأسميك ممل لدرجة لا تطاق.

بعد قدوم المبشرين المسيحيين إلى الهند، تبين أنهم لا يعرفون سوى وضعية واحدة للجماع ـ المرأة في الأسفل، وهذه الكائنات الخشنة تنام فوق المرأة الضعيفة. في الهند يسمون هذه الوضعية بوضعية المُبَشِّر. الهند بلد قديم، وصارت موطناً لعلوم عديدة، وخاصة علم الجنس (السكسولوجيا). كتاب فاتسيانا يحافظ على مطابقة للواقع على امتداد خمسة آلاف عام. هذا الكتاب عنوانه "كاماسوترا. كتاب الحب". كتبها إنسان امتاز بفن تأملي كبير. لقد وصف أربع وثمانين وضعية. من

الضروري استبدال وضعية بأخرى بصورة دائمة، وإلا فإنك لن تتجنب الملل في العلاقات.

فاتسيانا مقتنع، بأن الوضعية نفسها تولد السأم والاشمئزاز بسبب التكرار اللانهائي للأمر نفسه. فابتكر أربع وثمانين وضعية، لينفخ روح التجديد في العلاقة بين الحبيبين. لا أحد في العالم استطاع أن يؤلف كتاباً ينافس في مستواه كتاب "كاماسوترا". كتاباً كهذا يمكن أن يؤلفه شخص يمتاز بفن تأملي هائل وعقل صافٍ.

ماذا تمثل ممارستك للجنس؟ فإذا نظرت إلى علاقاتك الجنسية، ستشعر بسآمة وضجر لا حدود لهما. والمرأة تجد الجنس أكثر مللاً، لأن الرجل يحصل على الرضا بعد دقيقتين أو ثلاث، أما هي فلم تبدأ بالشعور بعد. في العالم كله، في جميع المجتمعات، كانوا يزرعون فكرة في رأس المرأة، أنها لا يجب أن تحصل على المتعة من الجنس، ولا يجب أن تتحرك، ولا يجب أن تحول الجنس إلى لعبة: فالجنس "قذر"، تمارسه بنات الهوى، وليس سيدات المجتمع. فالسيدة يجب أن تستلقي بلا حراك، ومن حق اللورد أن يفعل بها ما يشاء. مدخل كهذا إلى الجنس ليس جديداً، وليس فيه أي إشارة إلى التجديد.

يجب ألا تنزعج من رفيقتك. لأن فتاتك تعبر لك بصراحة عن مشاعرها. هل عرفتَ نشوة هزة الجماع؟ أم أنك استغليتها فقط لتفريغ شحنتك الجنسية؟ أو ربما تراها جزءاً من أثاث البيت؟ نعم، لقد ربوها لتتقبل تعاملاً كهذا تجاهها على أنه الصحيح، ولكن هل يمكن أن يأتي ذلك بالفرح؟

إنك تمارس الجنس في نفس الموضع الذي تتشاجر فيه. من حيث الجوهر، الشجار هو مقدمة الجنس. في البداية ترميان بعضكما بعضاً بالوسائد، ثم تتناقشان حول كل ما يخطر في باليكما، ومن ثم تشعران

بالتعب، وتبدآن بالمفاوضات. إن ممارسة الجنس عندكما ليست سوى مفاوضات. ولكن إذا كنت صاحب حس جمالي كبير، فإن غرفة نومك ستكون مكاناً مقدساً، لأنه فيها تولد نفس جديدة. غرفة النوم يجب أن تُملأ بالبخور، والعطور، والأزهار، ويجب أن تدخلها بإجلال.

الجنس لا يجب أن يكون سريع الانتهاء، أمسكنا بالمرأة، ولنبدأ سريعاً. فعجلة مماثلة لا علاقة لها بالشعور الحقيقي. فالحب يجب أن تسبقه مقدمة: موسيقى رائعة، رقصة، تأمل مشترك. الجنس لا يجب أن يشغل عقلك: حول الإسراع في ممارسته والخلود للنوم. بل على العكس، يجب أن تتسلم بالكامل للشعور، فكل شيء يحدث فجأة، بعفوية، وبدون مشاركة العقل. تخيل موسيقى رائعة، رائحة عطر رقيق، وأنت ترقص يداً بيد مع حبيبتك، إنكما تتحولان إلى طفلين صغيرين، يلعبان مع الأزهار... الجنس في هذا الجو المقدس يكتسب نوعية مختلفة تماماً.

من الضروري أن تأخذ بعين الاعتبار أن المرأة قادرة على الشعور بعدد من هزات الجماع، لأنها لا تخسر طاقة. أما الرجل فيعيش هزة جماع واحدة، فيخسر طاقة ويبدو خاملاً. حتى في الصباح التالي يمكن رؤية آثار خمار الجنس، ومع التقدم بالعمر يصبح الأمر جلياً أكثر. من المهم أن تفهم، أن المرأة في الجنس موجهة نحو الحصول على الطاقة التي تحتاجها، لأنها ستصبح أماً. لكن هزة الجماع لديها تمتلك طبيعة مختلفة تماماً. الإحساس عند الرجل موضعي، كالتخدير الموضعي. أما جسم المرأة فيتوزع الإحساس الجنسي فوقه بالكامل: فهي لن تستطيع الحصول على هزة الجماع إلى أن يبدأ جسدها بالكامل، كل خلية فيه بالرجفان من قلة الصبر.

إن حالتك ليست فريدة، فهذه مشكلة تسع وتسعين في المئة من النساء في جميع أرجاء العالم. وضعاً كهذا يجب تغييره

بصورة جذرية. المرأة لا يجب أن تتوضع تحت الرجل. فقبل كل شيء هذا الوضع قبيح: فالرجل يمتلك جسماً كبيراً وقوياً، بينما عند المرأة جسم رشيق وهش. فهي من يجب أن تكون في الأعلى وليس هو.

وثانياً، الرجل يجب أن يكون صامتاً وخاملاً، كي لا تحدث هزة الجماع لديه بعد دقيقتين. فإذا كنت ساكناً، والمرأة تجن فوق صدرك، فبالنسبة لها سيكون ذلك رياضة جيدة، وستمتلئ بالطاقة النابضة الضرورية لهزة الجماع. فجسمها من الضروري أن يتدفأ، أما إذا كنت نشيطاً، فذلك لن يحدث. فأنتما تلتقيان، ولكن لقاءاتكما لا تمتلئ محبة وجمالاً، فأنتما تستغلان بعضكما بعضاً.

جرب مع صديقتك ما أخبرتك به. أنت ستكون الشريك الخامل، وهي الشريك النشيط. اسمح لها بأن تكون جامحة. فهي مضطرة طوال الوقت للتصرف كسيدة حقيقية. ولكن السيدة اخترعها الرجل، أما المرأة فخلقها الرب. وعليك أن تملأ الفراغ بين هزات الجماع لديها، وهذا ممكن الحدوث فقط من خلال بقائك سلبياً، وصامتاً، حاصلاً على المتعة من جنونها. وهي ستحصل على هزة جماع متعددة. بهزة الجماع لديك يجب أن تنهي اللعبة، لا أن تبدأها.

وصديقتك لن تقول لك ثانية إنها تشعر بالملل معك. ستصبح مثيراً للاهتمام، أميراً حقيقياً، يتصرف مثل السيدة! أغلق عينيك كي لا تربكها. ولتفعل هي كل ما تريده: تحرك يديها، وجسمها، وتئن، وتبكي، وتصرخ. وإلى أن تقول لك ما يشير إلى انفجار هزة جماع حقيقية، لا يحق لك أن تنتعش، وتُظهر النشاط. فذلك يجب أن يصبح إشارة لك. عندها ستصبح متولعة بك. أما الآن فإنك تتصرف مثل الأحمق، وهكذا يتصرف في العالم أكثرية الرجال.

ثم تقول: "فتاتي تسميني عديم الحيوية". إذاً، عليك أن تزيد من حيويتك! وهذا الأمر ليس صعباً. ففي كل مكان تستطيع الحصول على العصير الحيوي لأي صنف من الفواكه. تغذى تغذية صحيحة - أكثِر من شرب العصائر، أقل من تناول الطعام الصلب. إن صديقتك تعطيك نصيحة ممتازة، بينما أنت أحمق قررت أنها تدينك.

ثم تقول لك إنك مصاب بالشك والارتياب، وإنك ضحية. إنني من سؤالك لي أستطيع أن أحكم، بأنها محقة. إنك ضحية، مثل أي رجل آخر: ضحية الإيديولوجيات السخيفة، التي ولّدت فيك الشعور بالذنب والتي لا تسمح لك بالاسترخاء. فمع أنك تستمر بممارسة الجنس، فإنك تعرف أنك ترتكب إثماً وأنه ينتظرك الجحيم.

بيكي غولدبيرغ تقول لزوجها:

- أنت عشيق رائع!

- ولكنك لم تخبريني بذلك أبداً. لقد انتظرت طويلاً أن أسمع ذلك، ثم يئست لأنني بدأت أشك بذلك أيضاً.

- أنت عشيق رائع، وأنا أردت أن أخبرك بذلك عدة مرات، ولكنك كنت دائماً غائباً!

خلال ممارسة الجنس مع بيكي، كان غولدبيرغ..... غائباً بفكره، حاضراً بجسده. فقد كان يحصي النقود، ويصفي الحسابات ويقفل الحساب - أي يقوم بآلاف الأعمال.

في كل سرير يوجد فيه حبيبين، يوجد على الأقل شخصين آخرين. وعند بعض الأشخاص الأكثر فطنة يمكن أن يتواجد في السرير حشد كامل. لهذا كانت بيكي تمارس الجنس مع غولدبيرغ وتحلم بمحمد علي.

أما غولدبيرغ فخلال ممارسته للجنس، وأدائه لواجبه الزوجي، كان يحلم بالممثلات الجميلات. فعقله غائب، وعقل زوجته أيضاً. لقد غرقا في الأحلام.

التقى صديقان.

- رأيت البارحة حلماً مدهشاً - قال الأول - وبصعوبة انتظرت الصباح، لأرويه لك.

- وبماذا حلمت؟ - سأل الثاني.

- لقد ذهبت للصيد واصطدت سمكة كبيرة جداً، بحيث أنني أخرجتها من الماء بصعوبة. ولقد اصطدت الكثير من السمك! لكنني لم أفهم إلى أين ذهب السمك.

- كل هذا هراء! اسمع ما الذي حلمت به. لقد رأيت أنه تنام على يميني صوفي لورين عارية. "يا إلهي أيعقل أنني في الجنة؟" فكرت في نفسي، وهنا رأيت على يساري حسناء أخرى. حتى أنني عجزت عن تحديد من منهن كانت الأجمل.

- أيها الأحمق! - غضب رفيقه - وتقول إنك أفضل أصدقائي. لماذا لم تتصل بي؟

- لقد اتصلت، ولكن زوجتك قالت إنك ذهبت للصيد.

أنت تظن أنك تتعامل مع الشخص، في حين أن أفكاره بعيدة عن هذا المكان. لا أحد في البيت، الجميع غادر. الجنس يجب أن يتحول إلى عملية تأمل. يجب أن تذوب بالكامل في اللحظة الراهنة، وأن تستسلم بالكامل للمرأة التي تحب. وهي بدورها يجب أن تكون حاضرة هنا، وأن تهدي لحبيبها جمالها ولطفها. عندها لن تكون ضحية، كما أنت الآن.

إن ما تسمى بالأديان، لا تريد الاعتراف بأن لعبة الحب تعد جزءاً لا يتجزأ من حياتنا. إنهم يدينونها. لقد وضعوا شرطاً: لن تدرك الحقيقة حتى تتخلى عن المرأة. هذا الرأي الباطل بات قديماً لدرجة أنه صار يبدو حقيقة. ولكنه هراء بحت. لقد وقعت ضحية التقاليد، وأنت بلا شك مُوَسوس وكثير الشك والارتياب. فتقول: "أنا أيضاً أشعر بهذه الطاقة المدمرة، ولكنها ولسبب ما تشعرني بالمتعة!" فالجميع لديهم طاقة تدميرية، لأنه إذا لم نستخدم الطاقة بوعي، وإذا لم تصبح خلاّقة ومبدعة، فإنها ستتحول حتماً إلى تدميرية.

ولكن الأهم يتلخص في الذي تقوله: "ولكنها لسبب ما تشعرني بالمتعة!" فكيف تنوي أن تغيرها إذاً؟ أنت مضطر للبقاء في المكان نفسه، وتعجز عن تغيير شيء ما، لأن التغيير يمكن ألا يعجبك. يوجد لديك طاقة، ولكن استخدام الطاقة التدميرية يشبه الانتحار، استخدام الطاقة التدميرية حسب وظيفتها يعني أن تخدم الموت. فإذا كنت تدرك ذلك، فمن الضروري أن تجري تحويلاً. استخدم طاقتك للأهداف الخلاقة. ربما يجعلك ذلك أكثر حيوية، وأقل ضجراً، وشكاً، وستتوقف عن كونك ضحية الخرافات والآراء الباطلة.

والأهم أنك ستتوقف عن الإحساس بالذنب، ولن تعود منقبض النفس، فالإنسان المبدع لا يعرف هذين الشعورين. فإبداعه يجد انعكاساً له في الكون ويملؤه بالرضا والكرامة. إنه حق لا يمكن إبطاله لكل إنسان، ولكن قلة فقط يستخدمونه.

ليس صعباً توجيه الطاقة نحو المنحى الإبداعي، إنه أمر بسيط للغاية. ارسم، مارس البستنة، ازرع الأزهار، اكتب الشعر، تعلم الموسيقى والرقص. تعلم كل ما يساعدك على ممارسة الإبداع. وعندها سيتنحى عدم الرضا بالحياة ليحل محله الامتنان والشكر. ولن تعود لمقاومة الحياة.

فالإنسان المبدع لا يمكن أن يقوم ضد الحياة والمحبة، فهذا مستحيل، وهذا الأمر لم يحدث أبداً. فقط الناس المحرومين من شرارة الإبداع، يحقدون على العالم كله.

لقد طرحت فتاتك أسئلة في غاية الأهمية في حياتك. وطبعاً من أسهل الأمور أن تستبدل فتاتك بأخرى، ولكنني سأقول لك، إنها صديقتك الحقيقية، فهي صريحة معك وصادقة. فكن شاكراً لها وباشر العمل. فاليوم الذي ستدعوك فيه فتاتك بالإنسان المثير للاهتمام، سيكون يوماً عظيماً في حياتك. لا تكن صغير النفس جباناً، ولا تستبدل صديقاتك فقط لأنهن يُقلِقنَ عقلك. فأنت محظوظ لعثورك على فتاة رؤوفة كهذه. فمع أخرى كان وضعك سيكون أسوأ بكثير: كنت ستشعر باستمرار بالذنب، وبعدم صلاحيتك لشيء. هل فعلت شيئاً يستحق الذكر في حياتك؟ ماذا فعلت لكي لا تكون مملاً وتابعاً؟ وكي لا تكون ضحية؟ لقد آن أوان التغيير. ستبقى أبداً شاكراً لفتاتك.

وكنت لأقول لها التالي: "تابعي في انتقاد صديقك إلى أن يصبح مثيراً للاهتمام، ونشيطاً، ومستقلاً، ومرحاً. يحتمل أن يفترق طريقاكما، ولكنك ستُعِدّينه جيداً لامرأة أخرى، وإلا فإنه سيعذب النساء دوماً، وسيعذب نفسه".

الزوج

أنا رب أسرة، ولي ثلاثة أولاد، وأشعر بعدم رضا تام عن الحياة العائلية. زوجتي دائماً تناكدني. ونحن نعيش معاً فقط من أجل الأولاد، أما بشكل عام فحياتنا جحيم بحت. كيف يمكنني التخلص من هذه المعاناة؟

سأروي قصة.

في محكمة ولاية أركانزاس تجري جلسة استماع لقضية احتيال.

نظر القاضي إلى المتهم متأملاً، وسأل:

- هل تدعى جيم مور؟

- نعم، سيدي.

- هل يتهمونك بجريمة، عقابها سجن لفترة زمنية طويلة؟

- نعم، سيدي.

- هل تعترف بذنبك؟

- نعم - قال المتهم وسوى وقفته.

- هل تطلب العفو؟

- لا، سيدي.

- خلال السنتين الأخيرتين كان لديك الكثير من المشكلات؟ -

"ابتسم القاضي بكدر".

- نعم.

- حتى أنك لم تعد راغباً في العيش؟

- نعم، يا حضرة القاضي.

- ورغبت أن تسرق مالاً كافياً لتهرب من أركانزيس؟

- أنت محق، سيدي القاضي.

- لو أطلق عليك النار رجل عصابات، هل كنت لتشكره؟

- نعم، كنت سأشكره. ولكن أخبرني، كيف استطعت معرفة كل هذا عني؟

- في فترة زمنية مضت - قال القاضي بجدية - طلَّقتُ زوجتي. وبعد ذلك بفترة قصيرة تزوجتَها أنت. فالنتيجة أمكن التنبؤ بها. حسناً، إليك بخمسين دولاراً، لقد تحملت بما فيه الكفاية. إنني أطلق سراحك.

ليس عليك أن تخاف من الجحيم: فقد صبرت بما فيه الكفاية، فأنت أصلاً في الجحيم. ولم يعد بمقدورك سوى أن تنتقل إلى الجنة، لأنه لا وجود لشيء ثالث. الأعزب يمكن أن يذهب إلى الجحيم وليس أنت. لقد عانيت بما فيه الكفاية. الأعزب يجب أن يدرك معنى المعاناة وليس أنت.

في الحقيقة لا وجود للجحيم أو النعيم. فالجنة والجحيم موجودان هنا في اللحظة الراهنة، إنهما شكلين لوجودك، لحياتك. يمكنك أن تعيش بطريقة تجعل حياتك جنة. وتذكر، لا يجوز أن تُحَمِّلَ زوجتك المسؤولية بكاملها. لماذا اخترت لنفسك زوجة كهذه، تضايقك باستمرار؟ وهل أنت واثق، من أنك إذا طلقت، لن تجد لنفسك مجدداً زوجة تشبه زوجتك؟

استشر أطباء نفسيين، وسيؤكدون لك أنك ستختار امرأة من نفس صنف زوجتك. إنه خيارك، وأنت كنت تعتقد أنك تتصرف بصورة صحيحة. لن تتجنب المعاناة في الحياة.

هل تظن أن زوجتك هي المسؤولة عن كل ذلك؟ لا، الواقع إنك أنت من أراد العيش في معاناة، ولهذا وقع خيارك على هذه المرأة. وزوجتك الجديدة ستكون مثل سابقتها. وإلى أن تتخلى عن مقاصدك العقلية القديمة، سيبقى يجذبك الصنف نفسه من النساء.

باستثناء عقلك، يستحيل تغيير شيء، أو تحويله. إنك تأمل أن يكون كل شيء بعد طلاقك على ما يرام. إنه خطأ، وخطأ كبير. فأنت لا تفقه شيئاً في علم نفس الإنسان. وستقع في الفخ ثانية. ستبدأ بالبحث عن امرأة من جديد، وستشتاق إلى المرأة. هي بحاجتك، وأنت بحاجتها. وستختار ثانية امرأة مماثلة لسابقتها، لأنه يجذبك نوع محدد من النساء. راقب أهواء العقل.

ثم لا يجوز أن نضع اللوم بكامله على المرأة، فجزء معين من الذنب واقع عليك. أنا أعرف رأيك بها، ولكنني لم أسمع رأيها بك. لن أكون عادلاً فيما يتعلق بالمرأة، إذا صدقتك مئة في المئة. ربما أنت محق بنسبة خمسين في المئة، ولكن الخمسين في المئة المتبقية تعود إليها. لا شك أنك كنت تصب الزيت على النار. فإذا كانت الحياة لا تطاق إلى هذا الحد، فلماذا أنجبت ثلاثة أولاد؟ من يتحمل المسؤولية هنا؟ لماذا أدخلت ثلاث أنفس بريئة إلى عالمك الكريه، إلى حياتك الشبيهة بالكابوس؟ هل يعقل أنك تكره أطفالك إلى هذا الحد؟

الناس ينجبون الأطفال دون أن يفكروا فيما يفعلونه. فإذا كانت حياتك لا تطاق إلى هذا الحد، فقد كان بإمكانك أن تنقذ من مستنقع مصائبك أطفالك. كنت ستنقذهم عندها! أما الآن فهؤلاء الثلاثة يربون عند أبوين مثلكما. سيتشربون نظرتكما إلى الحياة، وطريقة سلوككما، سيصبحون استمراراً لكما. وبعد موتكما سيستمرون في خلق الجحيم على الأرض. الأولاد سيتابعون ما بدأتموه، وسيكررون حياتكما السخيفة، وحياتكما البائسة.

سيختار الابن لنفسه زوجة تشبه زوجتك، وكيف لا؟ فهو لا يعرف غير هذا الصنف من النساء. فهو يحب أمه، ومحبوبته ستذكره بأمه. وستبدأ القصة بالتكرار. ومحتمل جداً أن زوجتك تذكرك في بعض الأمور

بأمك، والداك كانا يلعبان اللعبة نفسها، التي تلعبها أنت، وأولادك سيتابعونها ليس إلا. وهذا سبب لمعاناة لا تنتهي.

كان بإمكانك على الأقل إنقاذ حياة ثلاثة أطفال، وكان بإمكانك إنقاذ مستقبل البشرية، لأن نتائج الدراما الخاصة بك ستتجسد في المستقبل، حتى بعد موتك. فجميع أعمالك ستبقى. أنت ستختفي، ولكن الأمواج التي أثرتها في محيط الحياة، ستبقى. ارم حجراً في بحيرة ساكنة، سيختفي الحجر في القاع، في حين أن الدوائر الناتجة عن سقوطه ستبقى تتفرق طويلاً باتجاه الضفاف. ولكن محيط الحياة لا يعرف الشواطئ: فالدوائر تستمر بالتفرق، بلا نهاية. كان عليك التفكير ولو قليلاً، قبل أن تنجب أطفالاً. ولكن ما زال بإمكانك تغيير الحياة، ولا يكون الوقت متأخراً أبداً لفعل ذلك، ولا تأمل أنه بمقدورك تغيير زوجتك. فهذا مدخل خاطئ في حالتك هذه.

عليك أنت أن تتغير. وتتغير جذرياً. توقف عن ممارسة ما كنت تمارسه دائماً. افعل ما لم تفعله أبداً. تغير جذرياً، لتصبح إنساناً جديداً، وستدهش. فإذا تغيرت ستتغير زوجتك. لأنها ستكون مضطرة لتستجيب استجابة مماثلة. في البداية سيكون صعباً عليها، لأنها ستتعامل مع زوج جديد فعلياً، ولكن تدريجياً ستفهم أنه: طالما أنك استطعت أن تتغير، فلم لا تستطيع هي؟ لا تأمل أبداً أن يتغير أحد آخر. فالتغييرات يجب أن تبدأ منك دائماً.

الحياة يمكن أن تصبح جنة، ولا يكون الوقت متأخراً أبداً لفعل ذلك. ولكن لكي تتغير، تحتاج لشجاعة محددة. في الواقع تحتاج إلى القليل من الإدراك الذاتي. يجب أن تتوقف عن التصرف بطريقة آلية، ويجب أن تحلل ما فعلته حتى هذه اللحظة. إنك تفعل كل شيء بالطريقة القديمة، وزوجتك تستجيب بالطريقة القديمة. العلاقات فقدت جدتها، متحولة إلى روتين،

راقب زوجاً وزوجة، فأفعالهما يمكن التنبؤ بها. في الصباح سيفتح الزوج الجريدة ويبدأ القراءة، فترد الزوجة على ذلك بالطريقة التي كانت تتصرف وفقاً لها لسنين، والزوج سيرد بالطريقة القديمة. العلاقات جميعها تعود إلى نظام راسخ، برنامج.

إننا بحاجة لتغييرات بسيطة، ستدهش لشدة مفعولها. مثلاً، غداً، صباحاً لا تجلس لقراءة الجريدة. ابدأ بترتيب البيت وانظر إلى ما سيحدث. ستنظر زوجتك إليك بعينين واسعتين، ولن تصدق ما يحدث. ابتسم لها، وعانقها، وسترى أنك ثبطت عزمها. فأنت لم تعانقها أبداً. مرت سنين، ولكنك لم تنظر في عيني المرأة المسكينة.

مساء اليوم اجلس أمامها وانظر في عينيها. في البداية ستظن أنك جننت، وأصابك مس بسبب قراءتك لأوشو أو شيء من هذا القبيل، ولكن لا تبال. لا تترك يدها، واشعر بنشوة روحية. وإذا لم تشعر بشيء، فعلى الأقل تظاهر بذلك. عبّر عن شعورك بالنشوة الروحية. فأحياناً التظاهر يقود إلى إحساس حقيقي! ابتسم ببساطة بلا سبب وراقب. زوجتك المسكينة يمكن أن تصاب باحتشاء قلبي.

حاول أن تتذكر متى آخر مرة أمسكت فيها بيدها. هل تنزهت ولو مرة معها نزهة الصباح؟ وفي ليالي البدر هل اصطحبتها للتمتع برؤية النجوم. فهي إنسانة أيضاً، هي أيضاً تريد الحب. ولكن الأزواج يستغلون الزوجات كخادمات، وخاصة في الهند. فعملهن بكامله ينحصر في العناية بالأطفال والطبخ وتدبير المنزل، وهكذا طوال حياتهن. هل تحترم الكرامة الإنسانية عند زوجتك؟ عندها لا تندهش لغضبها. إنها مستاءة: فالحياة تمر، ولا فرح فيها، لم تعرف الغبطة، ولم تعرف شيئاً يحمل إلى حياتها المغزى والقيمة...

هل جلست يوماً إلى جانبها بصمت، ممسكاً يدها، وشاعراً بدفئها، متقاسماً معها بدفئك؟ إن الأزواج والزوجات لديهم أسلوب واحد في التعامل وهو :الشجار. لا تضع كامل اللوم على زوجتك، ربما تكون مذنبة، ولكن الحديث لا يدور عن ذلك، فهي لم تطرح هذا السؤال. أنت من طرحت السؤال. ابدأ بتغيير حياتك. لتشعر المرأة المسكينة بأهميتها. ولتشعر أن أحداً ما يحتاجها. ألا تعرف أن الحاجة الشديدة الأهمية في حياة الإنسان هي شعوره بأنه مطلوب ومرغوب فيه وأن هناك من يحتاج إليه. فإلى أن يشعر الإنسان بأن هناك من يحتاج إليه حاجة ملحة، ستبقى حياته فارغة وبلا معنى.

اضحكا معاً، استمعا للموسيقا، سافرا معاً لقضاء إجازة. لاطف جسدها، لأنه عند غياب الملاطفة ييبس الجسد ويتجعد. فإذا لم يعجب أحد بجمال الجسد، فإن الجسد يفقد جاذبيته. ألم تفكر: "لماذا زوجتي ليست حسناء؟" لأنك لم تخلق لها الظروف المناسبة التي يتفتح فيها الجمال ويزدهر. الحب يجعل الإنسان رائعاً! الحب هو السيمياء (أسطورة: تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة بمساعدة الحجر الفلسفي). انظر إلى الإنسان بعينين محبتين، وسريعاً ما ترى كيف تتغير هالته الطاقية، حيث يشع وجهه، ويتدفق إليه الدم، وتشع عيناه نوراً، إنها معجزة حقيقية.

الحب معجزة. الحب سحر. ولا يكون الوقت متأخراً أبداً لتحب.

كيف تجعل زوجتك سعيدة؟

أنا لست خبيراً في الزوجات. فأنا أعزب. ولهذا أنت تسأل الشخص الخطأ. ولكنني راقبت الكثير من الزوجات والأزواج. فلن أتحدث عن تجربتي بل عن مشاهداتي!

لكي تكون الزوجة سعيدة، يجب تحقيق شرطين. أولاً: دعها تعتقد أن لديها الحق لتتصرف كما تريد. وثانياً: امنحها هذا الحق.

يونيس عادت إلى البيت مرتدية معطفاً من فرو القندس.

- من أين لك هذا؟ - سألها زوجها.

- لقد ربحته في اليانصيب - أجابته.

في اليوم التالي جاءت ومعها أسوارة ألماسية جميلة.

- وهذه من أين؟ - سأل بيرني.

- ربحتها في اليانصيب. وأنا متأخرة على سحب جديد لليانصيب، ولدي وقت قليل جداً. هل يمكنك أن تعد لي الحمام؟

نفَّذ بيرني طلبها، ولكن عندما دخلت الحمام، رأت أن المغطس فيه ماء بارتفاع سنتيمترين فقط.

- بيرني، لما لم تملأ الحوض؟

- عزيزتي، لم أشأ أن تتبلل بطاقة يانصيبك!

الأب

كانت مؤسسة الأبوة من ابتكار الإنسان. وهذه المؤسسة منافية للطبيعة بشكل مطلق ومختلقة وغير واقعية. وفي يوم ما ستختفي مؤسسة الأبوة هذه... لأنها لم تكن موجودة في الماضي، وآلاف السنين كانت البشرية تدبر أمورها بدونها.

ربما ستصاب بالدهشة إذا علمت أن كلمة "العم" أقدم بكثير من كلمة "الأب". وهذا مرتبط بأن النظام الأمومي ساد وسبق نظام الأبوة. فقد كانت الأم موجودة، ولكن لم يكن هناك وجود للأب، لأن الأم كانت تلتقي الكثير من الرجال. فمن منهم كان الأب ، كان يصعب معرفته. ولهذا كان الجميع أعمام، جميع الآباء المحتملين كانوا يصبحون أعماماً. ظهرت مؤسسة الأبوة مع ظهور الملكية الخاصة، فهما لا ينفصلان عن بعضهما بعضاً. فالأب كان يجسد الملكية الخاصة، لأنه مع ظهور الملكية الخاصة أراد كل رجل أن يورث أملاكه لابنه، حسب فكرة :"أنا لن أكون موجوداً، ولكن جزءاً مني سيرث أملاكي". وهكذا ظهرت الملكية الخاصة أولاً ومن ثم ظهر الأب.

ولكي تكون واثقاً ثقة مطلقة بأن "هذا الطفل لك"، سادت في جميع المجتمعات فكرة وجوب حفاظ المرأة على عذريتها قبل الزواج، وإلا كان مستحيلاً تحديد الأب. فالمرأة كان يمكن أن تكون حاملاً قبل الزواج، وهذا يعني أن الوريث سيكون طفلاً غريباً. وليعرف بدقة أن "طفله سيرث أملاكه" طُلِبَ من المرأة أن تحافظ على عذريتها قبل زواجها.

إن فكرة الإرث تحديداً ولَّدت الأبوة والأسرة وصارت سبباً لخضوع المرأة للرجل. فبدون الملكية الخاصة لم يكن ليظهر الأب. فإذا لم يكن في

الماضي وجود للأبوة وللملكية الخاصة، فحتماً سيأتي يوم تنتهي فيه الملكية الخاصة والأبوة.

يقول الهندوس إن المرأة إذا لم تصبح أماً، فلن تؤدي رسالتها التي خصصتها بها الطبيعة.ولكن هذا الأمر لا يطبق على الرجال بنفس الطريقة: إذ لم يقل أحد، إنه إذا لم يصبح الرجل أباً، فإنه لن يحقق ذاته. فالأبوة تحمل طابع المصادفة، حيث يمكن ألا تحدث. فهي لا تعد الحدث الأهم في حياة الرجل، ولهذا إذا لم يصبح أباً، لن يخسر شيئاً. في حين أن المرأة تخسر الكثير، لأن مهمتها، ووظيفتها الطبيعية لا تتحقق إلا بالأمومة. عندما يصبح ثدياها مركز مدار حياتها، تمتلئ المرأة انسجاماً. ولكنها بحاجة إلى طفل لتحقيق ذلك، إذ أن الثديين مخصصان له. فإذاً، الرجل يتزوج لكي تكون لديه امرأة، والمرأة تتزوج من أجل الأمومة، وليس ليكون لديها زوج. فالاهتمام الرئيسي والوحيد لدى المرأة هو أن تلد طفلاً يوقظ فيها غريزة الأمومة. يقلق الرجل بشدة بسبب المكانة الثانوية التي تمنح له عند امرأته بعد ولادة الطفل، فالمرأة تمنح كامل اهتمامها للطفل.

مع ظهور الأطفال في الأسرة يشعر الأب بالغيرة الدائمة، لأن المرأة بعد ولادة الطفل تكرس كامل وقتها له، وليس لأبيه، الذي لم يعد مركز اهتمامها بل انتقل إلى المحيط. فهو بات ضرورياً فقط للحفاظ على بقاء الأسرة.

أصدقائي المسيحيين أخبروني أن الدين المسيحي يقوم على أساس الأسرة: وأن الأسرة تعد حجر الأساس في المسيحية. ولكن يجب أن نلاحظ، أن الأسرة في الوقت ذاته تعد منبع حالات العصاب على تنوعها، والاضطرابات النفسية، والأمراض العقلية، ومختلف المشكلات الاجتماعية.

كذلك تجزئ الأسرة الناس حسب الأعراق والقوميات، وتصبح سبباً للحروب. يجب أن ندرك أن مؤسسة الأسرة لا مستقبل لها، فهذه المؤسسة قد استنفذت نفسها منذ زمن بعيد، ولم يعد هناك حاجة لها. وليس فقط المسيحيين، بل ونحن البشر جميعاً، وقعنا ضحايا الوهم بخصوص أن الأسرة إنجاز عظيم من إنجازات البشرية. لكن في الحقيقة الأمر مختلف تماماً. أريد أن أتناول بالتفصيل، خطوة تلو أخرى هذه المسألة، لأن مشكلة الأسرة تبدو لي إحدى أعقد المشكلات. قبل كل شيء ... الأسرة سجن، يحرس الأولاد والزوجة. وعلاقات القربى بين أفراد الأسرة تجعل هذا السجن مقدساً. ولكن نتائج التواجد في هذا الأسر ببساطة يرثى لها.

كل سجن يصبح عائقاً في طريق التطور الروحاني. لماذا برأيك تخلى بوذا عن العالم؟ ولماذا تخلى ماخافيرا عن العالم؟ لا، إنهما لم يتخليا عن العالم، بل تخليا عن الأسرة - علماً أنه لم يناقش هذا الموضوع أحد حتى الآن. كيف يمكنك أن تتخلى عن العالم الذي تعيش فيه؟ يمكنك فقط أن تتخلى عن الأسرة. ولكن جميع الديانات العالمية تستمر في الكذب على الناس: بحديثها عن التخلي عن العالم. إنهم عن قصد يخفون حقيقة أن بوذا وماخافيرا تخليا عن الأسرة، وليس عن العالم: فالأسرة أصبحت عائقاً أمام نموهما الروحاني.

كل أسرة تبرمج طفلها وفق آرائها الباطلة وخرافاتها. فالمولود في أسرة مسيحية سيتلقى برمجة مسيحية، ولن يخطر بباله، أن مُثل الكمال المسيحية يمكن أن تكون كاذبة، ويمكن أن تمنعه من إدراك الحقيقة.

إنهم لا يحددون حداً بين الإيمان والمعرفة اليقينية. فالأعمى يمكنه أن يؤمن بوجود النور، ولكن هذا الإيمان لن يساعده. فلكي ترى النور تحتاج إلى عينين، وعندها لا ضرورة لأي إيمان. فإذا كان الإنسان يعرف شيئاً ما، فهل هو بحاجة للإيمان بذلك؟

هل "تؤمن" بالضوء؟ هل تؤمن بالقمر والنجوم؟ إن السؤال عن الإيمان غير مطروح هنا: فأنت ببساطة تعرف بوجودهم. الإيمان يلزم البدع والكذب، الحقيقة لا تحتاج إلى إيمان. وكل منظومة إيمانية تعرقل التطور الروحاني. الموت في الديانة المسيحية موضوع محظور: لا يُسمح الحديث عنه. الموت محظور، والحياة محظورة أيضاً: لا يجوز عيشها! لا يسمح التحدث حول الموت ولا يسمح عيش الحياة! إنهم لا يمنحون الإنسان حق الاختيار: لا يسمحون لا بالموت ولا بالحياة. فينتج أن الإنسان لا حي ولا ميت.

إن ذلك يُوَلِّد الفصام. لا يمكن تسليم النفس لشيء واحد بالكامل: لا للحياة، ولا للموت، ولا للحب - فذلك ممكن جزئياً فقط. والذي يسلم نفسه جزئياً، يعيش جزئياً. فكلما غصت أعمق في الحياة، كلما عَمِرَت حياتك بالحوادث. يجب على الإنسان أن يغوص بكامله في الموت، والحياة، والحب، والتأمل، والعمل، والهواية المفضلة: الرسم، الموسيقى، الشعر، الرقص... فبدون عطاء كامل لن يتعرف أبداً على المتعة القصوى، الحقيقية، وعلى الغبطة الحقيقية.

بينما الناس يكتفون بالحد الأدنى، وهمهم هو الحفاظ على البقاء، فيعيشون حياة يمكن وصفها حقاً بحياة النباتات: ينتظرون طوال الوقت، فلا يحدث في حياتهم شيء. في حياتهم لا تزهر الأزهار، في حياتهم لا مكان للعيد. وموتهم يخلو من الجاذبية والفتنة كحياتهم، إذ أن الموت هو بلوغ لأوج الحياة.

فبالنسبة للذي عاش حياة كاملة القيمة، لا يعد الموت نهاية، بل مشهداً، ومشهداً صغيراً من مشاهد الحياة الخالدة. لقد مات الإنسان مرات كثيرة، ولكن وبما أنه لم يعش في انسجام أبداً، فإنه في لحظة الموت كان يفقد الوعي؛ فالخوف كان يُدخِلُه في غيبوبة. لهذا السبب لا يذكر الناس

شيئاً عن كل حياة سابقة عاشوها: إن حالة الغيبوبة تفصل الذاكرة. وبدون أن تعرف شيئاً عن التجربة السابقة، يستحيل إن تصدق بوجود حياة بعد الموت، وبأن الحياة خالدة. الولادة والموت ليسا إلا مشهدين؛ فكل شخص مات وولد من جديد آلاف المرات. ولكن الدين يتدخل دائماً، ولا يسمح بالعيش حياة كاملة القيمة...

في اليوم الأول للمدرسة سأل المعلم تلميذ الصف الأول (وكان الصبي مسيحياً):

- ما اسمك؟
- "ممنوع!"
- غريب، لم أسمع أبداً باسم كهذا.
- مهما فعلت، أسمع دائماً الكلمة نفسها: "ممنوع!". أعتقد أن هذا هو اسمي.

بنفس الطريقة تقوم المسيحية بتعميم محظوراتها على الجميع وعلى كل شيء. إنه ليس ديناً يقر الحياة ويدعمها، إنه دين لا يسمح العيش بفرح. وكل شيء يبدأ من الأسرة، لأن فرض الشروط يبدأ داخل الأسرة في أغلب الأحيان. المسيحية تعلن أن أساسها الأسرة.

أنا مقتنع قناعة مطلقة، أنه إلى أن تختفي الأسرة عن وجه الأرض، لن تختفي الديانات، والأمم، والحروب. فجميعها تستند إلى الأسرة. عائلتك توجهك إلى الهندوسية، فيقول لك أهلك: "الهندوسية أفضل ديانة في العالم، ولا مقارنة بينها وبين الديانات الأخرى".

المسيحية تستمر في برمجة الأطفال: "لن ينقذك إلا عيسى المسيح، ولا أحد غيره. جميع الأديان الأخرى تمارس الوعظ، فهي عاجزة

عن مساعدتك". فمع حليب الأم يتشرب الطفل مختلف الخرافات والآراء الباطلة: الرب، روح القدس، الابن الوحيد للرب، عيسى، الجنة والجحيم... الطفل صاحب خيال واسع فيسهل التأثير عليه، لأنه يولد ورقة بيضاء: لم يكتب عليها شيء. عقله نقي، ويمكنك أن توحي له بأي شيء تريد. وكل أسرة ترتكب جريمة، عندما تدمر فردية الإنسان وتخلق العبد: فالطاعة فضيلة، والتمرد إثم أول.

عند القيام ببرمجة الطفل منذ ولادته، حيث يكون سريع التأثر وعاجز عن حمية نفسه، يمكننا أن نترك أي كتابة في عقله الذي يشبه الورقة البيضاء الفارغة. هذه الكتابة ستتغلغل إلى العقل الباطن. حيث يمكن أن نقول له: "بلدنا أعظم بلد في العالم"، هكذا يقولون في كل البلدان. "ديننا أعظم دين من بين جميع الأديان، لأننا نعيش وفق كتاب الرب". هذا ما يقوله الهندوس، وما يقوله المسيحيون، وما يقوله اليهود. جميعهم يرتكبون الجريمة نفسها. ولا شك في أن المسيحية تستخدم أساليب أكثر حذقاً، لأنها الديانة الأقوى في العالم. إنها تستخدم أساليب البرمجة العصرية الأكثر جدة. ومبشروها يدرسون التحليل النفسي، وأساليب البرمجة وإزالة البرمجة المطبقتين على البشر. فإذا كان الهدف تحويل الهندوسي إلى مسيحي، فإنه في البداية يجب تنقية عقله من الهندوسية. والتسجيل غير المرغوب فيه يتم محوه - ونعود لنتعامل مع لوح فارغ نظيف. والآن صار ممكناً أن تسجل عليه: "المسيحية - هي أعظم دين في العالم، لم يأتِ إلى أرضنا إنسان مثل عيسى المسيح ولن يأتي أبداً، لأنه الابن الوحيد للرب".

جميع الجيوش ترتكز على الأسرة. في الماضي كانت تسود عادة إرسال ابن واحد على الأقل من أبناء الأسرة للدفاع عن الوطن، وللدفاع عن كرامة وهيبة الأمة. في التيبت كل أسرة يجب أن تقدم ابنها البكر

ليكون راهباً في الدير: وكأن الطفل غرض، وكأن الطفل مال، يمكن التبرع به للأعمال الخيرية! هكذا كان الوضع خلال آلاف السنين.

لقد انفلق العالم إلى معسكرات متخاصمة، بسبب الأديان، والسياسات، والقوميات، والأعراق. وجميعهم يتبعون للأسرة. الأسرة هي سبب آلاف المصائب البشرية.

الأسرة تُكسِب المرء الكبرياء، والرغبات، والتوق إلى النجاح. كل هذا يخلق لديه القلق، والانفعالات: هل سأنجح في أن أصبح مشهوراً؟ الأسرة تريدك أن تكون شخصية مشهورة، ليعرفك العالم بأسره. الأسرة تريد أن تكون أغنى رجل في العالم، وأن تكون رئيس البلاد. كل هذا التغطرس يولد داخل الأسرة. ولا يتوقع أحد، ولادة عقل، محكوم عليه بآلام ومعاناة شديدين ومستمرين. إنسان واحد فقط مكتوب له أن يصبح رئيس البلاد. فماذا يفعل بقية التسعمئة مليون هندوسي؟ جميعهم مقضيٌ عليهم بالفشل. من الرُّعب أن يشعر الناس بأنهم فاشلون ومحكوم عليهم ومتدنيو المستوى.

الأسرة هي سبب هذه الأمراض.

إنني أحلم بالعالم، الذي تحل محل الأسرة فيه الجماعة المشاعية. في الجماعة المشاعية الجو النفسي أكثر صحة، هناك لا يعتبر الأطفال ملكاً لأهلهم، بل هم أعضاء في الجماعة، وهناك لا يحمل الأطفال طابع الوالدين فقط، ففي الجماعة المشاعية الكثير من الأعمام والخالات. اليوم يمكنهم المبيت في هذه الأسرة، وغداً في أسرة أخرى. أنا أرغب في أن تحل الجماعة المشاعية محل الأسرة، ففي الجماعة المشاعية لا ضرورة لقيود الزواج.

الصديق

مأساتي العاطفية الحياتية تعكس القول الشهير لهامفري بوغارت: "النساء... الحياة معهن جحيم، وبدونهن جحيم". فماذا يمكنني أن أفعل؟

يجب أن تمر عبر هذا الجحيم. يجب أن تختبر جحيم العيش مع المرأة وجحيم عدم وجودها في حياتك. وهذا الأمر لا يتعلق بالنساء فقط، بل وبالرجال أيضاً بالدرجة نفسها. لهذا لا تكن خنزيراً متعصباً! فالقول يعني الرجال والنساء بدرجة متساوية؛ إنه سيف ذو حدين. فالنساء تعبن أيضاً من العيش مع الرجال؛ وهن يعانين كذلك، إذا اضطررن للعيش بمفردهن. إنه برهان منطقي ذو حدين، وعلينا أن نفهمه. الرجل لا يستطيع العيش بدون المرأة، لأنه لا يعرف كيف يعيش مع نفسه. تنقصه القدرة التأملية.

التأمل هو فن العيش مع الذات - هذا فقط ولا شيء آخر، إنه فن الوحدة السعيدة. المتأمل يستطيع أن يفرح بوحدته لشهور وسنين. فهو لا يسعى لمعاشرة الآخرين والاختلاط بهم، لأنه يمتلئ بالغبطة الداخلية. ما حاجة شخص كهذا إلى رفقة؟ وإذا ظهر أحد ما في حياته، فلن يكون ضرورة وإنما رفاهية. وأنا مع الرفاهية، إذ يمكن الاستمتاع بالرفاهية عند وجودها وعند عدم وجودها. الحاجة ملحة. فمثلاً الخبز والزيت ضرورة ملحة، أما الأزهار في الحديقة فرفاهية. يمكن العيش بلا أزهار، فلن تموت بدونها، ولكن لا يمكن العيش بلا خبز وزيت.

فبالنسبة للذي لا يستطيع العيش في عزلة لوحده، لا يستطيع العيش مع نفسه، وجود شخص آخر - ضرورة ملحة ومطلقة. الإنسان يتعب من نفسه عندما يكون لوحده؛ ويتعب لدرجة أنه يحتاج لينقل انتباهه إلى شخص آخر. وتتولد الضرورة، التي تولد التبعية: فأنت مضطر لتكون تابعاً لشخص آخر. أنت تكره هذه التبعية، وتثور ضدها، وتقاومها، لأنها عبودية. التبعية هي نوع من أنواع العبودية، ولا أحد يريد أن يكون عبداً.

الرجل يلتقي مع المرأة، إنه لا يستطيع العيش بمفرده. هي أيضاً لا تستطيع العيش بمفردها، لهذا تأتي لملاقاته؛ وإلا فلا ضرورة للقاء. كل منهما ملَّ من حياة الوحدة، وكل يأمل أن الآخر سيخرجه من الملل. صحيح، في البداية كل شيء يحدث بهذه الطريقة تماماً، ولكن فقط في البداية. بعد أن يعيشا معاً، يبدآن بملاحظة أن الملل لم يرحل عنهما، بل تضاعف عدة مرات. في البداية شعر كل منهما بالملل من نفسه، ثم ضجرا من بعضهما بعضاً: فكلما تقارب الشخصان أكثر، وكلما عرفا بعضهما بعضاً معرفة أفضل، كلما شكلان جزءاً من بعضهما بعضاً.. لهذا السبب، إذا نظرت إلى رجل وامرأة يتنزهان كئيبين، يمكنك أن تقول بثقة، إنهما زوج وزوجة. أما إذا كانا يتحادثان باهتمام، فذلك معناه، أنهما غير متزوجين. ربما يتنزه الرجل مع زوجة أحد آخر - من هنا تنبع حيوية العلاقة.

فإذا كنت عاشقاً، وإذا لم تقنع المرأة، وهي لم تقنعك بأنكما بحاجة لتكونا معاً، فإنكما معاً تتظاهران بالسعادة. حسناً، جزئياً يمكن أن يكون ذلك صحيحاً، لأن الأمل يدفئ الإنسان: "من يدري، ربما سأنجح في الخروج من مستنقع الكآبة، والمعاناة، والقلق، والغم، والوحدة. ربما، ستساعدني هذه المرأة". وهي أيضاً تأمل الشيء نفسه بالنسبة لها. ولكن بعد مرور بعض الوقت يكتشف الاثنان، أن الأمل تلاشى، ليحل محله اليأس. وعادت الكآبة، وكبرت المشكلة. فتتولد الرغبة في التخلص من هذه المرأة.

في حال لم تمارس التأمل، فإنك بحاجة لمن يشغلك. بدون تأمل يستحيل أن تُحِب، لأن الحب هو الفرح الذي يملأ كيان الإنسان. فإذا كنت قد سئمت من نفسك، فبماذا يمكنك أن تتقاسم مع الآخر؟ لهذا السبب يتحول التعامل مع الآخر إلى جحيم أيضاً.

جان بول سارتر محق من هذه الناحية، عندما قال، إن "الآخر هو الجحيم". في الواقع ليس الآخر هو الجحيم، بل إنه يبدو كذلك فقط. الجحيم موجود في داخلك، في غياب نشاطك التأملي؛ في استحالة تواجدك وحيداً مع نفسك، في استحالة اختبار الشعور بالنشوة الروحية. أنتما الاثنان عاجزان عن الشعور بفرح الوحدة والنشوة الروحية. وها قد أمسك كل منكما بعنق الآخر محاولاً انتزاع بعض السعادة لنفسه من الآخر. هذا الأمر يخصكما معاً، فأنتما الاثنان مستجديان.

سمعت قصة:

"التقى محللان نفسيان في الشارع. فسأل أحدهما الآخر: "تبدو بحال جيدة، وأنا؟".

لا أحد يعرف نفسه، لا أحد يعرف شيئاً عن نفسه. فنحن نرى وجوه الآخرين فقط. المرأة تبدو جميلة، والرجل منظره حسن؛ الكل يبتسم، منفرجة أساريرهم. ولكننا لا نعرف شيئاً عن معاناتهم. ربما تمثل هذه الابتسامات جميعها واجهة رائعة، لإيهام الآخرين وخداع الذات. فهذه الابتسامات يمكن أن تخفي دموعاً مريرة. الإنسان يخاف من أنه إذا ابتسم، فإنه لن يتحمل فيجهش بالبكاء. عند لقائك لشخص ما، لا ترى سوى الواجهة وتقع في حب هذه الواجهة. وعند تقاربك أكثر مع هذا الشخص، تكتشف سريعاً، أنه في أعماقه كئيب مثلك. وأنه مستجدي مثلك. فينتج

لدينا الوضع: مستجديان يستجديان بعضهما بعضاً. نعم، حياة كهذه تصبح جحيماً.

نعم، أنا موافق: "الحياة مع المرأة - جحيم، والحياة بدونها - جحيم أيضاً".

السبب ليس في النساء أو الرجال؛ السبب في غياب الحب والتأمل. التأمل هو النبع الذي يملأ الإنسان فرحاً، وهذا الفرح يملؤه سريعاً. وإذا استطاع الإنسان أن يتقاسم بفرحه، في هذه الحالة سيجلب له الحب الرضا. فإذا لم يكن لديه شيء يتقاسم به، فإن شعوره سيجلب له خيبة الأمل، والإنهاك، والملل. ولهذا، في كل مرة تشعر فيها بالملل مع المرأة، تسعى للتخلص منها؛ وعندما ينتابك الضجر من وحدتك، تسعى للتخلص من حالة الوحدة ببحثك عن المرأة. إنها دائرة مفرغة! التنقل بين هاتين الحالتين يمكن أن يستمر العمر كله، كالبندول المتأرجح من طرف لآخر. من الضروري أن نستوضح مغزى الوضع الناتج. حيث أن المشكلة ليست في المرأة ولا في الرجل. بل يتلخص السبب الحقيقي في غياب ممارسة التأمل عند الشريكين، لأن التأمل يقود إلى ازدهار الحب، والفرح، والغبطة.

مارس التأمل، كن روحانياً مُلهَماً، وستمتلئ حياتك بالمحبة بحد ذاتها. وعندها تصبح وحدتك، وعشرتك للحبيب حالتين رائعتين وغير مثقلتين لك: فأنت لم تعد تابعاً للآخرين، ولا تسمح بأن يكون الآخرون تابعين لك. عندها ستحيط بك الصداقة (المحبة) دائماً، والتي لا تقود أبداً إلى الزواج، بل تبقى معاشرة دائماً. فأنت تعاشر، ولكن لا تقيم أواصر الزواج. فالحياة الزوجية تولَدُ من الخوف، أما المعاشرة فمن الحب.

فأنتما تتعاشران، وتسير الأمور على ما يرام، فتسعدان بصحبة بعضكما بعضاً. ولكن إذا جاء وقت الفراق، وافترق طريقاكما عند مفترق طرق، فإنكما ستودعان بعضكما بعضاً بامتنان كبير على كل ما قدمتماه

لبعضكما بعضاً، على كل السعادة والمتعة والفرح، الذين وهبتماهم لبعضكما بعضاً. لم يعد للمعاناة وجود ولا للألم، إنكما تفترقان لا أكثر.

ليس بمقدور أحد أن يضمن بأن شخصين سيكونان سعيدين مع بعضهما البعض دائماً، فالناس يتغيرون. فعندما تلتقي مع المرأة، تكون على شاكلة، وبعد عشر سنوات تصبح على شاكلة أخرى. هذا الوضع يذكرني بالنهر: فالمياه دائمة الجريان. يمكن الاستمرار في التعلق بالوعد الذي نطق به الآخر، ولكنك أنت لم تنطق به.

الإنسان العاقل لا يعطي الوعود المستقبلية أبداً؛ يمكنه أن يقول فقط: "في اللحظة الراهنة". والإنسان الصادق حقاً لا يعطي أي وعود. كيف يمكن إعطاء الوعد؟ فمن يعرف، ماذا سيحدث غداً؟ الغد يمكن أن يأتي، ويمكن ألا يأتي. غداً "سأكون مختلفاً، وستكون مختلفاً". غداً "ستجد لنفسك شخصاً آخر يناسبك أكثر، وأنا أستطيع أن أجد أحداً، سأشعر معه براحة أكبر". العالم هائل، فلم أنغلق عنه اليوم؟ لتبقى الأبواب مفتوحة، وليبقى الخيار ممكناً.

أنا ضد الزواج. لأن الزواج بالتحديد يولد جميع المشكلات. الزواج تحديداً يولد عندي الاشمئزاز. إنه العادة الأكثر بشاعة في العالم ـ مؤسسة الزواج؛ إنه يجبر الناس على الكذب: لقد تغيروا ولكنهم يستمرون في التظاهر بأنهم ما زالوا كما كانوا في الماضي.

عجوز في الثمانين وزوجته في الخامسة والسبعين من العمر قررا السفر للاحتفال باليوبيل: خمسون سنة من الحياة المشتركة. فسافرا إلى الفندق الجبلي ذاته، حيث قضيا شهر عسلهما. إنه الحنين! واليوم هو في الثمانين وهي في الخامسة والسبعين. حجزا الغرفة نفسها، التي حجزاها في الماضي. لقد رغبا باستعادة الذكريات السعيدة.

وعندما جاء وقت النوم، وهماً بالاستلقاء في السرير، سألت الزوجة:

ـ هل نسيت؟ ألا تريد أن تقبلني كما فعلت في تلك الليلة؟

ـ حسناً ـ رد العجوز ونهض من السرير.

ـ إلى أين؟

ـ إلى الحمام لأحضر الأسنان الصناعية.

كل شيء تغير. فالقبلة بدون أسنان أو مع أسنان صناعية لن تكون كالسابق أبداً. ولكن العجوز يقول: "حسناً". ليس سهلاً فعل كل هذا على عجوز في الثمانين... ولكن الناس يستمرون بالتصرف وكأنهم لم يتغيروا.

قلة يكبرون فعلاً؛ الناس يهرمون، ولكنهم لا يكبرون. الكبر والهرم ليسا الأمر نفسه. فالرشد الحقيقي يأتي مع التأمل فقط.

يجب أن تتعلم الاستغراق في الصمت والهدوء. يجب أن تتعلم تهدئة العقل. هذا يجب أن يصبح بداية. ولا يجب اتخاذ أي إجراء قبل التأمل؛ وبعد التأمل كل شيء سيجري على ما يرام. فإذا كنت تشعر بالسعادة والغبطة، فلا شيء في العالم يمكنه أن يزعجك: لا الحرب العالمية الثالثة، ولا زوال العالم بأسره. فأنت ستظل جالساً في ظل الشجرة تمارس جلسة التأمل (الفيباسانا).

عندما يحل يوم كهذا في حياتك، سارع للتقاسم بفرحك. الآن أصبحت قادراً على المحبة. في السابق كانت حياتك مليئة بالمعاناة، والآمال والمآسي، والرغبات والخيبات، والأحلام... وفجأة كل شيء تحطم وزال. كن حذراً، ولا تضيع الوقت. فكلما أسرعت بجعل عقلك حيادياً، كلما كان أفضل. عندها سيبدأ كل شيء فيك بالازدهار بفرح: الحب والإبداع وعدم التكلف والفرح والصلاة والشكر والرب.

القسم الثالث

أنا لا نفع مني،
أنا أستطيع الغناء فقط،
ولكن أغانيّ لا نفع منها أيضاً.

رابيندرانات تاغور

السياسي

إنني صاحب توجه راديكالي (جذري)، ورجل سياسة ثوري. هل يمكنك أن تقول شيئاً بهذا الخصوص؟

لقد تورطت كثيراً، ولن تستمع إليَّ. إذ يكفيك أن تكون سياسياً، ولكنك قررت أن تصبح صاحب توجه راديكالي، ورجل سياسة ثوري: لقد تضاعف الورم السرطاني مرتين، وحتى ثلاث مرات. ألم تعد السياسة وحدها كافية؟ وهل من الضروري أن تكون راديكالياً وثورياً؟ ولكننا دائماً نجد الكلمات الجميلة، لنخفي وراءها الواقع الشنيع.

السياسي لا يمكن أن يكون ثورياً، لأن الثورة الوحيدة الممكنة - هي الثورة الروحية. كذلك لا وجود لسياسيين راديكاليين، لأن كلمة راديكالي تعني الانتماء إلى الجذور. السياسي يقوم بقص الأوراق فقط، وليس له أي علاقة بالجذور. وفقط التنور يقود الإنسان إلى الجذور، والتأمل فقط يكشف للإنسان العلل الأولى لجميع المشكلات.

السياسة كانت موجودة دائماً، والسياسيون كانوا موجودين دائماً، ولكن إلى ماذا قاد وجودهم؟ لقد بقي العالم دورة مشكلات كالسابق. والأكثر من ذلك، يتزايد الفقر يوماً بعد يوم. جميع هؤلاء السياسيين الثوريين والراديكاليين لم يثبتوا سوى ضررهم؛ وطبعاً، كانوا أصحاب نوايا حسنة، ولكن النوايا لا تؤخذ في الحسبان هنا. فالأهمية هنا فقط لإدراك الذات. السياسي ليس لديه إدراك لذاته، بل على العكس، إنه يحاول تجنب مشكلاته الشخصية الداخلية، إنه يحاول نسيانها. وأبسط طريقة للهروب من الذات - هي الانغماس في حل المشكلات العالمية سواء

الاقتصادية، أو السياسية، أو التاريخية، وتكريس الذات لخدمة الفقراء، وتغيير المجتمع، والإصلاح. كل هذا ضروري للاختباء من مشكلاتك الذاتية؛ كل هذا استراتيجيات خطيرة تمتاز بالدهاء، لأن الإنسان يظن أنه يمارس عملاً عظيماً، لكنه في الحقيقة جبان.

قبل كل شيء، يجب عدم الخوف من مواجهة مشكلاتك الشخصية وجهاً لوجه. ويجب تغيير جوهرك. فقط الإنسان المتغير قادر على تحقيق التغيير في الآخرين.

أنت تسأل: "هل يمكنك أن تقول شيئاً بهذا الخصوص؟" تذكر التالي. أولاً: توجد ثلاث قوى مدمرة. ثلاث قوى تستطيع تدمير الإنسان: القوة الأولى هي الجنس، والثانية هي القمار بأنواعه، والثالثة هي السياسة. الجنس يمنح شعوراً بالمتعة القصوى، وألعاب القمار تمنح قمة الإثارة، أما السياسة فتؤمن السلامة الكبرى.

ثانياً: القانون الرئيسي لجميع الثورات يتلخص في التالي: عندما تحدث الثورة، كل شيء يتغير؛ لا يصبح الوضع أفضل، إنما يتغير فقط.

مرت قرون والسياسيون يقودون البشرية جمعاء - ولكن إلى أين، إلى أي هدف؟ ألم يحن الوقت لإدراك عبثية هذه اللعبة؟ نحن على الأقل ندرك، وبشكل كامل تأثير السياسة، التي صار عمرها خمسة آلاف سنة. وعلى الأغلب كان الوضع السابق للفترة الزمنية المذكورة يماثل ما تلاه. ولكن هل تغير أي شيء بعد خمسة آلاف سنة من الألاعيب السياسية؟ ما زال الإنسان كالسابق غارقاً في الظلام نفسه، وفي الفقر نفسه، وفي الجحيم نفسه. نعم، يستمر السياسيون بإطعامه الأمل بغد أفضل، ذلك الغد الذي لا يأتي. فغداً لن يأتي أبداً.

السياسة أفيون للشعب، كارل ماركس قال: إن السياسة هي أفيون الشعوب. هذه حقيقة، بنسبة تسع وتسعين بالمئة فاصلة تسع وتسعين

عِشراً؛ وفقط نسبة عشر واحد من هذا القول ليس حقيقة. لأن هذا العشر يضم بوذا، والسيد المسيح، ولاو تزي، وزرادشت - فقط عدد من الأشخاص ينتمون إلى هذا العشر الواحد، أما بشكل عام فكارل ماركس محق بنسبة تسع وتسعين بالمئة وتسع وتسعين عِشراً، في أن الدين هو أفيون الشعوب. لقد جعل الدين الناس في حالة تخدير، وكأنهم نائمون، حتى استطاعوا تحمل هذا الوجود الذي لا يطاق، وتحملوا جميع أنواع العبودية، والجوع، في سبيل الغد السعيد. كما وعدهم الدين بمستقبل سعيد في حياة الآخرة، بعد الموت.

يأتيني أناس يسألونني: "ماذا سيحدث بعد الموت؟" وأنا لا أجيبهم، بل أسألهم سؤالاً: "لا تفكروا بما سيأتي بعد الموت، وأجيبوني على سؤال واحد: ما الذي يحدث قبل الموت؟"... لأن الشيء الذي يحدث قبل الموت، سيستمر بعد الموت أيضاً. إنها حالة استمرارية: فوعيك سيبقى نفسه، فلا أهمية لقبل أو بعد. الجسد سيتغير، القالب سيتغير، ولكن المحتوى يبقى نفسه. ومهما يحدث، فإنه يحدث مع المحتوى، وليس مع الشكل.

في البداية كان الدين يعطي الأفيون للشعب: "غداً"، "بعد الموت". ملايين الناس بقوا في حالة تخدير بعد البنج (الكلوروفورم)، البنج الديني. اليوم تمارس السياسة الأمر نفسه. حتى الشيوعية لم تقدم للجماهير شيئاً، غير الأفيون، فالشيوعية هي نوع جديد من الدين.

الإستراتيجية بقيت ذاتها: "غداً ستُدَوّي الثورة، وكل شيء سيكون على ما يرام". يجب أن نضحي بالحاضر من أجل غد مشرق، والذي لن يأتي أبداً.

مرت ثمانون سنة بعد اندلاع الثورة في روسيا، وما زال الغد المشرق بعيداً كما كان في الماضي. ومرت خمسون سنة بعد الثورة في الهند، ثورة غاندي، وما زال الغد المشرق خارج نطاق الرؤية، حتى أنه ازداد

بعداً. إن الذين ضحوا بأنفسهم، فعلوا ذلك بلا جدوى - الأفضل لو أنهم بقوا أحياء. أما الذين قُتِلوا، فهم في الواقع انتحروا، آملين أنهم يقدمون خدمة كبيرة للبشرية. لا تخلقوا المزيد من الجنون في العالم، فقد امتلأ بهم بما فيه الكفاية.

زميلي عمل في فترة من الماضي في مستشفى للمجانين. وخلال جولته، كان يسأل جميع المرضى السؤال نفسه: "لماذا أنت هنا؟" والجواب كقاعدة، كان يكشف نسبة الاهتداء الواقعي عند المريض. ولكن في صباح أحد الأيام تلقى الطبيب النفسي جواباً على سؤاله صعقه. حيث قال المريض: "أنا هنا للسبب نفسه لوجودك يا دكتور. فأنا لم أستطع تحقيق ذاتي في ذلك العالم".

المرضى والأطباء، الشعب والسياسيون - جميعهم يتواجدون في قارب واحد. فهناك الكثير من المهووسين بالقتل يعيشون بيننا. وإذا تخليت عن سياستك الراديكالية الثورية، سيختفي مهووس واحد على الأقل، وهذه نعمة كبيرة.

القسيس

جاء شيطان شاب يلهث وهو يركض إلى رئيسه. يرتجف من قلة الصبر، وقال للعجوز:

- يجب أن نفعل شيئاً بسرعة، فعلى الأرض ظهر إنسان عرف الحقيقة! ماذا سيحدث لنا، إذا عرف الناس الحقيقة؟

فضحك الشيطان العجوز وقال:

- اجلس واسترخ ولا تقلق. لقد حسبت حساباً لكل شيء، رجالنا هناك.

- ولكنني جئت تواً من هناك؛ ولم أرَ شيطاناً واحداً.

- رجالنا هم قساوسة! لقد أحاطوا بالذي وجد الحقيقة. وسيصبحون الآن وسطاء بينه وبين الجماهير. سيبنون المعابد، ويكتبون الكتب المقدسة؛ ويفسرون كل شيء تفسيراً مغايراً للحقيقة ومشوهاً لها عن قصد. وسيطالبون الناس بأن يتعبدوا ويصلوا. ووسط هذه الفوضى ستغرق الحقيقة بسهولة! إنه أسلوبي القديم، ولم يخذلني حتى الآن ولا مرة واحدة.

إن القساوسة الممثلين للدين، ليسوا أصدقاء للدين. إنهم ألد أعداء الدين، لأن الدين ليس بحاجة لوسطاء؛ فبينك وبين الرب يوجد تواصل مباشر. وليس عليك سوى أن تتعلم شيئاً واحداً: كيف تفهم لغة الرب. فأنت تعرف لغات البشر، ولكنها ليست لغات الرب. الرب يستخدم لغة واحدة، إنها: لغة الصمت.

وإذا نجحت في أن تصبح صامتاً، فإنك ستنجح في إدراك الحقيقة، ومغزى الحياة، وعظمة الوجود بكامله. لا أحد يستطيع أن يشرح لك ذلك. كل إنسان يجب أن يجد الحقيقة بنفسه، لا أحد سيقوم بذلك عنك. وهذا بالتحديد ما يفعله القساوسة خلال قرون. إنهم يقفون كسور الصين العظيم حائلاً بينك وبين الرب.

فمنذ عدة أيام فقط، توجه بابا الفاتيكان بخطاب إلى جميع الكاثوليك في العالم، قال فيه: "تردني تقارير كثيرة، بخصوص قيام الكثير من الكاثوليك بالتحدث مع الرب مباشرة. وأنهم لا يذهبون للاعتراف، لا يذهبون إلى القسيس. وأنا أعلن، أن

الاعتراف للرب مباشرة - إثم عظيم. إذ يمكن تقديم الاعتراف للقسيس فقط؛ ولا يجوز التحدث مع الرب شخصياً". وهو لم يشرح السبب، لأن السبب ببساطة غير موجود. لقد أعلن عن تأييده لمهنة القسيس، فهو شخصياً رئيس القساوسة.

فإذا بدأ الناس ينهلون المعرفة المتعلقة بالواقع بدون تلقين من أحدهم، وبدون توجيه من شخص غريب، حول ما هو الخير وما هو الشر، وبدون دليل اتجاهات يُعِدُّه الآخرون، فإن ملايين الناس سيكتشفون الحقيقة، لأن نبض قلوبنا هو نبض قلب الكون؛ وحياتنا هي جزء من حياة الكون. نحن لسنا كائنات فضائية حطت على سطح الأرض، إننا موجودون في قلب الكون. نحن جزء من الكون، وجزء هام منه. علينا أن نغوص في الصمت، لنسمع ما يستحيل التعبير عنه بالكلمات: لنسمع موسيقى الكون، والفرح اللامتناهي للكون، والعيد الدائم في هذا الكون. فما إن يتغلغل كل ذلك في قلوبنا، سيحدث التَحَوُّل فينا.

فقط عبر هذا الطريق الوحيد يصبح الإنسان متديناً؛ وليس بفضل ارتياد الكنيسة، التي بناها الإنسان، أو عبر قراءة الكتابات المقدسة، التي وضعها الإنسان. ولكن القساوسة يؤكدون، أن كتاباتهم المقدسة كتبت بيد الرب نفسه. الفكرة نفسها تبدو بلهاء! تفحص بدقة هذه الكتابات: لن تجد فيها توقيع الرب في أي مكان. وإنما ستجد أموراً تثير الشبهة حول نسبة الكتابات إلى الرب.

الهندوس يؤمنون بالفيدا ومقتنعون أن الفيدا كتبت بيد الرب؛ لأنها الكتب الأقدم على وجه الأرض، ولكن لم يُفَرِّغ أحد من الهندوس نفسه لينظر داخل هذه الكتابات. فلو أن الرب كان كاتبها، لمثلت مادة ثمينة لا تضاهى بثمن. ولكن نسبة تسع وتسعين من الفيدا - هراء بحت؛ ولغو، يبين مباشرة أن الرب لا علاقة له بها.

فمثلاً، صلاة الكاهن... ما غاية الرب من كتابتها؟ وموضوع الصلاة في أن أبقار الكاهن لا تدر حليباً كافياً، فيقول: "أشفق علي، ضاعف كمية الحليب المستدَر من أبقاري". ولا يكتفي بذلك، بل يتابع: "لتنخفض كمية الحليب المستدر من أبقار جاري!" فهل سيكتب الرب ذلك؟ - "ساعد أصدقائي واقتل أعدائي..."، حتى سخافة كهذه نسبوها للفيدا: "قريباً سيبدأ موسم الأمطار. اجعل المطر يهطل فوق حقلي فقط ولا يهطل فوق حقل جاري، لأنه عدوي. ليسقي المطر حقلي فقط".

ما غاية الرب من كتابة ذلك؟ فكل كتابة مقدسة تعطي حججاً دامغة، بخصوص أنها من فعل يد الإنسان؛ وأن كاتبيها أشخاص لم يمتازوا حتى بالذكاء بل كانوا بدائيين. إن هذه الكتابات المقدسة كما يسمونها لا تدخل حتى ضمن الأدب الجيد، لأنها ساذجة وجلفة ورديئة. والذي يساعد على استمرارها هو كتابتها بلغات ميتة... فالبعض من الكتابات المقدسة مثل الفيدا، مكتوبة بلغات لم يستخدمها الإنسان العادي أصلاً. فتلك اللغات لم تكن مخصصة لحديث الناس العاديين؛ لقد كانت لغة علماء البراهمة والقساوسة. ولم يرغبوا في أن تترجم الكتابات إلى لغة يفهمها العامة، لأنهم كانوا يعرفون أنه: ما إن تظهر الترجمة، سيفقد الكتاب قداسته. وسيدرك الناس، أن هذا الهراء أكثر من رذيل، وأنه لا مجال أصلاً للحديث عن أي قداسة هنا! في الكتابات المقدسة لدياناتكم يمكن أن نجد كماً هائلاً من الخلاعة والبذاءة... ولكنها مكتوبة باللغة السنسكريتية التي لم يكن يعرفها الناس العاديون؛ والعبرية القديمة التي لم تكن أصلاً للناس العاديين؛ وبلغة البالي والبراكتير واللاتينية... جميع هذه اللغات ميتة. جميع الديانات تحاول ألا تظهر الترجمات في الطباعة باللغات العصرية، فيفهمها جميع الناس، وعلى الرغم من كل جهودهم تمت ترجمة هذه الكتابات المقدسة جميعها.

في البدء عارضوا طباعتها، ثم عارضوا ترجمتها. والسبب الوحيد الممكن لذلك: هو إدراكهم، أن المادة المطبوعة ستباع في جميع أنحاء العالم، وبمقدور كل إنسان شراءها. وإذا ظهرت ترجمات إلى اللغات المعاصرة، فكم من الوقت بعد سيمكنهم إخفاء الحقيقة؟ وكيف السبيل لإثبات أنها مكتوبة بيد الرب؟ هذه الكتابات كتبها الإنسان، وهذه المعابد والكنائس بناها الإنسان، ولكن فرض الشروط الدينية على الناس لآلاف السنين أكسبتها مسحة من القداسة. في حين أنه في الحقيقة لا شيء مقدس فيها.

لقد خدع القساوسة الناس أكثر من أي كان. أن تكون قسيساً هو أسوأ مهنة في العالم. لأن القسيس يتبجح ليس إلا، فلا شيء لديه ليقدمه للناس.

وهذا ليس كل شيء: فجميع القساوسة يتكتلون فوراً ضد كل من أدرك الحقيقة. وطبعاً، لديهم أسبابهم لذلك، لأنه إذا صارت الحقيقة متوفرة للناس، فإن ملايين القساوسة في جميع أرجاء العالم سيخسرون عملهم. عملهم الذي هو غير منتج لشيء. إنهم طفيليات، تمتص دم الإنسان. منذ ولادته وحتى وفاته يجد القسيس مختلف الوسائل، ليستغل الإنسان. وإلى أن يأتي يوم يتم فيه تحرير الدين من أيدي القساوسة، لن ينتشر في عالمنا سوى الدين المزيف، ولن يصبح العالم متديناً حقاً أبداً. فالعالم المتدين لا يمكن أن يكون على هذه الدرجة من البؤس: العالم المتدين يجب أن يكون عيداً دائماً.

الإنسان المتدين - هو ليس إلا نشوة روحية نقية. فالأغاني تملأ قلبه. وفي أي لحظة يكون كيانه مستعداً للرقص. ولكن القسيس أظله عن البحث عن الحقيقة: فهو يؤكد، عدم ضرورة البحث، لأن الحقيقة قد وجدها أصحاب القرار، ولم يبق للإنسان سوى الإيمان بها.

القسيس جعل الناس بؤساء، لأنه يدين جميع متع الحياة. فهو يدين جميع متع هذه الدنيا، ليتغنى بمتع العالم الآخر. ولكن الحياة الأخرى هي وهم. أما هو فيريد، أن تضحي البشرية بالواقع من أجل فكرة كاذبة، والناس يضحون بالواقع.

العالِم

في إحدى المرات قلتَ، إن العلم يصدر عن العقل، والدين ينبع من القلب. وأنا أفهم، بأن هذين المفهومين، مع كونهما متناقضين، فهما في تبعية متبادلة لبعضهما بعضاً. فواحدهما عاجز عن الوجود من دون الآخر، والأمر يمكن تشبيهه بعدم قدرة الإنسان على العيش بدون قلب وبدون عقل. فهل من الممكن، في هذه الحالة، أن يصبح المجمع العلمي العالمي سبباً في نشوء المجمع الديني، كظاهرة حتمية؟ وهل يتحد العلم العالمي والدين العالمي في رؤيتك للإنسان الجديد؟

الإنسان هو ليس عقل وقلب فقط. ففيه شيء أكثر أهمية من العقل والقلب معاً، إنها النفس. ولهذا من الضروري الأخذ بالحسبان ثلاثة عناصر: العقل، والقلب والنفس.

لقد قلت، إن الدين ينبع من القلب، لأن الدين جسر بين العقل والنفس. والعقل لا يمكن أن يُردَ إلى النفس إلا عبر القلب.

العلم يكتفي بالعقل، والمغزى، والمنطق فقط. والقلب يكتفي بالمشاعر، والانفعالات، والحساسية (سرعة التأثر). أما النفس فإنها تتجاوز

حدود العقل، والقلب. إنها صمت مطلق - بلا أفكار، وبلا مشاعر. والإنسان الذي أدرك نفسه، هو فقط الجدير باسم الإنسان المتدين حقاً. فالقلب ليس إلا محطة توقف وانتظار، ونقطة انتقال إلى وسيلة نقل أخرى.

ولكن أرجو أن تفهم صعوبة موقفي. فأنت تدرك كل شيء بعقلك. وأنا أعجز عن الحديث عن النفس، لأن العقل عاجز عن التواصل مع النفس. العقل لا يعترف بالنفس، لهذا السبب يستمر العلماء بنفي وجود النفس. ولهذا سأضطر لقصر حديثي على القلب، الذي يحتل موقعاً متوسطاً. فالعقل قادر على فهم القلب ولو قليلاً، لأنه حتى أعظم العلماء وقعوا في الحب. فعقل العالم يعجز عن إعطاء تفسير لما يحدث: ماذا يعني أن تقع في الحب؟ ولا يستطيع أن يبرهن منطقياً على ما يحدث معه، ولا يستطيع تحديد، لماذا يكون الشعور تجاه رجل محدد أو امرأة محددة، وما هي التفاعلات الكيماوية الحاصلة في تلك اللحظة، وكيف يمكن تفسير ذلك من وجهة نظر الفيزياء. حيث يتشكل انطباع، بأن الحب لا يأتي من أي مكان. كما أن العالم لا يستطيع نفي الشعور: فالحب موجود، وهو يقلب حياة الإنسان بكاملها رأساً على عقب. ولهذا أقول، إن الدين ينبع من القلب، وهو واسطة بين العقل والنفس.

فما إن أنجح بإقناعك في الانتقال من التفكير إلى الشعور، عندها يمكنني أن أقول، إن الدين ينبع من النفس. الدين - هو ليس أفكار ولا مشاعر، هو ليس منطقاً ولا انفعالات. إنه صمت نقي: من جهة، فهو خالٍ تماماً، فليس فيه أفكار ولا مشاعر، ومن جهة ثانية - إنه يمتلئ بالغبطة والبَرَكة.

التأمل - هو مسار من العقل إلى القلب، ومن القلب إلى النفس.

أود لو أن جميع العلماء يستمعون إلى قلوبهم. فذلك كفيل بتغيير طابع العلم. حيث يتوقف العلم عن خدمة الموت، ويتوقف عن ابتكار الأسلحة

الناشرة للموت. ولصار العلم في خدمة الحياة. ولكرس نفسه لخلق أزهار أكثر جمالاً وعطراً، ونباتات أكثر صموداً وبقاءً، وتحسين أنواع الحيوانات، والطيور، وخلق الإنسان الأكثر كمالاً. ولكن الهدف الرئيسي يبقى الانتقال من الشعور إلى النفس. فإذا وجه العالم عقله لحل المشكلات الموضوعية التي تعاني منها البشرية، ووجه قلبه لتطوير العلاقات الشخصية، ووجه نفسه نحو التطور الروحاني، فإنه سيصبح إنساناً كاملاً.

إنني أتصور الإنسان الجديد كإنسان كامل: كامل بمعنى أن مكوناته الثلاثة تؤدي وظائفها مكملة بعضها بعضاً، وليس في تناقض مع بعضها بعضاً. الإنسان الكامل يصنع العالم الكامل. الإنسان الكامل يخلق عالم العلماء، وعالم الشعراء، وعالم المتأملين.

إنني مقتنع بأن هذه المراكز الثلاثة يجب أن تحضر معاً في كل إنسان، لأن كل إنسان مفرد يعكس في داخل العالم بكامله. وهذه المراكز لا تميز المجتمع، وانما تميز الإنسان؛ وبالتالي، فإن الذي يجذب اهتمامي بالدرجة الأولى هو الإنسان المفرد. واذا استطعنا تغيير الإنسان، فعاجلاً أم آجلاً سيحدث الأمر نفسه مع العالم. حيث سيكون العالم مضطراً للتغير، لأنه سيشهد على جمال الإنسان الجديد.

والإنسان الجديد - ليس فقط عالم رياضيات لا غبار عليه؛ بل إنه يؤلف الموسيقى ويستمتع بها. وهو يرقص، ويعزف على الغيتار، الأمر الذي يعد استرخاءً ممتازاً للعقل، لأن العقل لم يعد مُفَعَّلاً هنا. ولكن الإنسان الجديد لا يعيش بقلبه فقط؛ فأحياناً يغوص في أعماق ماهيته، ويمثل ذاته ببساطة. إن مركز ماهية الإنسان - هي نفسه - والنفس تعد المركز الدقيق لحياته. وملامسة النفس، والحضور في داخلها - يعني الانبعاث. وستتضاعف جميع طاقات العقل والقلب مرات عديدة، لأن الإنسان الجديد سيستمد طاقته يومياً، في كل لحظة.

فاليوم حتى عالم عظيم مثل ألبرت أينشتاين يستخدم نسبة خمس عشرة بالمئة فقط من مخزونه العقلي. فماذا نقول عن الفانين العاديين؟ فبالنسبة لهم لا تتجاوز هذه النسبة الخمس أو السبع بالمئة. فإذا عملت المراكز الثلاثة ككل موحد، فإن الإنسان سينجح في استخدام مخزونه بالكامل، بنسبة مئة في المئة. فنحن فعلاً سننجح في بناء جنة على الأرض. هذا الأمر بمقدورنا. نحتاج إلى بعض المجهود، والقليل من الشجاعة، ولا شيء آخر.

يجب أن يدخل العلم إلى عالمنا؛ فجميع التقنيات، وجميع نواحي معيشة الإنسان يجب أن تقوم على الإنجازات العلمية. كما يجب أن يدخل الشعر إلى حياتنا؛ والا فإن الإنسان سيتحول إلى رجل آلي. الرأس هو الحاسوب. إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من دون الشعر، والأدب، والموسيقى، والرقص، والغناء؛ لأن كل مسألة، مهما كانت درجة صعوبتها ونوعها، يتفوق الحاسوب في حلها على الإنسان، ويقوم بذلك بفعالية وبلا أخطاء. البابوات كانوا دائماً يعلنون للملأ عن عصمتهم من الخطأ. ولكن ذلك لا يتوافق مع الواقع. أما إذا رغبوا في أن يكونوا معصومين من الخطأ، فإن عقولهم يمكن أن تستبدل بالحواسيب، عندها لن يخطئوا أبداً.

أما القلب فيمثل بنفسه مقياساً مختلفاً تماماً: إنه إحساس بالجمال وبالحب، وتعبير عنهما. وهذا ليس كل شيء. فالرضا لن يأتي حتى يصل الإنسان إلى مركزه، إلى جوهره. في حين أن الإنسان غير الراضي يكون خطراً، لأنه سيفعل كل ما هو معقول وغير معقول، ليتخلص من عدم رضاه.

إن الذي أدرك ذاته وأدرك جوهره، هو أغنى إنسان على وجه الأرض. فهنا بالتحديد يوجد ملكوت الرب. إنه ملكوتك، وأنت رب فيه. في أعماق نفسك، غائصاً نحو مركز نفسك، تصبح إمبراطوراً.

رجل الأعمال

أنـا رجـل أعمـال، وأود أن أعـرف، هـل بمقـدوري ممارسة التأمل؟

كـل إنسـان فـي هـذه الحياة عليـه أن يمتهن مهنـة مـا. فأحـدهم نجـار، وآخـر ملـك، وثالـث رجـل أعمـال، ورابـع مقاتـل. بهـذه الطريقـة يكسـب النـاس قـوتهم اليـومي، لشـراء الخبـز والزيـت، والمسـكن والملـبس. ولكـن طريقـة الكسـب لا يمكـن أن تغيـر العـالم الـداخلي للإنسان. فـلا يهـم، سـواء كنـت رجـل أعمـال أو محـارب: فواحـد يكسـب بهذه الطريقة، وآخر بتلك الطريقة.

لا يهم ماذا تعمل، المهم من تكون في الحقيقة. نعم، فعلاً، العمل لا يجب أن يتغلغل إلى ماهيتك الداخلية. فإذا كنت قد تشربت التجارة حتى عظمك، فإن ذلك سيُعقد سير عملية التأمل. حيث يصبح مستحيلاً عليك أن تصبح باحثاً عن الحقيقة... لأنـه فـي هـذه الحالـة يصبح العقـل شـديد التدبير والاقتصاد والحذر. الإنسان المُدَبِّر جبـان: فهـو يكثـر مـن التفكيـر وغير قادر على القيام بقفزة.

التأمل - هو قفزة من الرأس إلى القلب، ومباشرة مـن القلـب - إلـى جوهر الإنسان وماهيته. إنك تغوص أعمق فأعمق: إلى حيث يجب نسيان جميع الحسابات، حيث يصبح المنطق في غير محله. كما أنـك لـن تحتـاج هنـاك إلـى الاحتيـال. فالاحتيـال فـي الحقيقـة لـيس ذكـاءً؛ وإنمـا نقيضـه وبديله. فالناس الذين لا يمتازون بالذكاء يتعلمـون الاحتيال علـى أنواعـه، ويكون مرشدهم الجهل. أما الأذكياء فليسوا بحاجة للاحتيال؛ إنهم أنقيـاء، وليسوا بحاجة للاحتيال.

لا سوء في أنك رجل أعمال. فالنبي عيسى تعلم التأمل وصار باحثاً عن الحقيقة، وفي نهاية المطاف صار عيسى المسيح. لقد كـان ابنـاً لنجار، وكان يساعد أباه في حمل الأخشاب ونشرها. فـإذا اسـتطاع ابـن النجار أن يصبح بوذا، فلماذا لا تستطيع أنت؟

كبير كان حائكاً. وظل يمارس مهنته طوال حياته، وحتى بعد التنور استمر في الحياكـة. فقـد كـان يعجبـه ذلـك! كثيـراً مـا طلـب منـه تلاميـذه والدموع في أعينهم: "لست بحاجة للعمـل بعـد الآن، نحـن سـنعتني بـك! لديك تلاميذ كثر، فما حاجتك للعمل في هذه السن المتقدمة؟"

وكان كبير يجيـب: "هـل تعرفـون، لمـن أحيـك ولمـن ألـف الخيـوط؟ للرب! بالنسبة لي كل إنسـان صـار ربـاً. بهـذه الطريقـة أصـلي". فـإذا صـار كبير بوذا، واستمر في عمله حائكاً، فلماذا لا تستطيع أنت؟

ولكـن التجـارة لا يجب أن تتغلغـل فـي جـوهرك الـداخلي. يجـب أن تبقى التجارة في الخارج، أن تكون وسيلة لكسب المعيشة فقط. مع انتهـاء ساعات العمل، أغلق محلك التجاري، وانـسَ العمـل بالكامـل. ومـع دخولـك إلى البيت، لا تجلب مشكلات العمل معك. انسَ العمل وأنت في جو الأسرة، بجانب زوجتك وأولادك. مكروه أن تبقى رجـل أعمـال وسـط أفـراد أسـرتك؛ فذلك معناه أن العمل يؤثر على جوهرك. العمل هـو المحيط. ولا يجـب أن يعلـو على الجوهر؛ عليك أن تتعلم كيف تضع جميع الأمـور جانبـاً وتغـوص في عالمك الداخلي. في هذا يتلخص مغزى التأمل...

وهكذا ابـق رجـل أعمـال، ولكـن انـس عملـك لـبعض الوقـت. أنـا لا أقول، إنه عليك التخلي عن حياتك الاعتيادية. إنني أشير عليـك بـالطرائق والوسائل، سيمياء تحول الاعتيادي إلى شيء فريد.

كن رجل أعمال في العمل، ولكن ليس في البيت. وأحياناً انـس لعـدة ساعات البيـت، والأسـرة،والزوجة، والأولاد. لعـدة سـاعات ابـق مـع نفسـك.

وتعمق أكثر فأكثر في جوهرك. افرح، اشعر بالمحبة تجاه نفسك، وتدريجياً ستبدأ بإدراك، أن فرحاً لا حدود له يغمرك، وسبب هذا الفرح غير مرتبط بالعالم الخارجي. إنها فرادتك. إنه التأمل.

"اجلس بصمت، ولا تفعل شيئاً؛ فالربيع سيأتي والعشب سينمو بنفسه". اجلس بصمت، ولا تفعل شيئاً، وانتظر الربيع. إنه سيأتي، فالربيع يأتي دائماً، والعشب ينمو بنفسه. ستشعر، بأن فرحاً عظيماً يغمرك بلا سبب. تقاسم به، أعطِ هذا الفرح للناس! كرمك سيكون صادقاً. لن يكون كرمك وسيلة لتحقيق هدف ما، بل سيكتسب قيمة ذاتية.

إن السانياسا الخاصة بي - ليست سوى حياة اعتيادية، فهي لا تجعل أحداً مهووساً؛ إنها متسامية، وتنتمي لهذا العالم، وفي الوقت نفسه تخرج خارج حدوده. هذه هي السانياسا.

في السابق كان السانياسي يهجر زوجته، وأطفاله، وعمله، ويذهب إلى جبال الهيمالايا. ولكن هذه الطريقة لم تبرهن على صحتها. فالكثير غادروا إلى الهيمالايا، ولكنهم أخذوا معهم عقولهم السطحية. لم تساعدهم الهيمالايا بشيء؛ بل على العكس، هؤلاء الناس قضوا على جمال الجبال، هذا كل شيء. وكيف يمكن للهيمالايا أن تساعد؟

يمكنك هجر العالم بأسره، ولكنك لا تستطيع هجر عقلك. فعقلك سيتبعك؛ إنه - في داخلك. أينما كنت، فالعقل المشروط لن يسمح بالتغييرات في حياتك.

يمكنك الاختباء من العالم كله، ولكنك لا تستطيع الهروب من نفسك. فطوال بقاء العقل على ما هو عليه سابقاً، وطوال امتلائه بالأفكار الشائعة والصور الثابتة، لن يتغير العالم. المسألة ليست في التخلي عن العالم، بل في تغيير العقل، وعدم الخضوع له. هذا هو التأمل.

الأمريكي

أعضاء طائفة الباوول المتخصصة بالعِلم الباطني، يعبدون في الحياة كل شيء، والجسد من ضمن المجموع. نحن، الأمريكيون، نعتني بأجسادنا بمساعدة الأغذية الطبيعية، والإيروبيك، والتدليك وغيرها. وعلى الرغم من تشابه المدخلين، أعتقد، بوجود فرق مبدئي بينهما.

الفرق شاسع، ولا يتجسد فقط من الناحية الكمية، بل ومن الناحية النوعية أيضاً. فالعالم المعاصر، والعقل المعاصر لا يعرفان سوى المعبد الفارغ. لقد نسيا تماماً، من يتواجد في هذا المعبد. بهذا الشكل نستمر في عبادة المعبد، وننسى الرب. وبدون أن نعرف شيئاً عن مركز الحياة، نتحرك نحو المحيط، مبالغين بأهميتها بشكل واضح.

الأمريكي يهتم بجسده كجسد فقط، أما الباوول فإنه يعلي من شأن الجسد كمعبد للرب. فالجسد بحد ذاته لا يعني شيئاً. ولكنه يمتلئ نوراً بفضل الموجود خارجه. عظمة الجسد ليست فيه - فالجسد مضيف؛ العظمة تعود إلى الضيف. فإذا نسيت الضيف تماماً، فستبقى فقط عبادة الجسد التي لا معنى لها. أما إذا بقيت تتذكر الضيف، فإن المحبة تجاه الجسد، واحترامه يصبح جزءاً من البَرَكة.

عبادة الجسد على الطريقة الأمريكية لا معنى له. فالناس يتغذون على الأغذية الصحية، ويخضعون لجلسات تدليك، ويحاولن بآلاف السبل أن يملؤوا حياتهم بالمغزى. ولكن انظر في أعينهم، وسترى فراغاً عظيماً هناك. وواضح، أنهم لم يفهموا شيئاً رئيسياً. فلا وجود للرائحة العطرية، الزهرة لم تتفتح. إنهم في أعماقهم يشبهون الصحراء، إنهم محتارون

ولا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا. الأمريكيون يفعلون الكثير لمصلحة الجسد، ولكن كل ذلك يخطئ الهدف.

سمعت النكتة التالية:

دخل روزنفلد بيته وعلى وجهه ابتسامة ساخرة.

- لن تصدقي، لقد أبرمت صفقة ناجحة جداً - قال لزوجته - لقد اشتريت أربعة دواليب بولي اثيرية، ذات إطارات خارجية عريضة، مخصصة لقطع المسافات الطويلة جداً، وفيها أسلاك فولاذية تدخل في تركيبة الإطارات وأقراص.

- لا شك أنك جننت! - دهشت السيدة روزنفلد - ما حاجتك للعجلات؟ فأنت لا تملك سيارة.

- وماذا في ذلك؟ ألا تشترين حاملة صدر؟

فإذا كان المركز غير موجود، يصبح ممكناً الاستمرار بتزيين المحيط. بهذه الطريقة يستطيع الإنسان أن يُضل الآخرين، ولكنه لن يحصل شخصياً على الرضا. حتى أنه يمكن أن يخدع نفسه، لأن تكرار الكذبة عدة مرات يجعلها شبيهة بالحقيقة. ولكنها عاجزة عن جعل الإنسان سعيداً، وعاجزة عن الإتيان للإنسان بالرضا. يحاول الأمريكي الاستمتاع بالحياة بكل قواه، ولكن يبدو أن ذلك لا يأتيه بالفرح. أما الباوول فلا يسعى إلى المتعة أبداً. وهو لا يبذل الجهد في سبيل ذلك، إنه يفرح للحياة ببساطة. كما أنه ليس لديه شيء يستمتع به، فهو مشرد على قارعة الطريق؛ ولكن توجد لديه قوة باطنية، وتحيط به هالة من الغموض. أغانيه ليست أغاني عادية؛ ففيها شيء من الفضاء. وعندما يرقص، لا يتحرك جسده فقط، بل يتحرك شيء عميق. الباوول لا يسعى للحصول على المتعة.

تذكر: ما إن يبدأ الإنسان ببذل المجهود، في سبيل الحصول على المتعة من الحياة، فإنه سيخسر كل شيء. ومهما حاول أن يصبح سعيداً، فإنه لن يصبح كذلك. فمحاولة الوصول إلى السعادة غير معقولة بحد ذاتها، لأن السعادة موجودة هنا، ولا يمكن الوصول إليها. هكذا تكوين العالم، ومن الضروري تقبل ذلك ببساطة، وادراكه. السعادة هنا، إنها في كل مكان: إنها في الداخل، إنها في الخارج، إنها في كل مكان. وهذا هو الواقع الوحيد. انظر، أمعن النظر في العالم المحيط، والأشجار، والعصافير، والصخور، والأنهار، والنجوم، والقمر، والشمس، والناس، والحيوانات. أمعن النظر: كل الكائنات مخلوقة من السعادة، والفرح، والغبطة. وهذا الأمر لا يتوقف على رغبة الناس. والعوائق على طريق السعادة يمكن أن تكون الجهود المبذولة لتكون سعيداً. استرخ، وستملؤك السعادة؛ استرخ، وستفور السعادة في داخلك، استرخ وستغمرك السعادة.

الباوول مسترخي؛ أما الأمريكي فمتوتر. يظهر التوتر عندما تسعى جاهداً لتحقيق شيء ما؛ أما الاسترخاء فيظهر، إذا تقبلت كل شيء كما هو في واقع الحال. لهذا أتحدث عن الفرق الكبير في المسلكين، والفرق هذا نوعي. المسألة ليست في الكمية - فلا يهم، إن كان الباوول أكثر سعادة من الأمريكيين أو الأمريكيون أكثر بؤساً من الباوول. لا، ببساطة يفتقر الأمريكيون إلى السعادة الموجودة عند الباوول؛ وفي المقابل يفتقر الباوول إلى الموجود عند الأمريكيين: من معاناة، وتوتر، وأنواع العُصاب. فهما يتواجدان في بعدين مختلفين تماماً.

الباوول يتواجدون في حالة هنا والآن؛ أما الأمريكيون فيتواجدون في حالة في وقت ما وفي مكان ما، ولكن ليس هنا والآن. الأمريكي ينطلق في مطاردة عنيفة في سبيل السعادة، آملاً الحصول على شيء ما من الحياة، أن يعصر شيئاً منها. ولكنه لا ينجح في ذلك، لأنه طريق مسدود.

لا يجوز عصر شيء من الحياة، بل على العكس، يجب تقبلها. لا يجوز إخضاع الحياة. يجب أن تمتلك الشجاعة، لتعترف بهزيمتك في معركتك مع الحياة. والهزيمة هنا مساوية للفوز، أما الجهود لتنتصر فإنها لن تكون إلا فشلاً مطلقاً.

لا يمكن التغلب على الحياة واخضاعها، لأن الجزء لا يمكنه أن يغلب الكل. إن ذلك يشبه القطرة التي تحاول قهر المحيط. نعم القطرة يمكنها أن تسقط في المحيط وتصبح جزءاً منه، ولكنها لن تستطيع التغلب عليه. وعلى العكس، لكي تنتصر يجب أن تتحد مع المحيط.

حاول أن تتحد مع الحياة وتذوب فيها.

وأنا سأقول التالي: يحاول الأمريكي العثور على السعادة، ولهذا فهو مهتم بشدة بجسده. وصار هذا الاهتمام قريباً من الهوس. هذا الاهتمام تجاوز كل الحدود، وتحول إلى جنون: فالأمريكي دائم التفكير بجسده، يحاول فعل شيء ما. يحاول تحقيق السعادة، موصلاً جسده إلى حالة الكمال. ولكن ذلك مستحيل. بينما الباوول سعيد. لقد اكتشف، أن السعادة توجد في الداخل. لقد ألقى نظرة في أعماق الجسد، ليس عن طريق التدليك ومعداته أو الساونا. لقد نظر إليه بمساعدة المحبة والتأمل واكتشف كنزاً هناك. ولهذا فهو يعبد الجسد ويعتني به... لأن الجسد يحمل شعلة ربانية.

وبفضل التحول الداخلي، وبفضل الإدراك، يكون الباوول سعيداً لامتلاكه لجسده، فهو يعتني به، ويحبه. ولكنه حب مختلف تماماً.

كذلك: العقل الأمريكي حساس تجاه التنافس. ومحتمل أنه لا يحب جسده كل هذا الحب، ولكنه ببساطة يتنافس مع الآخرين. إنه مضطر لفعل ما يفعله الآخرون. العقل الأمريكي - هو العقل الأكثر سطحية، ولأكثر تكبراً وغطرسة في تاريخ البشرية كلها. إنه العقل الأكثر انحطاطاً.

لهذا السبب صار رجل الأعمال الظاهرة الأكثر واقعية في أمريكا. وكل ما تبقى أخذ المرتبة الثانية؛ فرجل الأعمال هو الشخص الذي يتحكم بالأموال، وهو الواقع الأعلى.

المال هو الناحية الأكثر منافسة في نشاطات الإنسان. ليس من الضروري أن تكون غنياً غنىً روحانياً، إنما الأهم أن تكون غنياً مادياً. يمكنك أن لا تعرف شيئاً عن الموسيقى، وألا تعرف شيئاً عن الشعر، ويمكنك أن لا تعرف شيئاً عن الأدب القديم، والتاريخ، والدين، والفلسفة - لا، فمعرفة ذلك ليس ضرورياً. فالناس يحترمون الذي لديه حساب ضخم في المصرف. ولهذا فإنني أؤكد، أن العقل الأمريكي - هو العقل الأكثر سطحية في العالم. لقد حول هذا العقل كل شيء إلى تجارة؛ وهو دائم الصراع مع أحد ما. وحتى عندما يشتري الأمريكي لوحة للفنان فان غوغ أو بيكاسو، فلا يفعل ذلك بدافع من محبته للفنان وإنتاجه، بل لأن جيرانه اشتروا لوحة لهذا الفنان. فكيف يمكنه أن يسمح، بأن تعلق في غرفة الاستقبال في منزلهم لوحة لبيكاسو، بينما هو لا يمتلك مثلها؟ عليه أن يشتري لوحة للفنان حتماً. ويمكنه ألا يفقه شيئاً في الفن؛ ويمكنه ألا يعرف من أي وجه يعلق اللوحة... فعند بيكاسو يصعب تحديد، هل اللوحة معلقة رأساً على عقب أم ظهراً لوجه! ويمكنه ألا يعرف هل اللوحة فعلاً لبيكاسو. ويمكنه حتى ألا يلاحظ وجودها، ولكن وبما أن بيكاسو موجود عند الجميع والجميع يتحدث عن بيكاسو، فعليه أن يظهر لهم ثقافته أيضاً. والحقيقة أنه استعراض لرأس المال. فكل ما يساوي مبلغاً كبيراً من المال، يعتبر قيماً.

المال والجيران يبدوان المقياسين الوحيدين عند حل جميع المسائل: فسياراتهم الأوتوماتيكية، ومنازلهم، ولوحاتهم، والديكور الداخلي لمنازلهم. الناس يمتلكون ساونات في بيوتهم، وليس بالضرورة

أن يكونـوا مهتمـين كـل الاهتمـام بأجسـامهم؛ بـل لأن السـاونا - عنصـر أساسي للبيت، فهي موجودة عند الجميع. فبدون ساونا يبـدو الإنسـان غير جـدير بالاعتبـار. وإذا اشـترى الجميـع منـزلاً علـى الـتلال، فعليـه أيضـاً أن يشتري منزلاً هناك. ويحتمل، أن التلال لا تعجبه، ويحتمل أنه مكان ممل. فبإمكانه أن يأخذ معه التلفاز أو المذياع ويستمع إلى البرنامج نفسه، الذي يستمع إليه في بيته، أو يشاهد البرنامج التلفزيوني ذاته. فمـا الفـرق أيـن يجلس: على التل أو في غرفتـه؟ فـالآخرون يمتلكـون ذلـك. يجـب أن يبني مرآباً يسع أربع سيارات - فالآخرون لديهم أربعة سيارات. ويحتمل أنه لـيس بحاجة لأربع سيارات...

إن العقل الأمريكي دائم التنافس مع الآخرين. أمـا البـاوول فإنـه لا يتنافس مع أحد. إنه يخرج من اللعبة. وهو يقول: "لم يعد يهمني ما يفعله الآخرون، ما يهمني هو أموري فقط. لم يعد يهمنـي مـاذا يمتلـك الآخـرون، يهمني ماذا يوجد عندي فقط". وإذا أدركنا حقيقة أن الحياة يمكن أن تكون هانئة بدون كم هائل من الأشياء، فهل سيكون للقلق داعي؟

لوك العجوز وزوجته كانا يعتبران في الـوادي أبخـل شخصـين. مـات لوك، وبعد عدة أشهر كانت زوجته على فراش الموت. فنادت جارتها وقالت بصوت خافت:

- روت، ادفنينـي فـي فسـتاني الحريـري الأسـود. ولكـن قبـل ذلـك اقطعي منه قطعنه الخلفيـة وخيطي منها فسـتاناً جديـداً، فأنـا لا أريـد أن يذهب القماش سدى.

- لا أسـتطيع فعـل ذلـك! - صـاحت روت. - فمـاذا سـيقول الملائكـة عندما يرونك عارية من الخلف وأنت تصعدين مع لوك السلالم الذهبية؟

- لن ينظروا إلي. لقد دفنت لوك بدون سروال.

القلق مرتبط دائماً برأي الآخرين - لوك سيكون بدون سروال، ولهذا الجميع سينظر إليه. يقلق الأمريكي حول ما سيظن بـه الآخـرون. بالنسـبة للباوول هذا أمر سيان. الباوول أناني جداً؛ فـلا شـأن لـه بـك، وسـيان عنـده ماذا تملك وماذا تفعـل. فسـيرتك الذاتيـة لا تهمـه. فهـو يعـيش وكأنـه لا وجود لأحد غيره في العالم. وبالطبع يحيط بـه فضـاء هائـل: فهـو يعـيش على هذا الكوكب، وكأن في العالم لا وجود لأحد غيره. وهـو يتنقـل فـوق هذا الكوكب، دون أن يقلق برأي الآخرين. فهو يعـيش حياتـه، ويفعـل مـا يريد، ويظهر ماهيتـه. وبـالطبع، فهـو سـعيد، سـعادة الأطفـال. فسـعادته ليست مبهرجة، بل هي بريئة، وطبيعية، ولم يفرضها عله أحد. سـعادته بسيطة، غير متصنعة، حقيقية، كسعادة الطفل.

هل رأيت كيف يركض ويصيح ويـرقص الطفـل؟ بـلا سـبب لـذلك، فهو لا يملك شيئاً. اسأله: "لما أنت سعيد كل هذه السعادة؟" - وسيعجز عـن الإجابـة. وسـيظن أنـك جننـت. فهـل السـعادة بحاجـة إلـى سـبب؟ سـيكون الطفل مصدوماً، لظهور صيغة السؤال "لما؟" وسيهز بكتفيه ويهرب بعيداً لينشغل بأموره، فيعود للرقص والغناء من جديد. إنه لا يملـك شـيئاً. وهـو لم يصبح بعد رئيس وزراء، ولا رئيس، ولا روكفلير. وكل ثروته - عـدد مـن أصداف البحر أو الحجارة التي جمعها على الشاطئ. وهذا كل شيء.

حياة الباوول لا تتوقف مع مجيء الموت؛ أما حياة الأمريكي فتنقطـع مـع مجيء الموت. وموت الجسد يعني نهاية كل شيء، ولهـذا يخـاف الأمريكـي كـل هذا الخوف من الموت. ويدفعه هذا الخوف نحو إيجاد أي طرائق لإطالـة الحيـاة؛ وأحياناً يتحول الأمر إلى سخافة ولا معقولية. فاليوم يقبـع عـدد غيـر قليـل مـن الأمريكيين في المصحات ومأوى المختلين عقلياً. إنهم لا يعيشون، لقـد مـاتوا منـذ زمـن بعيـد. وجـودهم يـدعم مـن قبـل الأطبـاء، والأدويـة، والتجهيـزات العصرية. فينجحون في أن يطيلوا حياتهم قليلاً.

الخوف من الموت هائل: فالموت يعني نهاية كل شيء. الأمريكي يفكر بالجسد فقط ولا شيء آخر. والذي يفكر بالجسد فقط، يكون فقيراً جداً. وسيخاف من الموت دائماً، والذي يخاف من الموت، سيخاف من الحياة. فالحياة والموت قريبان من بعضهما بعضاً، لدرجة أن الخوف من الموت يولد الخوف من الحياة. الحياة تقود إلى الموت، وإذا خفت من الموت، فكيف ستحب الحياة؟

يقيدك الخوف. والحياة بالتحديد تقود إلى الموت، وهذه الفكرة تمنع الإنسان من العيش حياة كاملة القيمة. فإذا أخذ الموت معه كل شيء، إذا تكون عند الإنسان هذا الرأي والفهم، فإن حياته تتحول إلى عجلة ومطاردة. فاقتراب الموت يجعل الإنسان عديم الصبر. هذا هو سبب الهوس الأمريكي بالسرعة: افعل كل شيء بسرعة، فقريباً سيأتي الموت؛ حاول أن تحصل على ما تشتهيه قبل الموت وأن تفعل كل تريد. قبل الموت حاول أن تملأ حياتك بأكبر قدر من الأحاسيس، لأنه مع الموت سينتهي كل شيء.

هذا الأمر يولد هذيناً كبيراً، وبالطبع معاناة وقلقاً. فإذا انتهى كل شيء مع الموت، فإن كل شيء يصبح سطحياً، ولا شيء يمكنه أن يجلب الرضا. وإذا عنى الموت نهاية كاملة لكل شيء، فلا مغزى للحياة ولا دلالة. عندها تكون الحياة حكاية، يرويها أحمق؛ فهي مليئة بالحقد والضجيج، إنها بلا معنى.

من جهة لا يجد الأمريكي لنفسه مكاناً في سعيه وراء الأحاسيس، متخذاً جميع الإجراءات، كي لا يضيع فرصته. إنه يجوب العالم، من مدينة لأخرى، ومن بلد لآخر، ومن فندق لآخر. إنه يبحث، ويستبدل معلماً روحانياً بآخر، وكنيسة بأخرى - فالموت يقترب أكثر فأكثر. من جهة - السباق الدائم المجنون، ومن جهة أخرى إدراك عميق لعدم الجدوى من الحياة. فينتج، أنه

لا يهم أبداً من تكون في هذه الحياة: غني أو فقير، مثقف أو جاهل، عاشقاً أو فاشلاً. فالموت يأتي ويساوي بين الجميع: الحكماء والحمقى، القديسين والآثمين، المتنورين والحمقى؛ كل شيء يذهب إلى التراب ويزول. فأين هو مغزى كل شيء؟ عيسى المسيح، بوذا، يهوذا - ما الفرق؟ لقد مات عيسى على الصليب، وانتحر يهوذا في اليوم التالي - وكلاهما ذهبا إلى التراب.

من جهة أخرى يحضر خوف من عدم الحصول على شيء ما بالمقارنة مع الآخرين. ويوجد كذلك فهم عميق لاستحالة الإبقاء على ما حصلت عليه. وحتى عندما تصل إلى مرحلة التنور ستبقى بلا شيء، لأن الموت سيأتي ويقضي على كل شيء.

الباوول له وجهة نظر مغايرة: فلا داعي للعجلة إلى أي مكان. يمكنك أن تجلس تحت الشجرة، كما حدث ذلك مع بوذا... فالرب بنفسه نزل غليه، أما بوذا فقد جلس ببساطة في ظلال شجرة. كل شيء سيأتي بنفسه - يجب فقط خلق الظروف الملائمة. كل شيء سيأتي - يجب فقط أن تتقبله عندما يأتي. والحياة ستبتسم لك حتماً. الناس يخلقون لأنفسهم عقبات كثيرة، والمطاردة هي العقبة الأكبر. فأنت دائماً في عجلة إلى مكان ما، وعندما تأتي الحياة وتدق بابك، تكون دائماً خارج المنزل، وغائباً دوماً. ويبدو وكأن الحياة لحقت بك أخيرا، ولكنك تكون قد انتقلت. كنت في الكاماندو. وعندما وصلت الحياة إلى الكاماندو، تنتقل أنت إلى غوا. وما أن تصل الحياة إلى غوا، حتى تصبح أنت في بونيه. وعندما تصل الحياة إلى بونيه، ستكون أنت في فيلادلفيا. بهذه الطريقة، تقوم بمطاردة الحياة، وهي تلحق بك؛ فلا تلتقيان أبداً ولا يحدث شيء.

كن... ببساطة كن، انتظر، كن صبوراً.

لقد ظهر نوع جديد من العقل - العقل الأمريكي. ولم يسبق أن حدث مثل هذا الأمر في تاريخ البشرية. إنه العقل الأكثر شطارة في مجال الأعمال التجارية. المجتمع الأمريكي، هو أول مجتمع في تاريخ البشرية الذي تقوده التجارة. هنا سبب نجاحه. فلم يسبق أن خضع مجتمع للتجارة. في الهند كان المجتمع دائماً ينقاد للعلماء، والبراهمة، والبروفسورات، والمختصين.

في إنكلترا يقود الأرستقراطيون، كما في بقية أنحاء أوربا. في اليابان كان يسود المقاتلون والساموريات. لم يحدث في أي مكان من الأرض أن قامت التجارة على رأس المجتمع.

الثقافة الأمريكية والمجتمع الأمريكي يقومان على المهارات التجارية. يقولون إنه عندما كان الألماني يضطر للقول بأنه رجل أعمال، كان يشعر بالإحراج. رجل أعمال؟ لقد كان الألماني يشعر بالارتياح عندما يقدم نفسه بصفته بروفيسور. مع أنه ليس غنياً، ولكنه بروفيسور في جامعة كبيرة. حيث يمكن للإنسان أن يكون غنياً، وغنياً جداً، ولكن ما هو رجل الأعمال؟ هذا لا يعني شيئاً.

اليوم في أمريكا لا يعني شيئاً أن تكون بروفيسوراً. بروفيسور فقط؟ - يا للمسكين! لبروفيسور - هو فاشل، لم يستطع تحقيق أكثر من ذلك. في أمريكا يصبح الإنسان بروفيسوراً، عندما يفشل في أن يصبح أي شيء آخر. أما "رجل الأعمال" - فذلك يكسب السمعة والهيبة والنفوذ. إن رجل الأعمال هو الشخص الذي حقق ذاته. والمجتمع الأمريكي مدين بنجاحه لرجال الأعمال. إنه مجتمع عظيم الفعالية، لأنه حيث يظهر رجل الأعمال يأتي النجاح.

البروفيسور محكوم عليه بالفشل. فعندما يتسلم السلطة العقلانيون، يصبح المجتمع محكوماً عليه بالفشل: الجميع يبدؤون

بالنقاشات والشجارات ولا يتخذون أبداً أي خطوات فعالة. وسيقتصرون على التأسف على ما هو غير موجود. سيتحدثون حول كل ما هو عظيم، في حين أن الحياة تتكون من توافه الأمور. ورجل الأعمال يهتم بتوافه الأمور، وبالتفاصيل الصغيرة؛ فهو منحط جداً.

ولكن نجاح الأمريكي يعد عقبة أمام تطور عالمه الداخلي. فالعالم الداخلي بحاجة لمسلك مغاير تماماً - غير براغماتي، وإنما أكثر شاعرية، وأكثر رومانسية. يمكن التغير: يجب أن يصبح الإنسان شديد المرونة. أنا لا أقول بوجوب القضاء على عقل كهذا. هذا العقل جيد، إذا كنت تعمل في هذا العالم؛ ويجب استخدامه وقت الحاجة، في شروط السوق. فأفكاري لا تناسب العلاقات التجارية ، فهناك تسود قوانين أخرى.

إذاً يجب أن تكون شديد المرونة. استخدم العقل للتجارة، ولكن عندما تدخل إلى معبدك الداخلي، اترك عقلك التجاري خارجاً. فهنا نحتاج لعقل آخر موجود لدينا أيضاً. أنت لم تستخدمه، هذا كل ما في الأمر.

عندما داس أول إنسان على القمر، حصل له تحوُّل شديد الأهمية: لقد نسي فجأة، أنه أمريكي. فقد صار العالم فجأة موحداً، واختفت جميع الحدود، لأن الكرة الأرضية غير مقسمة بالأساس إلى دول. القارة الأمريكية، القارة الإفريقية، القارة الآسيوية، هذا البلد وذاك، كل شيء اختفى. لا، فهو لم يفعل شيئاً لمصالحة المعسكرين المتعاديين، لأنه لم يكن فوق القمر وجود لا لروسيا السوفيتية، ولا لأمريكا: الكرة الأرضية بكاملها صارت كلاً موحداً.

"أرضي الحبيبة!" - هذه كانت أولى كلمات الأمريكي. إنه التسامي، لحظة نسي كل الأعراف: "أرضي الحبيبة!" في تلك اللحظة كان يمتلك الكوكب كله. هذا ما يحدث بالتحديد في حالة الصمت "السكون": العالم

بكامله ملكك، وجميع النقائض تتلاشى في بعضها بعضاً، وتدعم بعضها بعضاً، وترقص مع بعضها بعضاً. فتظهر أوركسترا.

العقل يخضع للشروط من الخارج. فيجب أن تصل إلى حالة اللاعقل، في هذه الحالة فقط يمكن أن تصبح مستقلاً عن التأثير الخارجي. فقط إنسان اللاعقل يصبح حراً ومستقلاً. فهو ليس ألمانياً، ولا أمريكياً، ولا هندوسياً، ولا إنكليزياً - إنه ببساطة مستقل. الأمريكي، الألماني، الهندوسي... إنها أسماء سجونكم؛ وهي لا تعد سماءك الحرة. في سماء كهذه لا يمكن الطيران. إنه السجن الذي تعيش فيه.

الإنسان الحر ينتمي إلى نفسه وليس لأحد آخر. الإنسان الحر - هو ببساطة طاقة بلا اسم، أو شكل، أو عِرق، أو أمّة. لقد ولى زمن الأعراق والأمم، ويحل زمن الفرد. في العالم الجديد لن يكون وجود للألمان، والهندوس، والهنود، والمسيحيين. هناك سيعيش الأفراد، الأحرار، الذين سيعيشون كيفما يشاؤون. هم لا يتدخلون في حياة غيرهم، ولا يسمحون بالتدخل في حياتهم.

أحدهم سأل الحاخام:

- لماذا لم يشأ المسيح أن يولد في أمريكا القرن العشرين؟

فهز الحاخام كتفيه وقال:

- في أمريكا؟ إن ذلك مستحيل. فأولاً، أين ستجد عذراء؟ وثانياً، أين ستجد ثلاثة حكماء؟

الأمريكي اليوم هو الإنسان الأكثر حيوية وحياة على وجه الأرض. إنه الأكثر حيوية لأن "الأمريكي" ليس عِرقاً، إنه خليط من جميع الأعراق. إنه مكان التقاء جميع البلدان. لقد أصبحت أمريكا أغنى بلد في العالم

فقط لأن التهجين يُكسِبُ كل طفل السمات الأفضل. الأمم الأخرى تتكاثر في حدودها الضيقة، كالأسمال في بركة صغيرة؛ هذا الأمر يشبه التكاثر داخل الأسرة الواحدة. وكلما كان العِرق أقل عدداً، كلما انخفض مستوى الإدراك لدى أفراده. لهذا السبب منع الزواج بين الأخوة والأخوات: فطفلهما سيكون بليداً (غير مكتمل النمو)، وسيصبح في حالةٍ وسط بين حالتين. إذ لن يكون إنساناً، بل على الأغلب نباتاً! ولن يكون عاقلاً.

بفضل الزواج المختلط يزداد الإدراك. من هذه الناحية أمريكا هي الدولة الأكبر حظاً، لأن تاريخها لا يتجاوز الثلاثمئة سنة، ولكن العالم كله التقى فيها. إنها مستقبل العالم، مثلها سيكون العالم كله. جميع الدول الأخرى يجب أن تتعلم من أمريكا، فالزواج المختلط يجب أن يصبح حالة طبيعية. تزوج شخصاً يعيش على أبعد مسافة ممكنة منك. ولكن الناس يفعلون العكس تماماً. إنهم يختارون الشريك من الجيران، والأخوة في الدين، ومن عِرقهم ولون بشرتهم. إن ذلك يدمر البشرية. يمكنك أن تسأل المختصين في الاصطفاء كيف نجحوا في تحسين أنواع حيوانات كثيرة.

اسأل الذين يزرعون الفواكه والخضار. لأنه بفضل التهجين يحصلون على نتائج مذهلة. ولكننا نظهر الشك والريبة والوساوس، عندما يدور الحديث عن الإنسان.

الأمريكيون رموا الوساوس جانباً. وكانوا مضطرين لهذا الإجراء، لأن البلد الجديد كان يصل إليه ممثلون من مختلف الأمم والأعراق. هنا اجتمع الناس من جميع أنحاء الكوكب: الأسبان والبرتغاليون، والإيطاليون والفرنسيون، والهولنديون والبولونيون والإنكليز. وظهر إنسان جديد تماماً أكثر ذكاءً وادراكاً، أكثر شجاعة وصحة، صاحب حياة طويلة ورغبة عجيبة للمغامرة. إن اختلاط الشعوب أدى إلى ظهور أغنى بلد في العالم.

مرة كان هندوسي، وانكليزي، وأمريكي، يتنزهون في المقبرة.

- إلى جانب من تريدان الاستلقاء بعد الموت؟ - سأل الأمريكي مرافقيه مازحاً.

- بجانب الماهاتما غاندي - أجاب الهندوسي.

- بجانب ونستون تشرشل - أجاب الإنكليزي.

- أما أنا فأريد الاستلقاء إلى جانب راكويل أولش - اعترف الأمريكي.

- انتظر - اعترض الهندوسي - ولكنها ما زالت حية!

- أعرف - رد الأمريكي - وأنا أيضاً لم أمت بعد!

*راكويل أولش: رياضية أمريكية شهيرة.

حتى الأطفال الصغار في أمريكا يظهرون ذكاءً وادراكاً أكثر من أي بلد آخر.

المدعو جيمي قرر، أنه آن الأوان ليتحدث حديثاً جاداً حول الحياة مع ابنه الطائش.

- بوب، - قال له، - ستصبح راشداً عما قريب، وآن الأوان لتفكر بمستقبلك. فإذا حدث ومت فجأة، أين ستكون أنت؟

- أنا سأبقى هنا، - أجاب المراهق - السؤال بكامله، هو أين ستكون أنت؟

ويجب أن أذكر أن كلمة "مزيف - phony" جاءت من أمريكا. وهي مشتقة من كلمة "تليفون". هل لاحظت كيف يتغير الصوت خلال الاتصال الهاتفي؟ تتغير النبرة، ولا أحد يستطيع أن يفهم، من على الطرف الآخر من الخط: إنسان أو شبح.

*الكلمة الإنكليزية "phony" المزيف اشتقت من كلمة "تليفون".

سمعت قصة:

أحد المحللين النفسيين العظماء كان يجري جلسة مع مريض فاحش الثراء. وأجرة العلاج كانت مستحيلة بالنسبة للفانين العاديين، ولكنها لم تعني شيئاً بالنسبة لملياردير. مر عام والمرض يأتي إلى المحلل النفسي، يستلقي على السرير، ويروي سخافات متفرقة... كلام فارغ كهذا، من الطبيعي، أن يتجمع في وعي كل شخص يحادث المريض. ولكن الناس غير المستنيرين يبقون هذا الهراء في رؤوسهم، بينما المختص يستطيع التخلص منها.

كان المحلل النفسي يموت من شدة الملل، ولكنه كان عاجزاً عن صرف المريض، لأن الأخير كان يدفع له مبالغ طائلة. في النهاية عثر على طريقة أمريكية بحتة لحل المشكلة.

- لدي مرضى كثر - قال المحلل - والجلسة معك تستمر لساعات. وأنت لديك الوقت والمال. إليك اقتراحي المتواضع. سأضع لك مسجلة، ستسجل اعترافاتك. وأثناء ذلك سأستقبل المرضى الآخرين، وليلاً سأستمع إلى الشريط.

- حسناً! - وافق الغني.

في اليوم التالي، داخلاً إلى عيادته، رأى المحلل النفسي المريض خارجاً.

- بهذه السرعة؟ هل أنهيت الجلسة؟

- لا، ولكنني جلبت آلة تسجيلي. فآلتي ستعامل مع آلتك. لماذا علي أن أضيع خمس ساعات؟ إذا كان باستطاعة الآلات التعامل مع الأمر، فلماذا علي أن آتي كل يوم؟

بهذه الطريقة يتحول الإنسان إلى آلة. فهو يتكلم، ويعيش، ولكنه يشبه كثيراً الرجل الآلي.

ديل كارنيغي - أحد أشهر الفلاسفة الأمريكيين، ولكنه لم يحصل على الاعتراف بمكانته في أي بلد باستثناء الولايات المتحدة. فكتابه "كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر على الناس" تتبع في نسبة مبيعاتها الكتاب المقدس فقط. هذا الكتاب - قذارة حقيقية! فهو ينصح كل زوج أن يقول لزوجته ثلاث أو أربع مرات في اليوم: "عزيزتي، إنني أحبك، ولا أستطيع العيش من دونك. ولا أستطيع تخيل حياتي من دونك". ولا يهم، إن كان يشعر بذلك في الحقيقة أم أنها لعبة فقط.

هل تشعر الزيف؟ فإذا كنت تحب فلا حاجة للكلمات، لأن الكلمات لن تكفي في جميع الأحوال. فعندما تكرر روتينياً القول نفسه ثلاث أو أربع مرات في اليوم، فإنك تصبح في الحقيقة أسطوانة جراموفون (حاكي)؛ والإبرة عالقة عند جملة "عزيزتي، أنا أحبك". و"عزيزته" كأنما تبادله المثل، أما عميقاً في نفسيهما الاثنان يكرهان بعضهما بعضاً: هذه المرأة قضت على حريتي. هذا الرجل وضعني في سجن...

في تاريخ أمريكا بكاملها يوجد إنسان واحد فقط يستحق احترامي له - إنه ولت ويتمن. أما بقية الأمريكيين فلا يساوون شيئاً. ولكن ولت ويتمن ينتمي للتاريخ العالمي.

ولت ويتمن، على الأرجح، الوحيد في تاريخ أمريكا، الذي كان قريباً من الصوفية. فالعقل الأمريكي سطحي. وهو مضطر ليكون كذلك، لأن عمره ثلاثمئة عام فقط. إنه عقل طفلي، يهتم بكل شيء: إنه يطرح الأسئلة كل لحظة، وقبل أن تجيب على سؤال يكون قد طرح عليك التالي. لا يهمه الجواب كثيراً؛ إنه فضولي فحسب، فهو يريد أن يعرف كل شيء مرة واحدة. إنه يتنقل من دين لآخر، ومن مكان لآخر. وفي سبيل الحصول على الجواب سيتوجه إلى أبعد نقطة في هذا الكوكب، ولكن كل ذلك يبقى شبيهاً باللحاق بالموضة.

انتبه علماء النفس إلى أنه في أمريكا لا يدوم شيء أكثر من ثلاث سنوات. فهذا هو العمر الذي تعيشه الموضة. في السوق الواحد يمكنك أن تقتني معجون أسنان، صابون، شامبو، مصفف شعر، معلم روحي. أحصي في أمريكا، أن كل فرد يغير عمله وزوجته ومكان إقامته مرة كل ثلاث سنوات. ثلاث سنوات تبدو مدة زمنية طويلة: بحيث ترغب في تغيير شيء ما...

ولت ويتمن - استثناء نادر من القاعدة. كان يجب أن يولد في مكان ما من الشرق ، فقد كان شديد الاهتمام به.

ولت ويتمن - أحد الذين لم تفهمهم أمريكا، مع أنه الوحيد الذي يمكن لأمريكا أن تفخر به.

كلما كان الإنسان أقل تحضراً، وكلما زادت بدائيته، كلما زادت قوته الحيوي وقابليته للحياة. فعندما تصبح متحضراً ومدنياً وأكثر انسجاماً، تصبح مصطنعاً أكثر، ومكرراً، وتخسر جذورك. الإنسان يخاف من العالم الخشن، ويبدأ بالابتعاد عنه ويظن أن العالم لا يستحقه. نظام التانترا يشير علينا: لكي تعثر على الإنسان الحقيقي، يجب أن تصل إلى جذوره. وهكذا تقول التانترا: الناس غير المتحضرين، غير المثقفين، غير المتعلمين، هم أكثر ثباتاً في الحياة، وأكثر قابلية للحياة. علماء النفس المعاصرون يصرحون بالحقيقة ذاتها. الأمريكي من أصل إفريقي أكثر نشاطاً من الأبيض، وهذا الأمر يخيف الأبيض. فهو يخشى الزنجي كثيراً. وسبب الخوف في أن الأمريكي الأبيض صار منعماً جداً، أما الزنجي فما زال يمتلئ حياة، ما زال عملياً ومادياً جداً. الأزمة بين الأمريكيين البيض والأمريكيين السود لا تختزل بلون البشرة: إنه تنافس بين القوة الحيوية

والتنعم. الأمريكي الأبيض، قبل كل شيء، يخاف من خسارة امرأته إذا فضلت عليه الزنجي. فالزنجي أكثر قوة حيوية، وأقوى جنسياً، وأكثر نشاطاً؛ فطاقته ما زالت برية. أما خسارة المرأة فهي الخوف الأكبر عند الإنسان المتحضر. فهو يفهم، أنه لن يستطيع الحفاظ على نسائه، إذا صرن يتمتعن بحرية اختيار الرجال الأكثر قوة حيوية.

تقول التانترا: في عالم الذين ما زالوا بدائيين، توجد إمكانية للنمو. لقد نموت في الاتجاه الخاطئ؛ أما هم فلم يكبروا بعد، وما زالوا يستطيعون اختيار الاتجاه المطلوب، وقدرتهم الكامنة أعلى. ليس عليهم أن يغيروا شيئاً، يمكنهم التصرف مباشرة.

هل يوجد مغزى أعلى في كل هذا أم أن الحياة مجرد مصادفة؟ هل يمكننا أن نقول، إن الحياة تتحرك نحو هدف أسمى؟

ليس من السهل، وخاصة على العقل الغربي، فهم، حقيقة أن الحياة ليس لها مغزى. فالغرب دائماً كان يسترشد بمفاهيم الهدف، أما الشرق فيسترشد بمفاهيم اللاهدف. الشرق يقول، إن الحياة - ليست تجارة، بل لعبة، ولكنها لعبة بلا أي هدف؛ إنها لا تملك هدفاً. مع أنه يمكن أن نقول، إن اللعبة تعد هدفاً بحد ذاتها، يكفي أن تلعب فقط. الحياة لا تسعى إلى أي هدف، الحياة - هدف بحد ذاتها. وهي لا تتحرك نحو شيء أعلى وأسمى؛ فهنا والآن، في هذه اللحظة تعد الحياة هدفاً نهائياً.

العقل المتعطش للمعرفة لن يشعر بالغبطة أبداً، سيبقى متوتراً دائماً. عند تحقيق شيء ما سيشعر العقل المتعطش للمعرفة بخيبة الأمل، لأنه بحاجة ليضع لنفسه أهدافاً جديدة. وهذا ما يحدث في أمريكا.

أهداف كثيرة من القرن الماضي تم تحقيقها، ولهذا فإن أمريكا تتواجد في اكتئاب عظيم. جميع أهداف آباء الأمة، الذي أسسوا أمريكا والدستور الأمريكي، قد جرى تحقيقها تقريباً. لأول مرة في تاريخ البشرية في أمريكا خلق مجتمع الوفرة. إذ لم يعد في أمريكا فقراء. فالفقير في أمريكا سيكون فاحش الثراء في الهند.

الأهداف تحققت تقريباً، ما العمل بعد ذلك؟ ظهر مجتمع الوفرة: الطعام متوفر، المسكن متوفر، كل فرد لديه سيارة، ومذياع، وبراد، وتلفاز - ماذا بعد ذلك؟ تشعر بوجود إحباط عميق، وضرورة البحث عن أهداف جديدة، ويبدو وكأن أهدافاً جديدة لا وجود لها. فعوضاً عن سيارة واحدة يمكن أن تملك سيارتين، ظهر هدف - مرآب يسع سيارتين؛ يمكنك أن ترغب بامتلاك منزلين، وهذا أيضاً لن يتجاوز تحقيقه العشر سنوات. مهما كان الهدف يمكن تحقيقه. عندها يدخل العقل الذي يعاني في حالة اكتئاب. ماذا بعد؟ إنه بحاجة مجدداً للهدف، ويجب اختراع هذا الهدف.

الأعمال التجارية الأمريكية بكاملها متوقفة اليوم على وضع مسائل جديدة. الناس بحاجة إلى هدف - هذا ما تقوم به الدعاية، وكامل التجارة الدعائية. اصنع هدفاً، أغر الناس: "إليك هدف هذا اليوم! إذا لم تحقق ذلك، ستمر حياتك هباءً!" وتبدأ الحركة المتسرعة والعصبية عند الجميع، لأنهم أصحاب عقول متعطشة للمعرفة. ولكن إلى أين سيقود كل ذلك؟ فهذه الحالة تولد حالة أكبر من العصاب.

فقط العقل الذي لا يتململ يستطيع الاسترخاء. ولكن عقلاً كهذا ممكن وجوده فقط في حال إدراك أن الموجود ليس له هدف. فإذا لم يكن عند الكون هدفاً، فلا ضرورة للسعي نحو هدف ما. عندها يمكنك أن تلعب، وتغني، وتستمتع بالحياة وتحب؛ ولا ضرورة عندها لابتكار الهدف. هنا والآن، في هذه اللحظة تَحِلُ اللحظة العظمى للحقيقة. فإذا كنت هنا،

فإنك ستدركها. ولكنك لست موجوداً هنا؛ فعقلك في مكان ما من المستقبل، يفكر بحل لمشكلة جديدة.

الحياة ليس لها هدف، وفي ذلك روعتها. فوجود هدف ما كان سيجعل الحياة قبيحة، ولا فائدة منها. الحياة ليست تجارة بل هي لعبة. في الهند نسميها (ليلا). هذه الكلمة تعني اللعبة الفضائية، وكأن الرب نفسه يلعب. فالطاقة تتنقل ليس لأي هدف، بل لمتعتها الخاصة؛ هل يلعب الطفل لغاية ما؟ يركض وراء الفراشات، يجمع الحجارة الملونة على الشاطئ، يرقص تحت الشمس، يركض بين الأشجار، يجمع الأزهار - ما الغاية من كل هذا؟

اسأل الطفل. سينظر إليك وكأنك أحمق: فلا ضرورة للهدف.

عقولكم تالفة. فالجامعات والمعاهد والتعليم والمجتمع أتلفت عقولكم. لقد أقنعوكم في أعماق أنفسكم، في أنه بلا هدف كل شيء يصبح بلا فائدة، لهذا كل شيء يجب أن يكون له هدف. الطفل الذي يلعب ليس له هدف. فلو أن الطفل استطاع أن يفسر، لماذا يلعب، لقال: "لأنني أشعر بحال جيدة. عندما أركض، أشعر بموجة من النشاط. يعجبني جمع الأزهار". ولكن لا وجود للهدف. فالفعل بحد ذاته رائع، مليء بالنشوة الروحانية. لا حاجة للهدف، يكفي أن تعيش ببساطة. لما عليك أن تبحث عن شيء ما؟ ألا يكفي أن تعيش ببساطة؟ إنه حدث حقيقي عظيم! تخيل نفسك حجراً ببساطة! كان يمكن أن تكون حجراً، الكثيرين ما زالوا حجارة. تخيل نفسك شجرة. كان يمكن أن تكون شجرة، أو طيراً، أو حيواناً، أو حشرة. ومن ثم تخيل نفسك إنساناً - إنساناً عاقلاً، يقظاً، في قمة إمكانياته. ولكنك لست موافقاً على ذلك. أنت بحاجة لهدف، وإلا ستبدو لك حياتك بلا معنى.

لقد جرى إتلاف عقولكم من قبل علماء الاقتصاد، وعلماء الرياضيات، وعلماء اللاهوت. لقد أتلفوا عقولكم، لأنهم جميعهم يتحدثون

عن الهدف. إنهم يقولون: "افعل الشيء، الذي بفضله يمكنك تحقيق شيء ما. لا تفعل الأمور التي تقود إلى اللاشيء". وأنا سأقول لكم، إنه كلما أكثرت من استمتاعك بالأمور التي لا فائدة منها، كلما كنت أكثر سعادة، وأكثر غبطة.

عندما لا وجود لأي هدف، يبقى فقط تمجيد وجودك. أنت تشعر بالامتنان لأنك موجود ولأنك تتنفس. مغتبط الذي يستطيع التنفس، والذي في وعيه، حي، نشيط. ألا يكفي هذا؟ هل من الضروري السعي نحو شيء ما، لتشعر بحالة شعورية جيدة، ولتشعر بقيمتك، ولتدرك بأن الحياة تستحق أن تعيشها؟ هل يمكن تحقيق أكثر من الحياة نفسها؟ ماذا يمكنك أن تضيف على حياتك؟ ماذا يمكنك أن تضيف عليها؟ لا، لم يعد هناك شيء تضيفه، وجهود كهذه قاتلة. ومع ذلك ففي جميع أرجاء العالم، وعلى امتداد قرون طويلة، كانوا يعلمون الأطفال أن يكونوا هادفين. "لا تهدر الوقت عبثاً! لا تهدر حياتك عبثاً!".

فماذا يقصدون؟ إنه التالي: "حول حياتك إلى حساب في البنك. وعندما تموت، يجب أن تكون غنياً. هذا هو الهدف بكامله".

هنا في الشرق يقولون: "عش حياةً غنية". أما في الغرب فيقولون: "مت غنياً". وهما مفهومان مختلفان تماماً. فالذي يريد أن يعيش "حياة غنية"، يجب أن يعيش هنا والآن، بدون أن يضيع دقيقة واحدة. أما الذي يريد تحقيق شيء ما، فسيموت غنياً، ولكن حياته ستكون فقيرة.

انظر إلى الأغنياء: حياتهم فقيرة جداً، لأنهم يصرفونها في السعي وراء القيم المادية: إنهم يبادلون حياتهم بالمال، وبالمنازل الكبيرة، وبالسيارات الكبيرة. هدفهم الرئيسي - مبادلة الحياة على شيء آخر. بعد موتهم يمكننا إحصاء أموالهم.

المتأمل بحاجة لعقل لا يتسم بالطمع والشره، ولكن عقلاً كهذا ممكن فقط عند الموافقة على أنه لا وجود لأي هدف في الحياة. حاول أن تفهم قانون اللعبة الفضائية وكن جزءاً منها. لا تكن جاداً، لأن اللعبة لا يمكن أن تكون جادة. حتى لو تطلبت منك الجدية، فكن جاداً لعوباً، عندها تصبح تلك اللحظة ثروة. في تلك اللحظة تحديداً ستجد الأبدية.

الأبدية لا تكون في المستقبل - إنها في الحاضر، إنها هنا والآن. لهذا لا تسأل عن الهدف، فالهدف غير موجود. كم هو رائع أن الهدف غير موجود. فلو كان الهدف موجوداً، لصار ربك مديراً إدارياً، أو رجل أعمال ضخم، أو صاحب مصنع أو شيئاً من هذا القبيل. لما يجب صرف الوقت عبثاً على التفكير بالأعمال؟ لماذا لا تعيش وأنت تلعب، بلا جدية، بحيوية؟ فالنشوة الروحية يستحيل تحقيقها، ببذل المجهود؛ النشوة الروحية - أسلوب حياة. من الضروري الحصول على المتعة من الأمور البسيطة، يجب أن تشعر في كل لحظة بالنشوة الروحية. الحياة تقدم ملايين الأسباب للفرح. ولكن هذا يمكن أن تخفى ملاحظته عن عينيك، في حال سعيت خلف هدف ما.

إذا لم يكن للهدف وجود، فللإحساس بالغبطة أسباب كثيرة. وردة، وردة وحيدة في البستان... تريد أن ترقص، إذا لم تكن تلاحق الهدف. النجمة المسائية الأولى... تريد أن تغني، إذا لم تكن تلاحق هدفاً. وجه جميل... سترى الربانية فيه، إذا لم تكن تلاحق هدفاً. في كل مكان تحيط بك سمات الربانية؛ الغبطة ستحل عليك. ولكن فقط الذي يلعب ولا يتبع أي أهداف يستطيع رؤية ذلك.

إنكليزي يسافر لأول مرة عبر الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، وفتح حديثاً مع أمريكي.

- اسمع، لديكم فعلاً بلد رائع: نساء جميلات، مدن كبيرة... ولكن إذا تحدثت يا صديقي، سأكون صريحاً معك: ليس لديكم أرستقراطية.

- ماذا؟

- أرستقراطية.

- وما هذا؟ - سأل الأمريكي محتاراً.

- كيف أشرح لك - أجاب الإنكليزي - الناس الذين لا يعملون في حياتهم شيئاً، والذين أهلهم لم يكونوا يعملون أيضاً - كانوا دائماً يعيشون حياة خاملة.

- آه! - صاح الأمريكي فرحاً مستنير الوجه - لدينا منهم أيضاً، ولكننا ندعوهم مشردين!

معروف أنه بمقدار زيادة درجة التعليم عند السكان يزداد عدد المجانين. واليوم تحتل أمريكا المرتبة الأولى من حيث عدد المصابين بالأمراض العقلية. وهذه مسألة اعتزاز! لأنه إثبات على أن أمريكا هي الدولة الأكثر ثقافة، والأكثر تحضراً في العالم. ويؤكد الأطباء النفسيون، أنه إذا استمر نظام تنظيم المجتمع الحالي لمئة سنة أخرى، فلن يسهل في البلاد إيجاد شخص طبيعي واحد. فاليوم عند كل ثلاثة من بين أربعة أشخاص تكون الحالة النفسية مضطربة.

ففي أمريكا وحدها هناك ثلاثة ملايين شخص يستشيرون أخصائياً نفسياً كل يوم! تدريجياً عدد الأطباء في البلاد يقل، وعدد الأطباء النفسيين يزداد. كما يؤكد الأطباء، أن نسبة ثمانين بالمئة من جميع الأمراض تكون من نصيب الاضطرابات النفسية وليس من أمراض الجسد. هذا الرقم ينمو بمقدار زيادة التعليم في الأمة. في الماضي كان الأطباء يؤكدون، أن الأمراض العقلية تشكل نسبة أربعين في المئة من

بين جميع الأمراض، ثم زاد الرقم حتى الخمسين في المئة، واليوم وصل إلى نسبة ثمانين في المئة من المجموع العام من الأمراض. وأنا واثق من أنهم بعد عشرين أو خمساً وعشرين سنة سيضطرون للاعتراف بأن نسبة تسع وتسعين في المئة من الأمراض مرتبطة مع الاضطرابات النفسية، وسيضطرون للإقرار بذلك، لأن الحمل الأكبر اليوم يقع على دماغ الإنسان. والدماغ لا يتحمل حملاً كهذا.

الإنسان الذي يسهل إخراجه عن طوره لأي سبب، يكفي أن تزعجه، لا يشكل خطراً، لأنه لا يراكم في داخله الكمية من الغضب التي يمكن أن تجعله خطيراً بالفعل. يختلف الأمر مع الذي يكبت غضبه ويجلس على فوهة بركان - فالبركان يمكن أن ينفجر في أي لحظة. شخص كهذا إما أنه سينتحر أو يقتل أحداً ما - لا ثالث لهما.

الخلاعة تزدهر في العالم، بسبب وجود الديانات التي تحظر الجنس. الخلاعة موجودة بفضل القساوسة، وليس بفضل مجلة "بليبوي"، بل على العكس، "البليبوي" ناتج ثانوي للدين.

الخلاعة تزدهر، لأن الجنس يتعرض دائماً للتنكيل، وهو يبحث عن المخرج. فإذا جرى قمع الجنس، فإنه سيبدأ البحث عن طرق شاذة ومنحرفة، حيث يمكنه أن يجد مخرجاً له في السياسة؛ فالسياسة - هي جنس مقموع، لا أكثر.

ولهذا في جميع جيوش العالم يجري قمع الجنس. الجنود الأمريكيون يقعون في مواقف صعبة دائماً لأنه لأول مرة في التاريخ، في جيش الولايات المتحدة الأمريكية تم نزع الحظر عن العلاقات الجنسية. الجنود الأمريكيون لا يستطيعون الفوز، فالخسارة بانتظارهم. فمهما فعلوا، وأينما توجهوا، في كل مكان سيفشلون، والسبب هو أن الجندي الأمريكي - ظاهرة جديدة في العالم - إنه ليس مهموماً بالجنس. لم

يستطع التغلب على الروس، ولم يستطع التغلب حتى على الفيتناميين. الفيتناميون المساكين غلبوا أعظم دولة في العالم من بين الدول التي وجدت في يوم ما على سطح الأرض، فقط لأن كبت الجنس يجعل الإنسان شديد الخطورة، مهووساً. فهو يرغي ويزبد، وعدوانيته الداخلية تبحث عن مخرج.

الإنسان غير المهموم جنسياً لا يسعى للقتل. بل على العكس، أظهرت الأبحاث العسكرية، أنه على الأقل هناك نسبة ثلاثين في المئة من الجنود لم تستخدم السلاح أثناء الحرب. ثلاثون في المئة ليست نسبة قليلة. ثلاثون في المئة من الجنود يذهبون إلى الخطوط الأمامية، ومن ثم يعودون إلى أقسامهم، بدون أن يقتلوا أحداً. فكيف يمكنهم أن ينتصروا في الحرب؟ إنهم ليسوا عدوانيين، وليس لديهم رغبة في القتل.

الرغبة في القتل تظهر عندما يتم كبت الجنس بشدة. توجد ملاحظات مدهشة، تثبت أن الدولة المزدهرة، والغنية، والمتميزة بالحرية الجنسية، يمكن أن يقضى عليها بعدوانية مجتمع متخلف وفقير ومضطهد. هكذا كان مصير الحضارة اليونانية، ومن بعدها الحضارة الرومانية، وهكذا سيكون مصير الحضارة الأمريكية. إنني أجد غريباً حقيقة أنه كلما زادت الدولة تحضراً، كلما صار أسهل على الهمجيين نهبها، وكل ذلك لأنهم يعيشون في كبت جنسي. إنهم أكثر تخلفاً، وأكثر غباء ويستمرون في طاعة قادتهم الدينيين..

حدث هذا خلال الألعاب الأولمبية الأخيرة. في القطاع الأمريكي كان المدرب جون ميك يوجه تلميذه مايك فليم الملقب بـ "الجاموس".

"أتعلم - قال المدرب - أمامك قتال مع مصارع من جورجيا، وهو أحد أعظم المصارعين في العالم. ولكنك مع ذلك أقوى منه. إنه يرهب الجميع

بأسلوبه الخاص وهو القبض على الخصم. يكفي للخصم أن يقع بين يديه حتى يقضى عليه. استخدم الجورجي أسلوب القبض في عشرين مباراة، وفي كل واحدة منها كان الخصم يعترف بالهزيمة بعد عشر ثوانٍ. اسمع يا جاموس، عليك أن تكون حذراً لأقصى درجة، وأن لا تسمح له بأن يطبق عليك طريقته. وإلا قضي عليك".

استمع الجاموس لتعليمات مدربه باهتمام، محضراً نفسه فكرياً للمعركة. وها قد بدأ النزال. الدقائق الثلاث الأولى لم تأتِ بنقاط لا للأمريكي، ولا للجورجي. وكان الجمهور يتفاعلون بصخب مع ما يحدث. وفجأة هدأ الجميع: الجاموس فليم في قبضة الخصم. أدرك ماك، أنهما خسرا النزال، وبمزاج سوداوي غادر الصالة. وعندما وصل إلى الممر، ما زال يسمع أنين فليم الخافت. وفجأة بدا له، وكأن الجدران انهارت، فضجيجاً وصراخاً كهذا لم يسمع طوال حياته الرياضية. كانت المدرجات تثور. فأدرك ماك أن الجاموس انتصر، ولكنه عجز عن تصديق ذلك. هل أمكن حدوث المستحيل؟ وبعد دقيقة اقتحم فليم الغرفة راكضاً قلقاً. فعانقه مدربه وصاح: "يا جاموس! لا أستطيع التصديق، لقد استطعت التحرر من قبضته الحديدية!"

"لقد أحاطني بيديه وعصرني - قال فليم - لم أشعر في حياتي بألم مماثل. خشيت أن يكسر لي عظامي. وكنت على وشك فقدان وعيي. وفجأة، كما في الحلم، رأيت أمامي... خصيتين. في يأس انتهزت الفرصة وعضضت عليهما. لن تصدق يا ماك، ماذا يمكن للرجل أن يفعل، عندما يعض خصيتيه!".

بوذا

يمتاز الإنسان بمقدرة هائلة؛ فبوابة عالم بوذا مفتوحة أمامه. كل إنسان يولد ليكون بوذا - السيد، وليس عبداً. ولكن قلة فقط استطاعوا تجسيد هذه المقدرة. الملايين يعجزون عن فعل ذلك، لأنهم واثقون تماماً، من أنهم وصلوا إلى قمة إمكانياتهم.

الحياة ليست إلا فرصة للنمو، ولتحقيق الذات، وللازدهار. الحياة بحد ذاتها فارغة؛ والإبداع فقط يمكن أن يملأها بالمحتوى. إنك تشعر في قلبك بالأغنية، التي يجب أن تغنيها، والرقصة، التي يجب أن ترقصها. ولكن هذه الرقصة خفية، والأغنية... حتى أنت لم تسمعها بعد. إنها مخبأة في أعماق نفسك ويجب أن تخرجها إلى السطح، وتُنطِقها. وإليك ما أقصده بالتحفيز الذاتي. قلة من يُصَعِّدون حياتهم باتجاه النمو، في رحلة طويلة للتحفيز، لتصبح كما خططت لك الطبيعة أن تكون. في الشرق سمينا إنساناً كهذا بوذا؛ في الغرب سموه المسيح. كلمة المسيح تعني المعنى ذاته لكلمة بوذا، وهو العائد إلى البيت.

جميعنا رحالة نبحث عن البيت، ولكننا نجري هذا البحث دون أن ندرك ذلك، نتلمس طريقنا في الظلام، ولا نفهم، عما نبحث هناك، ومن نحن، وإلى أين ذاهبون. كالغيمة نسبح إلى حيث تدفعنا الريح، مسلمين أنفسنا لقدر المصادفة. نحن نعتقد، أن الأمر يجب أن يكون كذلك، فملايين الناس من حولنا يفعلون الشيء ذاته، ولكن الملايين يمكن أن تخطئ. هذا هو منطقك، وهذا المنطق خاطئ من أساسه: فالملايين يمكن أن تخطئ. الإنسان من النادر جداً ألا يخطئ؛ ومن النادر جداً أن يدرك الحقيقة. ملايين يعيشون في كذب ونفاق. حياتهم سطحية جداً؛

إنهم يعيشون على المحيط، دون أن يتوقعوا حتى وجود المركز. في حين أنه في المركز يوجد كل شيء، لأن المركز هو ملكوت الرب.

لكي تدخل إلى عالم بوذا، عليك قبل كل شيء، أن تدرك مقدرتك الحيوية غير المحدودة، وأن تفهم أنك حتى هذا اليوم عشت بلا وعي، مبذراً حياتك ببساطة.

آن الأوان أن تصبح مدركاً؛ فقط بهذه الطريقة يمكنك أن تصل إلى حالة التنور. هذا الأمر ليس بسيطاً أبداً. أبسط أن تبقى غير مدرك، لأنه لأجل هذا لا تحتاج لجهود عقلية. فهذا باستطاعة أي أحمق؛ وجميع الحمقى يعيشون بهذه الطريقة. من السهل وضع اللوم كله على المصادفة - عندها لا تتحمل أي مسؤولية عن ما يحدث. عندها يمكن أن يصبح الملوم: أمك، أباك، والداك، القدر، الرب، المجتمع، البنية الاقتصادية، الدولة، الكنيسة... أسهل بكثير أن تتهرب دائماً من المسؤولية.

أن تكون مدركاً - يعني أن تضع المسؤولية كاملة على كاهلك. المسؤولية - هي بداية عالم بوذا.

وعندما أتحدث عن المسؤولية، لا أقصد الدلالة العادية لهذه الكلمة: الواجب. بل أتحدث عن معناه الحقيقي الأصلي - القدرة على الإجابة. هذا ما أقصده. وهذا الأمر ممكن فقط عندما تدرك ما يحدث. النائم لا يستطيع أن يستجيب استجابة مماثلة. العصافير تغرد، ولكنك لا تسمعها، الأزهار تفتحت، ولكنك لا ترى جمالها، ولا ترى رقصتها الفرحة بالحياة، ولا تشعر برائحتها العطرية.

أن تكون مسؤولاً - يعني أن تكون مُدركاً. أن تكون مسؤولاً - يعني أن تكون مهتماً كثير العناية. من الضروري إدراك أفعالك لأقصى حد. حتى في التفاصيل وصغائر الأمور، وفي المواقف الاعتيادية - أثناء التنزه في

الشارع، أثناء تناول الطعام أو الاستحمام - لا يجوز السماح بالأفعال الآلية. تصرف وأنت مدرك تماماً لما يحدث.

تدريجياً سينير النور أفعالك؛ وستبدأ بالتراكم في داخلك، إلى أن يحدث ... الانفجار. البذور انفجرت، وتفتحت القدرة الكامنة. وأنت لم تعد بذرة، إنك - زهرة لوتس، اللوتس الذهبي، اللوتس صاحب الألف بتلة.

إنه زمن البركة العظيمة؛ بوذا سماها نيرفانا. ظهر إنسان متنور. لم يعد هناك شيء يمكن تحقيقه أكثر من هذا، ولا مجال للتحرك أبعد من ذلك. يمكن للإنسان أن يرتاح، ويسترخي - الرحلة انتهت. في هذه اللحظة يولد فرح لا حدود له، ونشوة روحية شديدة جداً.

ولكن يجب البدء من البداية من جديد.

الغرب قدم للعالم أرسطو، ونيتشه، وخايدغر، وكامو، وبيردايف، ومارسيل، وسارتر. فهل هو قادر لوحده على إنجاب البوذيات أم أنه بحاجة لأجل ذلك أن يتحد مع الوعي الشرقي؟

إن وعي بوذا ليس ملكاً للغرب أو الشرق. إنه لا علاقة له بالجغرافيا أو التاريخ، وليس له علاقة بالعقل بحد ذاته. العقل يمكن أن يكون شرقياً، غربياً، هندياً، صينياً، يابانياً، ألمانياً، ولكن الوعي العميق النقي يشبه السماء الصافية - يستحيل تشبيهه بشيء، لأنه غير مشروط، ولم تلوثه الآراء الباطلة والخرافات. ما هو الشرق وما هو الشرق؟ كل هذا آراء باطلة وخرافات على مختلف أنواعها. من هو الهندوسي ومن هو اليهودي؟ إنها أنواع متنوعة من الشروط المفروضة. إنها أسماء أمراض. الصحة لا تنتمي لا للشرق ولا للغرب.

ما إن يولد الطفل، حتى يصبح فوراً عبداً للشروط المفروضة عليه. ويحدث ذلك على مستوى دقيق جداً، بصورة خفية. بشكل مباشر أو غير مباشر، نبدأ بإلباسه بزّة محددة. حيث سيتحدث لغة معينة، وكل لغة تمتلك بنياتها الفكرية، وكل لغة لها سماتها الفريدة. ولهذا يستحيل أحياناً إحداث ترجمة دقيقة من لغة لأخرى، حيث يمكننا ألا نجد في اللغة الأخرى الكلمات المناسبة؛ ويحتمل أن الواقع في اللغة الأخرى ينقل بطريقة مختلفة تماماً. الحياة متعددة الجوانب؛ ولكن الناس ينظرون إليها من طرف واحد، بينما يمكن رؤيتها في كامل تنوعها.

يبدأ الطفل بتشرب جو الأسرة، والمدرسة والكنيسة؛ وتؤثر عليه هيبة ونفوذ القسيس والوالدين. كل ذلك يحدث خفية. تدريجياً سماء الوعي تنغلق، وتبقى كوة صغيرة فقط، نافذة. هذه النافذة يمكن أن تكون هندية، أو إنكليزية، أو أمريكي. ويمكن أن تكون هندوسية، أو دجاينية، أو بوذية. ويمكن أن تكون شرقية أو غربية.

إن تجسيد البوذية - تعني استعادة وعي الطفولة. هذا النقاء الذي لم يلوث، هذا الوجه الحقيقي، الخالي من أي أقنعة، هذه البساطة هي عالم بوذا. لهذا لا يمكن لعالم بوذا أن يكون شرقياً أو غربياً؛ إنه متسامي.

...كل طفل يكبر داخل الأسرة. إنه شرط أساسي، ويستحيل الأمر بدونه - يجب أن تكون لديه أسرة ما. حتى لو كانت كامونة، أو كيبوتس، فحتى هناك توجد قيود وشروط خاصة بهم. يستحيل تربية طفل، بدون العناية به ورعايته. الأمر مستحيل بدونهما، ويمكن أن يموت الطفل. يجب العناية بالطفل، ولكن عليه أن يقدم شيئاً بالمقابل. والأمر ليس بسيطاً أبداً، إنه صعب. فالطفل عليه دائماً أن يتأقلم مع معايير الأسرة، لأن الأسرة "محقة"، والأب "محق"، والأم "محقة". إنهم أشخاص أقوياء، بينما الطفل غير محصّن. هو لا يستطيع ألا يتبع لهما، وواجب عليه احترامهما،

والسير وراءهما. والأمر ليس في صواب ذلك أو خطئه؛ الطفل يجب أن يصبح ظلاً، مُقلّداً.

هذا هو مغزى الهندوسية، والمسيحية، ومغزى العقلين الغربي أو الشرقي. فكل شيء يحدث خفية؛ حيث يمكن للطفل ألا يشعر بذلك، لأن الأمر يتطلب سنيناً طويلة. فالماء يأكل الحجر: قطرة تلو قطرة، قطرة تلو قطرة، يتعرض الحجر للحت ويختفي.

الطفل مضطر للتأقلم بشتى الطرق. بسبب ذلك يتعلم الكذب، والزيف، وعدم الأمانة ولا يوثق به، إنه يخون جوهره الداخلي. اليوم يؤكد علماء النفس، أنه إذا كان الطفل غبياً، فلا ذنب له في ذلك، لأنه ولا طفل يولد غبياً. غالباً يكون المتسبب بذلك محيط الطفل، أسرته، التي يضطر للتأقلم معها. فإذا كان الأب ذكياً جداً، فإن الطفل للحفاظ على التوازن يكون مضطراً للتصرف بغباء. أما إذا تصرف الطفل بتعقل، فإن الأب يشعر في أعماق نفسه بعدم الارتياح. فهو لا يطيق الأطفال الأذكياء، وهو لا يطيق كل من هو أذكى منه. وهو سيجبر الطفل على الإحساس بنقصه، بغض النظر عما يقوله الأخير. فيتعلم الطفل كيف يتظاهر بالغباء، لأن الأغبياء تمر أخطاؤهم دون عقاب؛ فيصبح الوضع أسهل لكثير. ويمكن للأب أن يتظاهر بالانزعاج، ولكنه في أعماق نفسه مسرور جداً. إذ يعجبه أن يكون الأذكى وسط الحمقى.

هذه الحيلة كانت تلجأ إليها النساء طوال قرون: لا تسعي أبداً لتظهري أنك أذكى من زوجك، فلن يعجبه ذلك. ولم تفعل النساء ذلك لأنهن غير عاقلات، فذكاؤهن لا يقل عن ذكاء الرجل. ولكنهن اضطررن للتأقلم مع الوضع. هل فكرت يوماً في أن الرجل يشعر بعدم الارتياح إلى جانب زوجته الذكية؟ ولن يرغب أي رجل في الزواج من امرأة أذكى أو أشهر منه. وهناك أسباب أقل أهمية: لن يحب أي رجل الزواج بامرأة أكول منه،

ربما، لهذا السبب تحديداً قررت النساء أنه على المستوى الحيوي لا يجب عليهن النمو كثيراً - هنا يكمن سبب نفسي أيضاً - فهن في تلك الحالة لن تتزوجن. والمرأة الذكية جداً هي الأخرى لن تجد زوجاً. المرأة مضطرة للتظاهر، بأنها ساذجة، كالطفل. عندها سيدرك الزوج بسرور بأنه السند في الأسرة.

يولد الطفل في جو الأسرة المستقر. فكل شيء صار موجوداً فيها؛ وعليه أن يندمج فيها، ويناسب نفسه مع مقاييسها. لا يجوز له أن يبقى كما هو، لأنه في هذه الحالة سيعاني من المشكلات دوماً، وسيشعر بالذنب. يجب عليه أن يتأقلم - مهما حدث. فالحفاظ على البقاء يقف في المرتبة الأولى، وكل ما تبقى ثانوي. وهكذا، وللحفاظ على البقاء، سيتوجب على كل طفل أن يتأقلم مع أسرته، ومع أهله، ومع جغرافية بيئته، ومع تاريخ بلده، ومع الأطوار الغريبة للمحيطين به، ومع جميع الآراء الباطلة والخرافات والعادات البالية. والى أن يأتي الوقت الذي تبدأ فيه بفهم الأمور على حقيقتها، وتكون قد حصلت على بعض الاستقلالية، ستكتشف أنك تعود بشدة على الشروط المفروضة عليك، بحيث أنها تغلغلت داخل دمك ولحمك، فصار التخلص منها مستحيلاً. ما هي البوذية؟ البوذية - هي التحرر من الحالات الشرطية... وبوذا - هو الذي يعيش ككل موحد عضوي. ووعي بوذا - هو وعي متسامي. إنه غير مرتبط بالشرق أو بالغرب.

ما هي السمات المميزة للإنسان المتنور؟

الإنسان المتنور - هو الذي لم يعد في حياته أي أسئلة، فكل شيء تم حله. الإنسان المتنور - هو الذي يتواجد دائماً في حالة هدوء وسكون، وسلام ورضا، بغض النظر عما يحدث في عالمه الخارجي: نجاح أم فشل، ألم أو متعة، ولادة أو موت.

الإنسان المتنور حقق ما يستطيع تحقيقه كل إنسان، يجب فقط أن يحاول ذلك. أربع وعشرين ساعة في اليوم يمتلئ نوراً وفرحاً ونشوة روحية. إنه يشبه السكران؛ إنه سكران بكل ما هو رباني. حياته أغنية، حياته رقصة، حياته فرح. حضوره بَرَكة. لإدراكه، يجب التواجد إلى جانبه. لا يمكن مراقبته من بعيد، بل يجب الاقتراب منه قدر المستطاع، والدخول في فضائه الخاص، والانضمام إلى قافلته، والإمساك بيده. يجب التشرب به، ويجب السماح له بالتغلغل في أعماق قلبك. لا تحاول أن تعرفه من العلامات الخارجية؛ فنحن نتكلم عن العالم الداخلي...

مع أنني يمكن أن أقدم معلومة صغيرة. فإلى جانب التنور تشعر بقوة مغناطيسية غريبة، وانجذاب لا يقاوم، وإعصار جاذبيته الشخصية. ستخشى من الاقتراب أكثر. من الخطر الاقتراب من التنور، لأنه بعد ذلك يصبح من المستحيل الابتعاد عنه. والتواصل القريب مرتبط بالمخاطرة. وهنا يمكن أن يخاطر المغامرون فقط، وليس رجال الأعمال.

القسم الرابع

الإنسان الجديد

منذ فترة زرنا مركز كندي الفضائي في فلوريدا. وهناك شاهدنا آخر إنجازات العِلم في مجال دراسة الفضاء وبناء "الإنسان الكامل". وأنت تتحدث عن ظهور "الإنسان الجديد". هذا المركز هو محطة إطلاق لأغنى وأقوى دولة في العالم. أما أنت فتقترح صحناً طائراً للوعي الجديد، الأمر الذي لا يحصل على الدعم ويتعرض للنقد حتى في بلدك الأفقر في العالم. المركز هو مادي وملموس، أما أنت فلديك نظري وتجريد. هل يمكنك أن تشرح بوضوح أكثر؟

فكرة الإنسان الكامل قديمة جداً؛ إنها قديمة قدم الإنسان. الجميع تعجبه فكرة الإنسان الكامل، لأنها لا تتطلب تغييرات جذرية. فتحقيق الكمال يفترض تطوير الموجود: فيبقى الإنسان كما هو، ولا وجود لانتقالات حادة، كل شيء يمر بسلاسة. ويصبح الإنسان أكثر غنى، وأفضل. فكرة الإنسان الكامل تتجذر في الطمع والبخل، ولهذا فهي تجد

الدعم عند الجميع. يدعمها الأغنياء والفقراء في البلاد. فالهند كانت بالكامل تدعم المهاتما غاندي، لأنه حاول استخراج الإنسان الكامل. ففكرة الإنسان الكامل تحمل طابعاً إصلاحياً وليس طابعاً ثورياً.

علماً أن فكرة الإنسان الجديد خطيرة، لأنها تتطلب شجاعة. وشرطها الأساسي هو التالي: يجب أن تموت بالنسبة لكل ما هو قديم وتولد من جديد؛ إنها ولادة ثانية. لهذا ينسبونني لصف المعارضة. إنني أتعرض لنقد شديد، ويحرضون الناس ضدي ليس فقط في الهند. سأتعرض للنقد والانتقاص من قيمتي في كل مكان. واذا قدمت إلى فلوريدا سيحدث الأمر نفسه.

والأكثر من ذلك، إذ يكون وضع المعارضة أسهل في بلد غني وقوي، مما هو عليه في بلد فقير يعاني المجاعة. والسبب بسيط: ملايين الهندوس لا يدرون ولا يتوقعون حتى حقيقة ما يحدث. إذ ليس لديهم الوقت؛ ولا يثير اهتمامهم ولادة الإنسان الجديد، لأن هذه المسألة ليست ملحة حيوياً بالنسبة لهم. بل يهمهم أمر واحد: البقاء على قيد الحياة، فما بالك بالتحدث عن ولادة الإنسان الجديد! إنهم يتواجدون على حافة الحياة والموت، ومشكلاتهم مختلفة تماماً. إنهم مرضى- وجائعون، وأطفالهم جهلة، وليس لديهم عمل، وليس لديهم أرض، وليس لديهم طعام، وليس لديهم مسكن، وأنت تحدثنا عن ولادة إنسان جديد. هذا الأمر لا يثير اهتمامهم؛إنها ليست مشكلتهم.

أما إذا تحدثت عن الإنسان الجديد في أمريكا، فسأسجن مباشرة ثم أقتل. ولن يتحملني أحد، لأنني سأشكل خطراً على نمط الحياة الأمريكية بكاملها. إن نمط الحياة الأمريكية يتأسس على الكبرياء والتعاظم، بينما الإنسان الجديد لن يكون لديه كبرياء وتعاظم أصلاً. ويتلخص المدخل الأمريكي في التالي: يجب تحسين كل شيء، ليصل إلى درجة الكمال. ولا

يهم، إلى أين سيقود ذلك، علينا فقط التحسين ثم التحسين ثم التحسن. إن الأمريكيين مهووسون بفكرة التطوير والتحسين، الذي سيطال كل شيء، فيجب زيادة السرعة، ويجب تطوير السيارات، والتقنيات، والسكك الحديدية، وطرق السيارات - كل شيء يجب تحسينه! طبعاً، بنفس الطريقة يريدون تحسين الإنسان. مسألة كهذه تتناسب مع الحلم الأمريكي. ينظرون إلى الإنسان وكأنه غرض. الأمريكيون بحاجة للأبقار الأفضل، وللكلاب الأفضل، وللسيارات الأفضل والطائرات، وبنفس الطريقة يحتاجون إلى الإنسان الكامل. ولا فرق في ذلك، فالمنطق نفسه.

أنا أتحدث عن الإنسان الجديد. والإنسان الجديد ليس بالضرورة أن يكون الإنسان الكامل. سيكون أكثر حيوية، وأكثر مرحاً، وأكثر إدراكاً، ولكن لا أحد يعرف إن كان سيصبح أحسن. بالنسبة للسياسيين لن يصبح أفضل، لأنه لن يكون الجندي الأفضل، والأكثر من ذلك، لن يكون مستعداً أصلاً ليصبح جندياً. الإنسان الجديد لن يتنافس مع أحد، وسينهار اقتصاد المنافسة بكامله. فهو لن يكون مهتماً في امتلاك سقط المتاع على كثرته وتنوعه، في حين أن الاقتصاد بكامله يتوقف على ذلك. جميع مؤسسات الدعاية تعمل على قناع الإنسان وبإصرار شديد- في ضرورة اقتناع الكمية الأكبر من سقط المتاع.

الإنسان الجديد سيكون صاحب رؤية مختلفة تماماً للحياة. في حياته ستحضر محبة أكبر، لأن المحبة هي الثروة في نظره. وسيعرف أنه بالمال لن تشتري المحبة والفرح. وسيعرف أن المال ضرورة، ولكنه ليس هدفاً للحياة.

النظام الأمريكي بكامله يتأسس على التطوير والتحسين العام. "افعل هذا بطريقة أحسن!" ولا يهم ماذا تفعل بالتحديد، فذلك ليس شديد الأهمية. "إذا كنت قاتلاً، فاقتل بطريقة أحسن!" وكل إنسان على

وجه الأرض يعرف إلى ماذا قاد ذلك في هيروشيما وناغازاكي: فأمريكا فعلاً فعلت ذلك أفضل من أي كان. "تطيرون إلى القمر!" لا أحد يسأل لماذا. فسائل أسئلة كهذه يبدو في أعين الآخرين مجنوناً؛ فأسئلة كهذه غير مقبول طرحها. وإليك السؤال الوحيد الذي يمكن طرحه: "كيف نصل إلى القمر أحسن من غيرنا؟" يجب أن نسبق الروس. أول من سيدوس سطح القمر يجب أن يكون أمريكياً. "ما الغاية؟" هذا لا يهم. فأنا شخصياً لا أرى السبب. فالأمريكي الواقف على سطح القمر يبدو أخرقاً! ولكن هذه هي طريقة تفكيرهم، وهذه هي فلسفتهم: "حتى لو كنت تبدو أخرقاً، فيجب أن تبدو أخرقاً أحسن من الآخرين. يجب أن تتغلب على الجميع!"

إنساني الجديد يعني نهاية العالم. فلماذا يتعرض الإنسان الجديد للانتقاص؟ لقد كان يتعرض للانتقاص دائماً. لقد قتل المسيح لأنه كان يتحدث عن الإنسان الجديد، وليس عن الإنسان الكامل. المسيح قال لنيقوديم: "إذا لم تولد من جديد، لن تستطيع الدخول إلى ملكوت ربي". كان المسيح يصر على ضرورة الموت بالنسبة للماضي أولاً، وعندها فقط يمكن أن يولد في الإنسان الوعي الجديد. لهذا السبب صلبوه. وكان سقراط يتكلم عن الإنسان الجديد، تذكر ذلك. فلماذا تحول المثقفون في عصر سقراط إلى قطيع من الحيوانات، قتلوا بقسوة إنساناً مثل سقراط؟ للسبب نفسه: لقد تكلم عن الإنسان الجديد.لو أنه تكلم عن الإنسان الكامل، لسجدوا له... فالذين تكلموا عن الإنسان الكامل، كان دائماً يُسجَد لهم، لأنهم كانوا يصرون على أن الماضي رائع ويمكن جعله أكثر روعة. فهم ليسوا ضد الماضي، وليسوا ضد الأعراف، وليسوا ضد التقاليد؛ إنهم يؤيدون كل ذلك. العادة يجب أن تصبح أساساً، وعلى هذا الأساس يمكن إقامة المعبد الأكثر كمالاً، والبيت الأكثر كمالاً.

من الخطر التكلم عن الإنسان الجديد. فالإنسان الجديد يقطعك عن الماضي؛ فهو ينتزع نفسه مع الجذر من الماضي، فيموت بالنسبة للماضي ويعيش في الحاضر. العادات القديمة تستأصل بصعوبة شديدة. لقد اعتدنا سماع الأحاديث حول الإنسان الكامل؛ وهذه الفكرة صارت جزءاً منا. كل قديس وكل مهاتما يتكلم عن الإنسان الكامل، إنها تجارته، ونحن نعرف ذلك. وكيف بشأن الإنسان الجديد؟ إننا نبدأ بالخوف منه. فهو يحمل معه كل شيء جديد تماماً؛ إنه ينادينا إلى منطقة المجهول؛ إنه يحاول انتزاعنا من المعروف، والاعتيادي. آلاف السنين عشنا بطريقة محددة؛ وهذا النمط الحياتي جعلنا تابعين لشروطه، لقد صرنا جزءاً منه. قلة فقط ينجحون في التحرر منه. لهذا فإن رسالتي موجهة للمختارين فقط.

تذكر، إن العادات القديمة لا تستسلم بدون قتال؛ وديننا، وفلسفتنا قديمة جداً؛ وأسلوب حياتنا صار قديماً جداً. إنني أقف مع الجديد. نحن نعتقد أن الماضي - هو الذهب، وأنا أقول، إن الماضي - هو ليس إلا سقط المتاع! أنا أوافق هنري فورد في أن، الماضي هو مكب نفايات! يجب تحرير الإنسان من الماضي؛ تحريره بشكل كامل، بإصرار وبلا عودة.

- ماما، لماذا تزوجت بابا؟

- آه، - أجابت الأم، - أنت أيضاً لا تجد السبب؟

- ألم نلتقي في تكساس؟

- لم أذهب إلى هناك يوماً.

وأنا أيضاً. أعتقد، أنه لم نكن نحن.

هؤلاء السكارى، هؤلاء الناس غير العاقلين كانوا يقودون البشرية كلها. المجانين والسكارى - لقد حددوا ماضينا. لم نستمع مرة إلى المتنورين. المتنورين لا يمكن أن يتحدثوا عن الإنسان المحسَّن. هذا الأمر يشبه إعطاءك المريض دواءً وقولك له: "سأعطيك دواءً لأحسن مرضك". المريض لا يريد أن يحسن مرضه، إنه يريد التخلص من المرض، إنه يريد أن يكون سليماً.

المتأمل

لقد سمعت، أن التأمل يوصف أحياناً بأنه عِلم، وأحياناً بأنه فن. وأنت سميت التأمل عدة مرات بأنه هبة ربانية. من فضلك، اشرح بتفصيل أكبر.

التأمل سرٌّ يمكن تسميته عِلماً، وفناً، وهبة، ولن يكون في ذلك تناقض.

من وجهة نظر، هذا عِلم، لأنه توجد تقنيات سلوكية دقيقة للتأمل. إنه قانون علمي، لا استثناءات منه. ولكن من جهة أخرى، يمكننا أن نؤكد أنه فن. فالعلم هو مجال تطبيق العقل: كالرياضيات والمنطق والعقلانية. التأمل ينبع من القلب، وليس من العقل؛ فهو غير منطقي، إنه يقارب الحب.

التأمل لا يشبه العلوم الأخرى، ففيه الشيء الكثير من الموسيقى، والشعر، والرسم، والرقص؛ وبالتالي، يمكن تسميته فناً. ولكن التأمل - هو سر عميق، بحيث أن المفهومين "العِلم" و"الفن" لا يعبران عنه تعبيراً كاملاً. إنه هبة، وموهبة: فهو إما موجود، أو غير موجود. الهبة - ليست

علماً، لا يمكن تعليمها؛ وهي ليست فناً أيضاً. إن الموهبة - هي اللغز الأكبر أمام البشرية.

فمثلاً، نحن كثيراً ما نلتقي، ونتعارف... البعض يمتاز بهبة التفاعل السهل مع الآخرين. فلقاء عابر مع شخص كهذا في الحافلة يبقي لديك شعوراً وكأنك تعرفه طوال العمر، ربما على امتداد عدد من الحييات. يصعب تحديد السبب لما يحدث، فأنت ترى الشخص لأول مرة... منشأ الموهبة غامض، وهي تمنح لقلة فقط.

أنا أعرف شخصاً، يستطيع تحريك شحمتي أذنيه! لم أصادف شخصاً آخر مثله. كيف تفسر ذلك: هل هذا عِلم أم ماذا؟ لقد استعلمت عند الأطباء: "كيف تفسرون قدرة الإنسان على تحريك شحمتي أذنيه؟" وكان رأيهم ذا معنى واحد: "هذا مستحيل". ولكنني اصطحبت صديقي إلى الطبيب وقلت له: "أظهر له مقدرتك..." فصاح الطبيب! يا إلهي! إنه يحرك شحمتي الأذنين بسهولة كبيرة". الحقيقة أن تحريك الشحمتين أمر غير طبيعي، إذ يستحيل التحكم بهما. جرب: إنهما لا تخضعان. أما أنا فأعرف شخصاً يستطيع فعل ذلك. لقد استعلمت منه: "كيف تفعل ذلك؟" فأجاب: "لا أعرف. كنت دائماً أستطيع ذلك". إنه أمر مستحيل فيزيائياً، لأنه من الضروري أن يكون لديك جهاز عصبي معين، يتحكم بالعضلات، ولكن الشحمتان لا تحتويان على عضلات.

وأخيراً، التأمل هبة. هذا هو سبب قيام الناس لآلاف السنين بالتأمل، وتعليمهم تقنية التأمل لآخرين. ومع ذلك قلة معدودة استطاعوا بلوغ قمم التأمل، والكثير جداً لم يحاولوا أصلاً. كم هائل من الناس لم يكلفوا أنفسهم عناء التفكير بهذا الخصوص. إن ذلك يشبه البذور... التي تولد معك. فإذا لم تملك البذور، فمهما حاول المعلم أن يملأك بغبطته، لن يحدث معك شيء. أما إذا كانت البذور موجودة، فيكفي مجرد حضور

المعلم، وتكفي نظرة واحدة منه، حتى تحدث فيك تغييرات مدهشة، ثورة، لا يمكن وصفها بالكلمات.

جميع المتأملين لديهم مشكلة مشتركة: إنهم يعجزون عن التفسير لأصدقائهم، وأسرهم، ماذا يفعلون... لأنه أكثرية الناس غير مهتمين بذلك أبداً. فغير المهتمين يعتبرون ببساطة، أن الذين يمارسون التأمل يعانون من خلل في رؤوسهم، وأنهم غريبو الأطوار.

"اجلس في صمت، ولا تفعل شيئاً، والربيع سيأتي، والعشب سينبت بنفسه" - ولكن، اسمع لي، ما شأنك وشأن العشب؟ وروعة "الخايكو باسو" ستبدو لأناس كهؤلاء بلا معنى. العشب سينبت بغض النظر عن جلوسك في صمت أولا! فلماذا تضيع الوقت عبثاً؟ فالعشب ليس بحاجة لمشاركتنا في نموه. الربيع سيأتي - فهو يأتي بلا دعوة - والعشب ينمو بنفسه. وعوضاً عن إضاعة الوقت عبثاً، افعل شيئاً نافعاً.

إذا لم يكن عند الإنسان هذه البذرة في قلبه، فإنه لن ينجح في شيء. يمكنه أن يتعلم التقنية، ويمكنه أن يتعلم الفن. ولكن إذا افتقد غلى الموهبة، فإنه لن يحقق النجاح في التأمل. ولهذا فإن آلاف الناس يبدؤون بالتأمل، وقلة فقط، قليلة جداً - يمكن عدهم على الأصابع - ينجحون في تحقيق التنور. إذا لم يقد التأمل إلى التنور، فإنك أضعت وقتك عبثاً.

كيف تعرف أن التأمل لامس أعماق وعيك؟

للأسف، لا علامات ظاهرية لذلك، لأنه لا وجود لطريق واضحة المعالم. كل متأمل يسير في طريقه، ولكل واحد مساره. حتى عند تنفيذ التقنية ذاتها، ستكون وحيداً على طريقك؛ ولا يمكن أن يحدث غير ذلك.

لا وجود لطريق عامة. كل طريق فريدة ومدهشة. ولهذا لن تساعدك خبرات الغير؛ بل على العكس يمكن أن تسبب الضرر فقط.

من المحتمل أن البعض يرون علامات على طريق التأمل الخاص بهم، وحتى لو أخبرك عن هذه العلامات، فهذا لا يعني أنه عليك انتظار أمر مماثل. فعلى طريقك ستكون أشجار مغايرة؛ وحجارة مغايرة. فلا تقع ضحية هذه السخافات. أحاسيسك الداخلية لها قيمة فقط. وعن تطورك ستخبرك أحداث مفاجئة، ستحدث معك فجأة. مثلاً، ستشعر بفرح متنامي ورضا.

وحقاً، عندما يصل التأمل إلى هدفه، يجلب الرضا، لدرجة تنسى فيها أحياناً ممارسة التأمل، لأن التأمل - هو مجهود، وعدم رضا. فإذا حدث أنك يوماً نسيت ممارسة التأمل ولم تشعر بأنك نسيت فعل ذلك، ولم تشعر بالفراغ الداخلي، بل تشعر بالرضا الاعتيادي، فإنها إشارة جيدة. الكثير من ممارسي التأمل لا يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم بتفويت جلسة تأمل واحدة، والا تحدث معهم أمور غريبة. فعندما يتأملون، تكون أمورهم على ما يرام. ولكن ما إن يفوتوا جلسة تأمل واحدة، حتى يشعروا بالفراغ الداخلي الذاتي. أثناء التأمل لا يحدث معهم شيء، وخارج التأمل يراودهم الشعور بالفقدان.

إنها ليست سوى عادة، مثل عادة التدخين، والإدمان على الكحول، وغيرها. لا يجوز أن تجعل من التأمل عادة. يجب أن يكون التأمل حياً! عندها سيزول عدم الرضا تدريجياً ويحل محله الرضا. وليس فقط أثناء التأمل. وحتى إذا حدث شيء أثناء التأمل، فإن ذلك وهم، وتنويم مغناطيسي ذاتي. هناك فائدة ما من كل ذلك، ولكن الأثر لن يكون عميقاً. فالجيد يعرف من خلال المقارنة. ولا تقلق إذا لم يحدث أي شيء؛ لا ينجح التأمل، ولا تأتي الغبطة. وبالعكس، إذا حدث شيء ما، لا تتعلق بذلك. إذا

سار التأمل بشكل ناجح ولامس أعماق وعيك، فإن الإحساس بالتحوُّل لن يفارقك طوال اليوم. مسحة الفرح ستحضر في كل لحظة. مهما كان عملك، في داخلك ستشعر بمركز للهدوء والسكينة والرضا.

وطبعاً، النتائج لن تجعلك تنتظر. فأنت لم تعد سريع الانزعاج، كالسابق، وغضبك تشتت. لماذا؟ لأن الغضب يتولد في العقل غير المعتاد على التأمل، العقل الذي لا يستطيع التصالح مع نفسه. لهذا السبب يغضب الإنسان من الآخرين: فهو بشكل رئيسي غير متصالح مع نفسه. يثير غضبه الآخرون، لأنه غاضب من نفسه.

هل لاحظت، أنك في غالبية الأحيان تغضب من أقرب الناس إليك؟ وكلما زاد الناس قرابة، كلما زاد غضبك منهم. فلماذا؟ كلما كان الناس أبعد عن بعضهم بعضاً، كلما قل احتمال العدوانية. فلن تغضب من الغريب كل هذا الغضب، مثلما تغضب من القريبين منك. يمكنك أن تغضب من زوجتك/ زوجك، ابنك، ابنتك، أمك. فلماذا؟ لماذا يكون نصيب المقربين من عدوانيتك وغضبك هو الأكبر؟ إن السبب: هو أنك تغضب من نفسك. وكلما كان الإنسان أقرب إليك، كلما قارنته بنفسك أكثر وماثلته بك. إنك تغضب من نفسك، ولكن حصة الغضب تنتشر على كل وقع في متناول يدك فقد أصبح جزءاً منك.

خلال تأملك، تبدأ تدريجياً بالإحساس بالرضا الداخلي العميق، تذكر ذلك، رضا بالذات.

إنها معجزة، عندما يكون الإنسان في وفاق مع نفسه. أما الحال عندنا فهو: إما أننا نحب شخصاً، أو نغضب من شخص. عندما يكون الإنسان راضياً عن نفسه، فإنه بالفعل يعشق نفسه. من الصعب أن تغضب، عندما تحب نفسك. يصبح الغضب مستحيلاً. فيتلاشى الغضب،

مفسحاً مكانه للمحبة والرحمة. هذا ما نعتبره علامة من علامات التأمل الناجح - علامة عامة.

لا تعتقد أنك حققت الكثير، في حال بدأت ترى النور أو ألواناً بديعة. فهذا كله جيد، ولكن الرضا لن يأتي حتى تحدث تغييرات حقيقية: حيث يقل الغضب، وتكثر المحبة، ويقل العنف، وتكثر الرحمة. بلا ذلك ستكون كل هذه القدرات في رؤية لعبة النور الرائعة، وسماع الأصوات الجميلة، ليست أكثر من لعبة أطفال. كل هذا جميل جداً؛ من الجيد اللعب مع الأضواء والأصوات، ولكن هدف التأمل ليس في ذلك. لا تمنح الكثير من الاهتمام لهذه الأمور، فهذا يحدث مع المسافر، ولكنه ليس إلا نتيجة ثانوية من نتائج التأمل الناجح.

كثيرون يأتون إلي ويسألون: "إنني ضوءاً سماوي اللون: ما معنى ذلك؟ وما نسبة تقدمي؟" الضوء السماوي ليس كافياً، لأن الغضب يضيء بلون أحمر. من الضروري أن تحدث تغييرات نفسية أساسية، ولهذا لا تقم بسخافات. كل هذا ألاعيب، ألاعيب روحانية. وهي ليست الهدف النهائي للتأمل.

انتبه إلى كيفية تعاملك مع أقاربك. كيف تعامل زوجتك؟ راقب. هل هناك تغييرات؟ هذا ما يهم في الأمر. كيف تعامل مرؤوسيك؟ هل هناك تغييرات؟ هذا هو المهم. فإذا لم يتغير أي شيء، ارم بعيداً ضوءك السماوي، فلا جدوى منه. إنك تخدع نفسك، وتستمر في التوهم. فالوصول إلى رؤى من هذا القبيل لا يشكل صعوبة كبيرة.

هذا هو سبب بدء الإنسان المدعو بالمتدين بإدراك تدينه: إنه يبدأ برؤية شيء ما. ولكنه يبقى ذاته، الذي كان قبل ذلك، وحتى أسوأ. التطور يقيم فقط من خلال معاملتك للمحيطين بك. هذه العلاقات تشبه المرآة فيها ينعكس وجهك. لا تنسَ أبداً، أن العلاقات تعكس عالمك الداخلي

فإذا لامس التأمل الوعي العميق، فإن العلاقات ستبدأ بالتغير، ستصبح مختلفة! المحبة، وليس العدوانية ستصبح أساس علاقاتك مع المحيطين. واليوم العنف يحدد هذه العلاقات. حتى نظرتك تحمل في طياتها النفور، ولكنك اعتدت على ذلك.

بالنسبة لي التأمل ليس لعب أطفال، بل تحوُّل عميق. فكيف يمكن التعرف عليه؟ ببساطة. إن هذا التحول ينعكس دائماً في علاقات الإنسان. هل تحاول أن تمتلك أحداً؟ عندها تكون عدوانياً. كيف يمكن أن تمتلك إنساناً؟ هل تريد التحكم بشخص ما؟ عندها تكون عدوانياً. كيف يعقل التحكم بإنسان ما؟ المحبة لا يمكنها التسلط، المحبة لا تعرف التملك. مهما كان ما تفعله، افعله بإدراك، ومن ثم تأمل. وبعد مدة ستشعر بالتغيير، إذ ستخلو علاقاتك من السعي للامتلاك. وبالتدريج سيختفي هذا السعي، وعندها تصبح هذه العلاقات رائعة بحد ذاتها. أما عندما يحضر في علاقاتك حب التملك، فكل شيء يصبح قذراً، ورديئاً، وغير إنساني. ولكننا مخادعون، بحيث لا نرغب برؤية أنفسنا في علاقاتنا مع الآخرين، لأنه بهذه الطريقة يمكن أن نرى وجهنا الحقيقي. لهذا نفضل إغلاق أعيننا على هذه العلاقات ونعتقد بأنه يمكننا أن نعثر على شيء في دواخلنا. في داخلك لن تجد شيئاً. في البداية يجب أن تشعر بالتحول الداخلي في علاقاتك مع العالم المحيط بك، وعندها فقط يمكن الغوص إلى أعماق النفس. عندها فقط يمكن الإحساس بشيء عميق. لهذا كامل الانتباه يجب أن يوجه إلى العلاقات الخارجية؛ هناك سترى، إن كنت تتقدم في تأملك أم لا.

إذا كنت تشعر كيف تملؤك المحبة، وإذا كنت تشعر بالرحمة بلا سبب، وإذا كنت مهموماً بشدة بتحسين مستوى المعيشة وتحسين رفاهية الناس، فإن تأملك يأتي بثماره. عندها انسَ كل ما تبقى من أمور.

هذه المشاهدة ستساعدك في اكتشاف تغييرات كثيرة في نفسك. في داخلك سيظهر عندك كم أكبر من السكينة والهدوء. عند وجود الضرورة، ستتكلم؛ وعند عدم وجود ضرورة لذلك، ستحتفظ بالصمت. الآن أنت غير قادر على الحفاظ على الصمت الداخلي. ولكن فيما بعد ستكون هادئاً ومسترخياً. وستسهل عليك جميع الأمور، بلا جهد زائد أو توتر. ستقل غطرستك وكبرياؤك وبالتدريج ستتخلص من هذه الصفتين نهائياً. ولن تسعى جاهداً للوصول إلى حالة (الموكشا). وفي اللحظة التي ستشعر فيها بانعدام الرغبة في الوصول إلى حالة (الموكشا)، سيعني ذلك أنها وصلت إليها. لقد أصبحت حراً، لأن الرغبة هي قيد. وحتى الرغبة في التحرر تعد قيداً. وحتى السعي للتخلص من الرغبات تعد عبودية.

عندما تزول كل الرغبات، فإنك تتجاوز عتبة المجهول. لقد حقق التأمل هدفه. عندها تصبح (الموكشا) سانسارا: حيث يصبح العالم بكامله تحرراً لك. وعندها يصبح هذا الشاطئ شاطئاً آخر.

المحارب

هل بإمكاني أن أكون رجل أعمال محترف ومحارباً في آن واحد؟ وهل سأنجح في يوم ما في الوصول إلى مرحلة التنوير؟

أن تكون محارباً وتكون جندياً ليس الأمر نفسه، إنها سمة عقلية. يمكنك أن تكون رجل أعمال ومحارباً، أو محارباً ورجل أعمال.

"رجل الأعمال" هو ميزة عقلية، إنه الذي يساوم دائماً، محاولاً إعطاء القليل، وأخذ الكثير. هذا ما أقصده بكلمة "رجل الأعمال": إنه يحاول

تقديم القليل وأخذ الكثير، ودائماً يساوم، ودائماً يفكر بالربح. المحارب هو سمة عقلية أيضاً، سمة اللاعب المغامر، وليس التاجر، إنه استعداد للمجازفة لكل ما لديه؛ إنه العقل الذي لا يقبل بالحلول الوسطى.

عندما يفكر رجل الأعمال بالتنوير، فإنه يفكر به كسلعة وسط سلع كثيرة أخرى. فلديه قائمة، عليه أن يبني قصراً كبيراً، ويحتاج لشراء الكثير، وأخيراً، هو بحاجة للحصول على التنوير. علماً أن التنوير يأتي آخراً في قائمته دائماً؛ وفقط عندما يكون قد أنجز كل شيء، وفقط عندما لم يعد هناك ما يفعله أكثر. وهذا التنوير يريد شراءه أيضاً، لأنه واثق من أنه يستطيع شراء كل شيء.

مرة جاء رجل عظيم وغني إلى ماخافيرا. وقد كان غنياً فعلاً؛ كان بإمكانه شراء كل شيء، حتى ممالك كاملة. وحتى الملوك كانوا يقترضون منه المال. جاء إلى ماخافيرا وقال: "لقد سمعت الكثير جداً عن التأمل؛ وطوال بقائك هنا أصبت الناس بالجنون؛ الجميع لم يعودوا يتحدثون إلا عن التأمل. فما هو التأمل؟ وكم ثمنه وهل يمكنني شراؤه؟"

تمهل ماخافيرا قبل أن يجيب، ولهذا تابع الرجل كلامه: "لا تفكر بالسعر، سمِّ السعر، وسأدفع، لا تقلق".

حسناً، كيف السبيل للتحدث مع شخص كهذا؟ لم يعرف ماخافيرا ماذا يقول. وأخيراً قال: "اذهب... في مدينتك يعيش رجل، إنه فقير جداً؛ ربما سيرغب في بيع تأمله لك. لقد أتقن التأمل، ولكنه فقير لدرجة، أنه ربما، سيرغب في بيع تأمله لك".

شكر الغني ماخافيرا، وأسرع إلى الفقير، دق بابه وسأله: "كم تريد ثمناً لتأملك؟ أريد شراءه منك".

ضحك الفقير وأجاب: "يمكنك شرائي، أنا لا أعترض. ولكن كيف يمكنني بيع التأمل؟ إنها سمة حياتي، وليس سلعة".

إن رجل الأعمال يفكر دائماً بهذه الطريقة. فرجال الأعمال يتبرعون بمالهم، ليشتروا شيئاً ما، وهم يبنون المعابد ليشتروا شيئاً ما. إنهم يزكون، ولكن تبرعاتهم لا تكون زكاة أبداً، إنه أسلوب مجرب للحصول على شيء ما، إنه استثمار.

عندما أتحدث عن ضرورة الكوب محارباً، أقصد اللاعب المغامر، الذي يغامر بكل شيء. عندها يصبح التنوير مسألة حياة أو موت، وليس سلعة: من أجله يكون الإنسان مستعداً بالتضحية بكل شيء لديه. وهو لا يفكر بالربح.

يأتيني أناس يسألونني: "ما الذي سنحصل عليه من التأمل؟ وما هو هدف التأمل؟ وما الربح الآتي من التأمل؟ إذا كرسنا ساعة واحدة للتأمل، كم سكون مكسبنا؟" إن حياتهم بالكامل حسابات أرباح.

المحارب لا يطارد الربح؛ إنه يسعى للسمو في أمور الحياة. ما الذي سيحصل عليه المحارب وهو يحارب في الحرب؟ لقد توقف الجنود عن كونهم محاربين، لقد تحولوا إلى خدم. لقد انقرض المحاربون من على وجه هذه الأرض، لأن جميع المسائل القتالية صارت تنجزها الآليات. أسقط الطيار قنبلة على هيروشيما: هذا الطيار لم يعد محارباً. هذا الفعل يمكن أن يفعله طفل؛ ويمكن أن يفعله مجنون. نعم إنه مجنون. إن إسقاط قنبلة على هيروشيما لا تعني أن الفاعل محارب.

الحرب توقفت عما كانت عليه في يوم ما؛ اليوم كل إنسان يستطيع أن يقاتل؛ وعاجلاً أم آجلاً سيقوم الرجال الآليون بفعل كل شيء. فالقنبلة يمكن أن تسقطها طائرة من دون طيار، والطائرة ليست محارباً. لقد فقدنا صفة المحارب.

كان المحارب يواجه عدوه وجهاً لوجه في قتال يدوي جسدي، وهو ينظر في وجهه. تخيل محاربَين يوجهان سيفيهما إلى بعضهما بعضاً هل لديهما وقت للتفكير؟ فإذا فكرا، سيخسران. يتوقف التفكير، ما إن يخرج السيف من الغمد. المحاربون لا يخططون لشيء، لأنه خلال إعداد المحارب للخطة، سيقوم الخصم بتوجيه الضربة أولاً. المحاربون يتصرفون بتلقائية، عقلهم يهدأ. فالخطر جلي، والموت قريب، بحيث لا يبقى وقت للتفكير. العقل بحاجة للوقت؛ وفي لحظة الخطر لا يفكر المرء. يمكن أن تغرق في التفكير وأنت جالس في كرسي وثير، ولكن عندما تقاتل خصمك وجهاً لوجه، لا وقت لديك للتفكير.

يسير إنسان في الشارع، في شارع مظلم، وفجأة يرى أفعى سامة؛ ماذا سيفعل؟ هل سيفكر؟ لا، سوف يقفز بعيداً مباشرة. ولن يحدث ذلك لأنه فكر بكل شيء، فالتفكير بحاجة للوقت؛ والأفعى لن تنتظر، الأفعى ليس لديها عقل. الأفعى يمكن أن تلدغ، ولهذا في ظرف كهذا يفسح العقل مكانه للغريزة. في لقاء مفاجئ مع الأفعى، يقفز الإنسان جانباً قفزة آلية، وهذه القفزة غريزية، تسبق الفكرة. في البداية القفزة، ثم الفكرة.

هذا ما أقصده، عندما أتكلم عن سمة المحارب: الفعل يتم بلا تفكير، الفعل يحدث بدون مشاركة العقل؛ هذا الفعل تلقائي. يمكن أن تصبح محارباً بدون المشاركة في الحرب، لا ضرورة للذهاب إلى الحرب.

الحياة بكاملها مخاطرة، في كل مكان الكثير من الأعداء والأفاعي، والحيوانات المتوحشة البرية مستعدة للانقضاض عليك. الحياة بكاملها حرب. إذا كنت تعيش مدركاً، فإنك تفهم، أن حياة الإنسان هي حرب، يمكن أن يموت في أي لحظة لهذا يجب أن تكون مستعداً دائماً. من الضروري أن تكون متيقظاً، كالمحارب، المحاط بالأعداء. في كل لحظة ومن كل مكان يمكن توقع الموت؛ ولا وقت للتفكير. كن لاعباً: اللاعب

فقط قادر على قفزة مماثلة. هذه القفزة خطيرة لدرجة أن الذي يفكر بالربح، عاجز عن القيام بها. فهذا خطير، ومصحوب بمخاطرة عالية؛ يمكنك أن تخسر كل شيء وألا تحصل على شيء. عندما يأتي الإنسان إلي، يمكنه أن يفقد كل شيء وألا يحصل على شيء. سأعيد على مسمعك قول السيد المسيح: "الذي يتمسك بالحياة، والذي يحاول الحفاظ عليها، فذلك سيخسرها؛ أما الذي يكون مستعداً لتقديم حياته، فذلك سيحافظ عليها". لغة كهذه مفهومة لاعب المخاطِر: فالمخاطرة بالحياة تعني المحافظة عليها. والموت يعني اكتساب حياة خالدة، أبدية.

عندما أتحدث عن رجل الأعمال، أقصد العقل المُدَبِّر والماكر. لا تكن ماكِراً. يعجز كل طفل عن الكون رجل أعمال، وفي نفس الوقت يصعب إيجاد عجوز لم يكن رجل أعمال.

كل طفل محارب، وكل عجوز رجل أعمال. كيف يتحول المحارب إلى رجل أعمال، إنها قصة طويلة: المجتمع، والتعليم، والثقافة، والمعتقدات البالية والخرافات تجعله أكثر جبناً. إنه يفقد القدرة على المخاطرة، في حين أن الروعة تقتصر على الأمور التي تحمل في طياتها المخاطرة.

الحب مخاطرة، والحياة مخاطرة، والرب مخاطرة. الرب هو المخاطرة الأكبر، ويستحيل إدراكه بالحسابات الرياضية؛ فلهذه الغاية نحتاج إلى المخاطرة الأعظم، يجب أن تخاطر بكل شيء لديك. والإنسان يجهل المجهول؛ إنه يستطيع المخاطرة من أجل المعلوم فقط، لأنه يجهل المجهول.

سيستغرب العقل العملي: "ماذا تفعل؟ إنك تبادل كل ما لديك على وهم، على شيء ربما لم يكن موجوداً أصلاً؟ احتفظ بما تملكه، ولا تسعى وراء المجهول". أما عقل المحارب فيقول: "لقد أدركت المعلوم، ولم يعد فيه شيء يجذبك؛ لقد صار عبئاً، لا نفع

في حمله معك بعد الآن. آن أوان معرفة المجهول، وعلي أن أخاطر بكل شيء، أعرفه، من أجل ما لا أعرفه".

وإذا كان الإنسان قادراً على المخاطرة، المخاطرة بكل شيء، غير ساع للحفاظ على أي شيء، ومبتعداً عن الاحتيال، وغير محاول للاحتفاظ بأي شيء، فإنه المجهول نكشف أمامه فجأة. وعندما يأتي المجهول، تدرك بأنه ليس مجهولاً فحسب، إنه غير قابل للإدراك. وغير المدرَك لا يعد نقيضاً للمعلوم، فهو يتواجد خارج حدوده. فلكي تتحرك في ظلام كهذا، ولتتحرك في بيئة غريبة بلا خرائط ومعالم، لتسير وحدك في هذه اللانهاية، يجب أن تمتاز بسمات المحارب.

كثير منا بقي لديه القليل من سمة المحارب، لأننا جميعاً كنا أطفالاً في يوم ما؛ جميعنا كنا محاربين، جميعنا كنا نحلم استكشاف المجهول. الطفولة مخبأة في داخل كل إنسان، ويستحيل القضاء عليه، إنها ما زالت هنا، إنها ما زالت تحتل جزءاً من جوهرنا. لتظهر إلى السطح؛ فالذي يستطيع مجدداً أن يصبح طفلاً، سيصبح محارباً من جديد. هذا ما أقصده.

لا تدخل في حالة اكتئاب بسبب امتلاكك لمحل تجاري، ولأنك رجل أعمال. لا تدخل في اكتئاب، فدائماً بإمكانك أن تصبح محارباً. المخاطرة هي سمة عقلية، هي سمة الطفل: الوثوق والخروج خارج حدود الأمان والمعلوم.

المحارب العظيم لا علاقة له بالحرب. ولا علاقة له بالصراع مع الآخرين. إنه منشغل بالتحول الداخلي. وهذا ليس نزالاً، مع أنه يجلب النصر: هذا ليست حرباً، وليس أزمة. ولكن من الضروري أن تكون محارباً، لأنه يجب أن تكون يقظاً جداً، مثل المحارب. من الضروري أن تكون شديد الانتباه، ومتأملاً جداً، لأننا نمشي فوق القارة الأكثر ظلاماً في الكون... في نهاية الطريق سيظهر النور، نور لا نهائي، ولكن في البداية من الضروري

المرور عبر ليل النفس المظلم. هناك توجد مصائد كثيرة، ومن السهل جداً أن تتوه، هناك يوجد الكثير من الأعداء الداخليين. لا يجوز قتلهم والقضاء عليهم، بل يجب تحويلهم، إلى أصدقاء. فالغضب يجب تحويله إلى رحمة، والشهوة يجب تحويلها إلى حب، وهكذا. ومع أن ذلك ليس حرباً، فمن الضروري أن تكون محارباً.

بنفس الطريقة حدث في اليابان نشوء عالم الساموراي (المحارب) بكامله من التأمل، وجميع أنواع الفنون القتالية تحولت إلى ممرات تقود إلى العالم الداخلي. فن القتال بالسيف تحول في اليابان إلى إحدى الممارسات التأملية الرئيسية. يجب أن تمتاز بوعي شديد، لأن لحظة من انعدام الوعي ستكلف الساموراي حياته.

المحارب الحقيقي متنبه ويقظ لدرجة أنه يعرف متى سيضرب الخصم ضربته. وهو مستعد لصد الضربة، قبل أن يفكر بها الخصم. إنه مستعد. وإدراكه يصبح مركزاً لدرجة أنه يستطيع قراءة أفكار العدو. يقولون أنه إذا تحارب سامورايان حقيقيان، لن يكون للفوز بينهما حضور. فالقتال يمكن أن يتم، ولكن لا غالب فيه، لأن كل منهما سيقرأ أفكار الآخر. فما إن يبدأ أحدهما الهجوم، حتى يكون الخصم جاهزاً لصده.

إن إتقان فنون القتال بالسيف، أحد أعظم مصادر التنوير. يمكن أن يبدو الأمر غريباً، ولكن في اليابان حدثت أحداث مدهشة حقاً. من طقس شرب الشاي وصولاً إلى فن القتال بالسيف - كل شيء تحول إلى تأمل. في الحقيقة يمكن تحويل الحياة إلى تأمل، فالتأمل يعني زيادة الإدراك.

وهكذا، تعمق في أعماق نفسه وكن أكثر إدراكاً. ويوماً ما سيأتيك النصر - إنني واثق تماماً من ذلك. عليك فقط أن تنفذ مطلباً واحداً: أن تكون مدركاً بالكامل.

حدث مرة أن دزن ساموراي، محارب الدزن، عاد من الحرب مبكراً وصار شاهداً لخيانة زوجته مع الخادم. كان الساموراي رجل دزن، ولهذا قال للخادم: "انتهِ من عملك. سأنتظر في الخارج. ولكن بعد ذلك ستضطر لحمل السيف وقتالي. فليكن ما لا مفر منه. إنني أنتظرك في الخارج".

أصيب الخادم المسكين برجفة الخوف. إذ لم يكن يتقن حمل السيف، في حين كان سيده محارباً مشهوراً؛ وبضربة واحدة كان يمكنه قطع رأس خادمه. فخرج من الباب الخلفي وأسرع إلى معلم الدزن، الذي علَّم في السابق الساموراي نفسه. وقال للمعلم: "لقد وقعت في مصيبة، أنا مخطئ، ولكن ماذا علي أن أفعل الآن؟"

استمع المعلم إلى القصة بكاملها وقال: "لا تقلق. سأعلمك حمل السيف، وستفهم، أنه ليس من الضروري أبداً، أن يفوز سيدك لأنه محارب عظيم. المهم التصرف حسب الظرف، تلقائياً. في هذه الحالة ستكون في موقع الرابح، لأنه واثق جداً من نفسه: إنه مقتنع، بأنه لا فرصة للخادم في النجاة. سيكون ذلك شبيهاً بلعبة الهر والفأر. لا تقلق. كن يقظاً، واضرب بقوة، لأنها فرصتك الوحيدة للبقاء حياً. كن عازماً، ولا تتوهم، بأنه سيرأف بحالك. فهو لن يسامحك أبداً، وستضطر لقتاله. لقد أغضبته، وتحديته. ولكنني لا أرى هنا أي مشكلة: وأعتقد أنه بإمكانك الفوز".

لم يصدق الخادم أذنيه، أما المعلم فقد تابع: " يجب أن تفهم، أنه تلميذي، وأنا أعرف، أنه سيتصرف حسب ما علمته. مدركاً تماماً، أنه سيفوز، ولهذا فهو يستحيل ألا يخضع للشروط، أما أنت فليس لديك من خيار آخر، عليك أن تكون مدركاً. فكن كذلك. أنت لا تعرف أين تضرب، وكيف تضرب، ولهذا اضرب أينما شئت. ببساطة عليك أن تفقد عقلك!".

فأجاب الخادم: "سأفعل كما تقول، يا معلم. نعم، ليس لدي فرصة للنجاة، وطالما أن الأمر كذلك، فلماذا لا أقاتل بكامل طاقتي؟"

مع بداية النزال كان قد عرف حمل السيف، ولدى عودته إلى سيده صاح بثقة: "أنا مستعد!". لم يصدق الساموراي عينيه. فقد توقع أن الخادم سيرتمي أمام قدميه، وينحب ويرجوه العفو. وعوضاً عن ذلك الخادم يزأر، ممسكاً بسيف المعلم نفسه! عرف الساموراي سيف معلمه فسأل: "من أين جئت به؟"

من عند معلمك. دعنا ننهي الأمر إلى الأبد. واحد منا فقط سيبقى حياً". شعر الساموراي برجفة في جسده، وفكر في نفسه:"ساذج! القتال يحتاج لتدريب طوال الحياة... لقد حاربت لسنين، أما هذا الخادم المسكين..." ومع ذلك اضطر لإخراج سيفه. لقد جن الخادم فعلاً. ولجهله بالاتجاه الذي يجب أن يوجه فيه سيفه، صار يخبط خبط عشواء... احتار الساموراي، فقد اعتاد على القتال مع الذين يعرفون عملهم، ولكن هذا الخادم لم يكن يفقه شيئاً في فنون القتال وكان يقاتل كيفما استطاع! في نهاية الأمر ألصقه الخادم بالحائط، فرجاه الساموراي: "من فضلك، سامحني. ستقتلني. فأنت لا تعرف كيف تقاتل، ما الذي تفعله؟"

"الأمر ليس فيما أفعله - أجاب الخادم - الأمر في كيفية فعلي ذلك؛ إنها فرصتي الأخيرة، إنني لا أخسر شيئاً".

لقد ربح الخادم في ذلك النزال، أما سيده فقد ذهب إلى معلمه وسأله: "ما هذه المعجزة التي صنعتها؟ خلال خمس دقائق صار الخادم محارباً عظيماً، لقد كان يضرب ضربات غير متوقعة، وكاد أن يقتلني. كان بمقدوره فعلاً أن يقتلني، مع أنه لا يعرف في القتال شيئاً. لقد ألصقني بحائط بيتي، وسيفه موجه إلى صدري. كنت مضطراً لطلب الرحمة الاعتراف بأنه تصرف تصرفاً صحيحاً وأنني لن أزعجه بعد الآن".

أجاب المعلم: "ليكن ذلك درساً لك: الأهم هو الإدراك، والحذر واليقظة، والتخلي الكامل عن الشروط، ولا يهم، إن ربحت أو خسرت،

المهم أن يكون الإنسان مدركاً، وإنساناً كهذا لا يمكن التغلب عليه، فإدراكه هو النصر".

المُغامِر

ماذا يعني أن تعيش في مخاطرة؟

العيش في مخاطرة يعني العيش. فالذي لا يغامر، لا يعيش أصلاً، فالمخاطرة تمنح الحياة طعمها.

الحياة الحقيقية - هي الحياة المليئة بالأخطار. الحياة التي تستحق أن تحياها مستحيلة خارج حدود الخطر؛ الحياة الحقيقية دائماً مترافقة مع المخاطرة.

السعي إلى الأمان يحول حياة الإنسان إلى مستنقع راكد. وطاقته عاجزة عن إيجاد المخرج. فيبدأ الإنسان بالخوف من المجهول، لأنه لا أحد يعرف، ماذا ينتظره. فلماذا المخاطرة؟ فالأمر الذي تعرفه جيداً هو أكثر أماناً بكثير. وتدريجياً يبدأ الإنسان بالتمسك بالقديم. فقد ملَّ من كل شيء، وهو يختنق من شدة الملل، ويعاني، ولكنه لا يريد تغيير أي شيء، لأنه بهذه الطريقة يخلو من الهموم. فعلى الأقل هو يعرف كل شيء. إن المجهول يولد الرجفة؛ ومجرد فكرة حول المجهول تولد إحساساً بالقلق.

جميع الناس يقسمون إلى نوعين. قسم يريد أن يعيش في أمان... إنهم يختارون الموت، وهم بحاجة لقبر مريح. وقسم يريد أن يعيش. وهم يختارون المخاطرة، لأن الحياة الحقيقية تسير مع المخاطرة يداً بيد. هل صعدت يوماً إلى قمة جبل؟ كلما علا الصعود، كلما شعرت نفسك أكثر شباباً وحيوية. وكلما زاد خطر السقوط، وكلما كبر عمق الهاوية، كلما زاد حدة الإحساس بالحياة... عندما توازن بين الحياة والموت، يختفي الملل،

فلم يعد لغبار الماضي وجود، ولا وجود للسعي نحو المستقبل: اللحظة الحاضرة تصبح حادة كالشفرة. وهذا يكفي، أنت تعيش هنا والآن... وماذا بشأن السيرفينغ؟ والتزلج في الجبال؟ كلما زاد الخطر على الحياة، كلما زادت المتعة، لأن الإحساس بالخطر يمنح شعوراً لا يوصف بفرح الحياة. هذا هو سبب جاذبية الرياضات الغريبة والخطيرة.

الناس يتسلقون الجبال. أحدهم سأل المتسلق هيلاري: "لماذا تتسلق الأفرست؟ ما الداعي؟" فأجاب: "لأنني أحب أن أتحدى الموت". إن هذه الرياضة خطيرة، والكثيرون وجدوا هناك موتهم. على امتداد ستين وسبعين سنة كانت مجموعات الشجعان تتوجه لقهر قمة الأفرست، وقلة عادوا من هناك. ولكن ذلك لم يرهب البعثات الجديدة. فما الذي كان يجذبهم إلى هذا الحد؟

عندما يقهر الإنسان القمم، ويبتعد عن الحياة الروتينية الرتيبة، يعود الإنسان من جديد ليصبح برياً، وجزءاً من العالم الحيواني البري. إنه يشعر وكأنه نمر أو أسد أو نهر؛ إنه ثانية كالطير، يحلق في السماء، ويعلو أكثر فأكثر. ومع كل لحظة يبتعد أكثر وأكثر عن الراحة المنزلية، والزوجة /الزوج، والأسرة، والحساب المصرفي، والمجتمع، والكنيسة، والاحترام والوقار. إنك تبقى وحدك.

هذا هو سبب الشعبية الواسعة التي تتمتع بها الرياضة. ولكن في الرياضة لا وجود لخطر حقيقي، لأنه في الرياضة يستطيع الإنسان أن يحقق مهارة عالية. ويمكن تعلم الرياضة، ويمكن التدرب بشكل جيد، فالمخاطرة فيه محسوبة جيداً، وسامحني على هذا التعبير. يمكن تعلم تقنية تسلق الجبال، ملتزماً بجميع شروط الأمان. الأمر نفسه بالنسبة لسباق السيارات. حيث يمكن أن تنطلق بسرعة مئة ميل في الساعة. هذا خطير، ومثير. ولكن يمكنك أن تصبح سائق سباق محترف، والخطر

سيتهدد الجمهور وليس السائق. كما ان احتمال مخاطرة كهذه تكون في نسبها الدنيا. والأكثر من ذلك، الحديث يدور عن الخطر الجسدي فقط، عاهة جسدية فقط.

عندما أقول إنه يجب العيش مع المخاطرة، لا أقصد المخاطرة الجسدية فقط، بل والمخاطرة النفسية كذلك، والمخاطرة الروحانية أيضاً. إن الدين هو مخاطرة روحانية. إنه يقود إلى قمم، يمكن ألا يعود منها الإنسان.

عندما أقول إن الحياة يجب أن تكون متسمة بالمخاطرة، فإنني أحذرك من نمط الحياة الرتيبة والتي تفتقر إلى الشخصية الخاصة بها، إنها حياة مليئة بالاحترام والتوقير المبتذلين: وسواء كنت عمدة مدينة أو عضو شرف في مجمع ما. هذه ليست حياة. يمكن أن تشغل منصب وزير؛ وتعمل عملاً يأتيك بمردود عالٍ وحساب مصرفي ينمو باستمرار، ويمكن أن تبدو لك الحياة رائعة. عندما تبدو الحياة رائعة، أمعن نظرك - إنك تموت، ولا شيء يحدث. يمكن للإنسان أن يستحق عند الناس احتراماً كبيراً؛ وبعد موته كثيرون سيأتون لوداعه. ليس سيئاً ولكن هنا ينتهي كل شيء، الجرائد ستنشر صوره، وتكرس له الصفحات الرئيسية، ومن ثم ينساه الجميع. فهل عاش الإنسان من أجل ذلك فقط؟

لاحظ أنه في هذه الأيام الاعتيادية الكئيبة يقضي الإنسان حياته كاملة. أن تكون روحانياً - يعني أن تفهم أنه لا يجوز منح اهتمام حقيقي لصغائر الأمور والتفاهات. وأنا لا أؤكد على أنها بلا مغزى، لها قيمة وأهمية، ولكن ليس بالقدر الذي تتصوره.

المال ضروري. إنه حاجة ضرورية. ولكن المال لا يهد هدفاً ولا يمكن أن يكون كذلك. المنزل ضروري بلا شك. إنه حاجة ضرورية. فأنا لست من الأسكيت المتقشفين، إنني ضد أن تتلفوا بيوتكم وترحلوا إلى

الهيمالايا. البيت ضروري، ولكنه ضروري لك. افهم ذلك فهماً صحيحاً. أنا أنظر إلى ما يحدث في العالم: كل شيء وُضِعاً على عقب. ويتشكل انطباع، أن الناس موجودون من أجل البيوت، وليس العكس. إنهم يعملون من أجل البيوت، ومن أجل حساباتهم المصرفية: يدخرون المال باستمرار ومن ثم يموتون. وهم لم يفهموا ما هي الحياة. فخلال حياتهم الكاملة لم يشعروا بلحظة مقلقة ومهمة وحادة واحدة. إنهم ببساطة قاموا بتقييد أنفسهم بقيود السلامة والأمان والاستقرار والوقار.

ليس غريباً أن أناساً كهؤلاء يشعرون بملل شديد. فهم يأتون إلي ويقولون، إنهم يشعرون بملل شديد. لقد سئموا من كل شيء، ملّوا من كل شيء. فما العمل؟ إنهم يفترضون بسذاجة، أن تكرارهم للمانترا، سيساعدهم على الاستمتاع بالحياة من جديد. الأمر ليس بهذه البساطة، كما يبدو لهم: سيضطرون لتغيير نمط حياتهم بالكامل.

يمكنك أن تحب، ولكن لا تأمل أن المرأة ستكون غداً عند قدميك، لا تنتظر ذلك. إذ لا يجب أن ترى في المرأة الزوجة فقط. هذا ما يسمى العيش مع المخاطرة. كذلك المرأة لا يجب أن ترى في الرجل الزوج فقط، لأن الكون زوجاً فقط أمر لا يطاق. ليبقى الزوج رجلاً، والزوجة امرأة، وليدهشك يوم الغد. لا تنتظر شيئاً وكن مستعداً لتقبل كل ما يأتيك. هذا ما أقصده بالحياة، المصحوبة بالمخاطرة.

بينما ما الذي يحدث في الحقيقة؟ عندما يقع الرجل في غرام امرأة، يتوجه مباشرة ليثبت زواجه عند القاضي أو يكلل في الكنيسة. أنا لا أقول بعدم ضرورة الزواج. إنها شكليات. حسناً، أعطِ العادات حقها، وهدئ الرأي العام. ولكن لا تعامل المرأة أبداً على أنها ملكيتك الخاصة. وأبداً، ولا حتى للحظة، لا تقل لها: "أنت ملكي". كيف يمكن لإنسان أن يكون ملكية لديك؟ فما إن تبدأ بامتلاك المرأة، حتى تبدأ هي أيضاً بامتلاكك. عندها

لم يعد للحب من وجود بينكما. فأنتما ببساطة تقضيان وتشلان وتقتلان بعضكما بعضاً. يمكنك أن تحب، ولكن لا تذل الحب في الزواج. اعمل، فالعمل ضروري، ولكن لا تسمح بأن تتلخص حياتك كلها في العمل فقط. الحياة يجب أن تبقى لعباً؛ واللعب يجب أن يصبح مركزاً لحياتك بكاملها. العمل يجب أن يصبح مقدمة للعب. اعمل في المكتب، وفي الشركة أو في محل تجاري فقط لكي تمتلك الوقت والإمكانية لتلعب. لا تسمح بأن تخضع حياتك لنظامك العملي، لأن هدف الحياة اللعب.

اللعب - يعني أن تفعل شيئاً لأجل فعله فقط.

يأتي إلي الناس ليتأملوا، ولكنهم حتى إلى التأمل ينظرون نظرة العمل. الناس يفترضون بسذاجة، أنه لإدراك الرب، يجب فعل شيء ما. هذا هراء. التأمل لا يجرى بهذه الطريقة. يجب أن تلعب، ويجب أن تنظر إلى التأمل على أنه لعب. لا يجوز التعامل مع التأمل بجدية، بل يجب الاستمتاع به. التأمل يعطي نتائجه فقط عند الاستمتاع به. فإذا كنت تنظر إلى التأمل على أنه عمل، وكواجب ضروري - فعليك أن تتأمل. عليك أن تصل إلى مرحلة الموكشا، والنيرفانا، والتحرر، - إنك تعود مجدداً لاصطحاب طبقاتك غير العقلانية إلى عالم اللعب.

التأمل لعب، استمتع باللعب.

إذا استمتعت بالحياة ببساطة، فإن إحساسك بالحياة سيصبح أكثر حدة. نعم، إن حياتك ستمتلئ دوماً بالمخاطرة. ولكن هكذا يجب أن تكون الحياة. فالمخاطرة جزء من الحياة. المخاطرة هو الجزء الجدير من الحياة. المخاطرة - هو أفضل وأروع جزء من الحياة. كل لحظة من الحياة فيها مخاطرة؛ يمكنك ألا تعرف ذلك. المخاطرة في كل شهيق وزفير. دائماً للمخاطرة حضور. حتى عندما تطلق الزفير لا تعرف أبداً إن كنت ستأخذ شهيقاً بعده. فلا ضمان لذلك.

بالنسبة لبعض الناس، الدين بالكامل هو ضمان للسلامة. وحتى عندما يتحدثون عن الرب، يتحدثون عنه بصفته الأمان الأعظم. وإذا فكروا بالرب، ففقط بسبب الخوف. وإذا ذهبوا للصلاة أو التأمل، ففعلوا ذلك فقط ليسجلوا على حسابهم زيارة أخرى للكنيسة. "إذا كان الرب موجوداً، سيعرف أنني زرت الكنيسة بصورة دورية، وصليت دورياً. يمكنني الاعتماد على ذلك". وحتى الصلاة يحولونها لوسيلة لتحقيق الهدف.

العيش في مخاطرة - يعني أن تعيش كل لحظة من لحظات حياتك وكأنه الأخير. فكل لحظة تمتلك قيمتها الفريدة. ليس عليك أن تخاف من أي شيء. فأنت تعرف، أن الموت يمكن أن يأتي في أي لحظة، وأنت تدرك ذلك ولا تختبئ من الموت. بل على العكس، تسير لملاقاته، منتظراً المتعة الجسدية والنفسية والروحية. الحصول على المتعة من الاتصال المباشر مع الموت، عندما يصبح الموت شبه واقع - هذا ما أسميه حياة تمتلئ مخاطرة.

الحب يضعك أمام وجه الموت. والتأمل يضعك أمام وجه الموت. واللقاء مع المعلم يحضر للقاء مع الموت. وعند تواصلك مع المتنور، يمكنك أن تقع في هاوية، لا رجعة منها.

الإنسان الشجاع لا يحيد عن الطريق. إنه يبحث عن الحالات غير الاعتيادية. وبقناعته الداخلية هو ليس عميلاً في مؤسسة تأمين. إنه متسلق جبال، ومتزلج بالإسكي في الجبال ورياضي السيرفينغ. إنه ينزلق على سطح الماء ليس في البحار والمحيطات فقط، بل وفوق أمواج وعيه. إنه لا يصعد فقط إلى قمم الألب والهيمالايا؛ إنه يقهر قمماً داخلية.

احفظ قاعدة واحدة: أبداً لا ترفض المجازفة، أبداً. كن دائماً مستعداً لقبول تحدي القدر لك. وعندما تسنح لك الفرصة بالمخاطرة، لا تفوتها، ولن تخسر أبداً. إن المخاطرة هي الضمان الوحيد للحياة اللائقة.

المبدع "الخلاّق"

معروف جيداً أنه في الماضي كان جميع الرسامين المشهورين يعيشون حياة بوهمية. هل يمكنك أن تقول شيئاً عن الإبداع والانضباط؟

الحياة البوهمية فقط تستحق أن تسمى حياة! حياة البقية تشبه الفناء؛ إنها ليست حياة مليئة بالشغف والطاقة، بل انتحار بطيء. في الماضي كان الرسام عاجزاً عن عيش حياة ثائر، لأن الإبداع - هو ثورة عظيمة في الحياة. الخلق ممكن فقط عند التخلص من جميع الشروط والأعراف؛ وإلا فإن الإبداع يتحول إلى تقليد، وتقليد أعمى. يستحيل ممارسة الإبداع، إذا بقيت حاملاً لنفسية الحشد؛ الإنسان المتفرد هو وحده القادر على الإبداع الحقيقي. إن علم نفس الجمهور يخلو من البداية الخلاّقة؛ إنه يولّد الجهل وقلة الثقافة والحياة الخاملة ورجال الوسط. إنه لا يعرف الرقص والغناء والفرح، إنه آلي.

ولا شك في أن الإنسان الخاضع للشروط يستطيع أن يحصل على التقدير والاعتراف في مجتمعه. ويستطيع أن ينال الشهرة والاحترام. ستمنحه الجامعة درجة بروفيسور، وستمنحه الحكومة ميدالية ذهبية؛ وفي نهاية المطاف يمكنه أن يصبح حائزاً على جائزة نوبل. ولكن كل ذلك بشع.

الموهبة الحقيقية سترفض كل هذا الهراء، لأنه رشوة. إن مكافأة الإنسان بجائزة نوبل تعني أن السلطة الحاكمة تقدر جهوده ووفاءه، وعبوديته المطيعة لها، ورفضه للفردية وسيره عبر مسار مطروق جيداً.

الخلاّق المبدع لا يمكن أن يسير على طريق مطروقة من قبل كثيرين. فهو يبحث عن مساره الخاص. إنه وحيداً يتجول في غابات حياتنا الموحشة، واضعاً نفسه خارج المجتمع، وخارج العقل الجمعي. إن العقل الجمعي - هو أكثر العقول بدائية في العالم؛ وحتى ما ندعوهم بالمجانين يفوق مستوى عقل ممثلي البلاهة الجمعية. ولكن المجتمع لديه أذرعه الفعالة، وأساليب الرشوة: إنه يرشو بالاحترام والشهرة، كل من سعى لإثبات طهارة وصواب العقل الجمعي.

في الماضي كان الناس من مختلف التوجهات المبدعة - من رسامين وراقصين وموسيقيين وشعراء ونحاتين، يعتبرون أن التخلي عن التمتع بالاحترام والوقار هو شرط في غاية الأهمية. وكانوا مضطرين ليعيشوا حياة بوهمية كلها ترحال؛ بهذه الطريقة فقط كان يمكن ممارسة الإبداع. في المستقبل لن يكون ذلك ضرورياً. أنا مقتنع أنه في المستقبل كل شخص سيصبح متفرداً، وضرورة الحياة البوهمية ستتلاشى. الحياة البوهمية هي مُنتَج فاسد للحياة الأرثوذكسية (مستقيمة الرأي) المليئة بالشروط والوقورة.

مهمتي هي تدمير العقل الجمعي والكشف عن فردية كل إنسان. عندها لن يكون للمشكلات وجود، ويصبح بمقدورك العيش كما تريد. في الحقيقة، البشرية ستولد ولادة حقيقية فقط عندما ستستحق الروح الثورية لكل إنسان الاحترام. البشرية لم تولد بعد، إنها ما زالت في الرحم. وما تظن أنه بشرية، ليس إلا خداعاً. وسيستمر الوضع على هذا الحال إلى أن يحصل كل فرد على الحرية، الحرية المطلقة ليكون كما يريد ويظهر حقيقته، ويظهر فرادته... وطبعاً، الحرية الشخصية تفترض عدم التدخل في أمور الآخرين. فحياة الإنسان لا تُنتَهك.

في الماضي كان كل شخص يتدخل في أمور غيره، وحتى في النواحي الحميمة الشخصية، التي ليس لها أي علاقة بالحياة الاجتماعية. فمثلاً، أحدهم

أحب فتاة. فهل للمجتمع أي علاقة بذلك؟ إنه أمر شخصي، ولا يجب أن يكون في متناول الرأي العام. وإذا اعترف اثنان بالحب لبعضهما بعضاً، فعلى المجتمع ألا يتدخل في ذلك. ومع ذلك فإن المجتمع يشارك في ذلك مشاركة فعالة بشكل مباشر أو غير مباشر. فالشرطي سيقف بين الحبيبين، والقاضي سيقف بينهما؛ وفي كان هذا الأم غير كاف، فقد خلق المجتمع صورة للشرطي الخارق، والتي نسبها للرب، الذي سيهتم بك.

لقد شوه المجتمع صورة الرب جاعلاً إياه مشابهاً للجاسوس، الذي لا يتركك في حالك حتى وأنت في غرفة الاستحمام، مراقباً كل خطوة من خطواتك. إنها صورة قبيحة وغير لائقة. جميع الديانات تؤكد على أن الرب يراقب كل شخص مراقبة مستمرة، وهذه صورة غير مقبولة. فأي رب هذا؟ أيعقل أنه ليس لديه أمور أهم، إنها صورة المحقق البوليسي الخارق.!

البشرية بحاجة لفكرة جديدة، فكرة الحرية. فقد كانت البوهمية رد فعل، ضروري، وإذا كان توقعي صحيحاً، فإنه البوهمية لن تعود ضرورية في المستقبل، لأنه لن يعود للعقل الجمعي وجود، هذا العقل الذي هيمن على الناس. عندها سيشعر كل إنسان بأنه على طبيعته غير متكلف. فلاشك في عدم جواز التدخل في أمور الآخرين، أما فيما يتعلق بالحياة الخاصة، فالإنسان سيعيش كما يريد. عندها فقط سيأتي الإبداع. إن الإبداع هو عطر الحرية الشخصية.

تسألني: "هل يمكنك أن تقول شيئاً عن الإبداع والانضباط؟"

الانضباط كلمة رائعة، ولكن ككلمات رائعة أخرى، أخطأ الناس في استخدامها. فالكلمة تنشأ من الجذر نفسه لكلمة تلميذ disciple، فتعني سير عملية التعلُّم. فالذي يكون مستعداً للتعلم، يدعى تلميذاً، أما سير عملية التعليم فتدعى انضباطاً.

الإنسان العارف لن يتوجه للتعلم أبداً، لأنه يظن أنه يعرف كل شيء؛ إنه يعتمد اعتماداً زائداً على ما يدعى بالمعرفة. إن معرفته ليست إلا تغذية إضافية للأنا الخاص به. إنه عاجز عن الكون تلميذاً؛ ولا يستطيع أن يستغرق في التعلم.

سقراط قال: "كل ما أعرفه، هو أنني لا أعرف شيئاً". هذه هي بداية الإدراك. فإذا كان الإنسان لا يعرف، فإنه يظهر لديه سعي طبيعي للإدراك، والبحث، والاكتشاف. وما إن يبدأ سير عملية التعلم، يتم التفعيل الحتمي للقاعدة التالية: من الضروري باستمرار نسيان ما حفظته سابقاً، والا يصبح معرفة، والمعرفة تمنع التقدم اللاحق للتعلم.

التلميذ الحقيقي لا يراكم المعرفة؛ ففي كل لحظة ينسى فيها كل ما تعلمه، ليصبح غير عليم وغير مطلع. إن هذا الجهل مليء بالنور. أن تتواجد في حالة عدم المعرفة المنيرة - هو الشعور الأروع في الحياة. في حالة عدم المعرفة ينفتح الإنسان. لا وجود للحواجز بالنسبة له؛ إنه مستعد للبحث. الهندوس لم يعودوا قادرين على ذلك؛ فهم يعرفون كل شيء، كذلك لم يعد المسلمون والمسيحيون قادرين على ذلك.

كلمة "انضباط" تم تفسيرها تفسيراً خاطئاً. لقد جرى تعليم الناس تنظيم حياتهم بحيث تكون منضبطة: هذا ممكن وهذا لا. وتمت إحاطة الإنسان بآلاف من الموانع، فصار شخص كهذا مغلقاً بالنسبة للإبداع. إنه أسير؛ تحيط به من جميع الجهات جدران السجن.

الإنسان المبدع يرمي جانباً جميع الموانع والرُخص. إنه بحاجة للحرية والفضاء الحر، إنه بحاجة للسماء بكاملها ولجميع النجوم، فقط في هذه الحالة يمكن أن تظهر العفوية الداخلية.

وتذكر: إن مفهومي للانضباط ليس له أي علاقة بالوصايا العشر، فأنا لا أدعو إلى أي نوع من أنواع الانضباط؛ أنا أشرح فقط، كيف من الضروري أن يكون التعلم، وأكشف عن خطر المعرفة. الانضباط يجب أن ينبع من القلب نفسه، ويجب أن يكون الانضباط خاصاً بك، وهذا فرق كبير. فالإنسان دائماً يرفض الانضباط المفروض عليه، هذا الأمر شبيه بارتداء ملابس الغير. فهي ستكون إما ضيقة أو واسعة، من هنا ينبع الشعور الدائم بعدم الارتياح.

كل داعية كان يدعو أتباعه إلى الانضباط المتسم بقواعد محددة، ربما كانت هذه القواعد سهلة التطبيق بالنسبة للداعي ومناسبة له، ولكنها ليست مقبولة عند الجميع وليس بمقدور الجميع تطبيقها. إن الانضباط مفهوم فردي؛ فعند خضوع الإنسان لأوامر شخص آخر، يبدأ هذا الإنسان بالعيش حسب القوانين العامة الميتة والجامدة. ولكن الحياة لا تكون جامدة؛ إنها تتغير في كل لحظة. إن الحياة جريان مستمر.

كان هيراقليط محقاً عندما قال: لا يمكن دخول النهر نفسه مرتين، وكنت لأقول: لا يمكن دخول النهر نفسه مرة واحدة، لأن النهر سريع الجريان! يجب أن تكون متنبهاً يقظاً، تدرك كل وضع، وكل لاختلافات البسيطة. على الإنسان أن يتفاعل مع الوضع بالتناسب مع الظروف، لا أن يعيش بعقل شخص آخر.

أليست واضحة حماقة البشرية؟ فمنذ خمسة آلاف عام نقل مانو تعاليمه إلى الهندوس، وما زالوا حتى اليوم يتبعون هذه التعاليم. منذ ثلاثة آلاف عام نقل موسى تعاليمه لليهود وما زالوا يتبعونها حتى اليوم. منذ خمسة آلاف عام نقل آديناتا تعاليمه للدجاين، وما زالوا يسترشدون بها حتى اليوم. إن هذه التعاليم تجعل العالم بكامله مجنوناً! لقد صارت

قديمة، وآن أوان دفنها منذ زمن بعيد. إنها كالجثث المتفسخة، فأي حياة يمكن أن تكون وسط الجثث؟

إنني أعلم الجميع العيش في الحاضر، والتمتع بحرية اللحظة الراهنة وتحمل المسؤولية. فالحقيقة يمكن أن تصبح كذبة فجأة، وبالعكس. لا تحاول أن تعاند، وإلا يمكن أن تتحول إلى جثة. فالأموات فقط يعاندون.

كن حياً، وتقبل الحياة بجميع تناقضاتها، عش، ولا تفكر بالماضي ولا تكن مهموماً بالمستقبل. عش اللحظة الراهنة، وستكون حياتك متكاملة. وفي هذا التكامل يكمن جمال الإبداع. عندها يصبح كل ما تفعله رائعاً.

العجوز

احكِ لي من فضلك عن الشيخوخة.

الإنسان إما أن يهرم، أو أن يكبر. إن الذي يهرم فقط، فذلك لا يعيش. إنه يقضي الوقت، ولكنه لا يعيش فكامل حياته ـ ليست إلا كبتاً وقمعاً. بينما أعلمك أنا أن لا تهرم. وهذا لا يعني، أنك لن تصبح عجوزاً؛ إنني فقط أقدم لك بعداً زمنياً جديداً: لا تهرم، بل انمُ. طبعاً ستدخل سن الشيخوخة، ولكن هذا الأمر سيتعلق بجسدك فقط. أما وعيك، وأنت شخصياً فلن تهرم؛ بل ستنمو فقط، وتمر بمراحل النضج.

لقد ارتكب ممثلو الديانات على تنوعها جرائم فظيعة بحق الإنسانية، لا يمكن مسامحتهم عليها. فهم لم يعلموا الناس كيف يعيشون، بل علموهم كيف لا يعيشون، كيف يرفضون الحياة، ويرفضون

العالم. هذا العالم، ظهر من خلال شروحهم للدين، عقاباً للإنسان. وأن الإنسان يقبع في سجن. ولا مخرج منه سوى الهرب سريعاً من هذه الحياة. ولكن الوضع لا يجب أن يكون على هذا النحو.

الحياة ليست عقاباً. الحياة قيمة، لدرجة أنها لا يمكن أن تكون عقاباً، إنها مكافأة. وعلينا أن نشكر الحياة لأننا اختارتنا، لتتجسد من خلالنا: لتتنفس وتحب وتغني وترقص.

عندما يمر الإنسان عبر مراحل النضج والفهم، فإنه لن يهرم أبداً؛ سيبقى شاباً أبداً. كل من يتعلم باستمرار. إن التعلم هو ضمان الشباب. إن الإنسان الذي ليس عليه أن يقمع شيئاً يبقى شاباً أبداً. فبكونه عديم الوزن غير منجذب إلى شيء، يشعر بأنه طفل، زائر جديد في هذه الأرض الرائعة.

كلما زاد رفض الإنسان للحياة، كلما زاد هوسه بها. حتى يومنا هذا لم نسمح للإنسان بالعيش بدون أفكار ثابتة. جميع الطوائف الدينية وجميع الحكومات غاضبة علي لسبب واحد وهو: أنني أصوت لكم، ولحريتكم ولحياتكم، الحرة من الخرافات والآراء الباطلة، ومن أجل الحياة، التي تشبه النبع الصافي المرح، الذي يحول الحياة إلى جنة.

نحن لا نبحث عن الجنة في السماوات. فإذا كانت الجنة موجودة هناك، فإننا سنجدها حتماً. ولكن قبل ذلك علينا أن نصنع جنة هنا، على الأرض: ليكن ذلك مرحلة استعدادية من جانبنا. فإذا استطعنا العيش في الجنة على الأرض، فسيكون سهلاً علينا العيش في أي جنة أخرى، أينما وجدت؛ ولم يعد يحق لأحد أن يدعي أحقيته للجنة - على الأقل هؤلاء القساوسة والرهبان والراهبات. جميع هؤلاء يستحقون الجحيم، لأنهم في الظاهر عكس ما هم في الباطن. اسع دائماً أن تكون طبيعياً. ضحِّ بكل شيء في سبيل أن تكون على طبيعتك، ولن تخطئ في ذلك أبداً.

من أين أتى تعبير "العجوز القذر"؟ أنا أهرم، ويبدو لي أن الناس يبدؤون بالتفكير فيا بنفس الطريقة.

هذا التعبير يعيش، بسبب سيادة مجتمع الكبت لقرون؛ وبسبب وجود القديسين، ورجال الكنيسة، والبوريتانيين.

إذا سمح للناس بعيش حياة تمتاز بالحرية الجنسية، فإنه مع بلوغ الإنسان سن الثانية والأربعين - أكرر - الثانية والأربعين، وليس الرابعة والأربعين - مع الاقتراب من عمر الثانية والأربعين، لن يشغل الجنس عقولهم إلى هذا الحد. فمثلما يبدأ الميل الجنسي باكتساب قوته في سن الرابعة عشر، يبدأ كذلك بدخول مرحلة الهدوء في سن الثانية والأربعين. وهذا أمر طبيعي تماماً. وعندما تهدأ الأهواء، يبقى للعجوز المحبة، والرحمة والرأفة، ولكن هذه المحبة والرحمة من نوع مختلف تماماً. ففي محبته لم تعد تحضر الشهوات، وهو لا يسعى لإثبات شيء ما في الحب. إن حبه نقي وبريء، إنه حبه هو الفرح.

الجنس يأتي بالمتعة. الجنس يأتي بالمتعة فقط عندما تستغرق فيه بالكامل؛ عندها تكون المتعة هي النتيجة النهائية. وها هو الجنس يصبح ثانوياً في حياة الإنسان - حيث لا يتم كبته أو قمعه، بل لقد تأثر به الإنسان واكتشف جميع أسراره وأعماقه، بحيث لم يعد يشكل أي أهمية... لقد عرفته، والمعرفة دائماً تجلب معها التحرر. لقد أدركت الجنس كاملاً، وبفضل ذلك اختفى الغموض المحيط به - ولم يعد هناك شيء لتكتشفه. فتحول كامل طاقتك الجنسية إلى محبة ورحمة. وعندها ترغب التقاسم بهما مع الآخرين. وعندها يصبح الرجل العجوز أروع وأنقى إنسان على وجه الأرض.

إن تعبير "العجوز النقي" غير موجود في أي لغة. على الأقل أنا لم أصادفه. أما تعبير "العجوز القذر" فموجود في جميع اللغات. المسألة بكاملها تتلخص في : أن الجسد هرم، والجسد تعب، ويريد التخلص من الميول الجنسية، في حين أن العقل لا يستطيع أن يهدأ بسبب الرغبات المكبوتة والمقموعة. فإذا كان الجسد لم يعد قادراً، بينما العقل دائم السعي إلى الجنس، فإن العجوز فعلاً يقع في وضع حرج. فعيناه تملآن رغبة جنسية وشهوة؛ والجسد لا يطيعه، فهو خامل وضعيف. والعقل يستمر بحثه. فتظهر في عينيه نظرة قذرة، وتعبير وجه قذر؛ ويتولد في داخله شيء كريه.

سمعت قصة الزوج، الذي تنصت إلى حديث زوجته وأختها حول سفراته المتكررة الخاصة بالعمل. الأخت كانت دائماً تتحدث عن ضرورة أن تكون الزوجة حذرة ويقظة، لأن زوجها يشارك في المؤتمرات، التي تعقد في الفنادق السياحية الفاخرة، حيث تكثر نساء الأعمال، الجميلات وغير المرتبطات.

- أن أكون يقظة؟ - استغربت الزوجة - إنه لا يكذب علي أبداً. إنه وفي جداً، ومستقيم جداً، و.... عجوز جداً.

عاجلاً أم آجلاً يهرم الجسد، ويجب عليه ان يهرم. فإذا كنت تقمع رغباتك، فإنها لن تطلق سراحك، وستولد فيك أرذل المساعي. يمكن للعجوز أن يصبح أكثر الناس روعة على وجه الأرض، بريئاً كالطفل. وبإمكانه أن يصبح أكثر براءة، بحيث يصبح حكيماً. ولكن إذا كانت الرغبات الخفية الشبيهة بالتيار تحت الماء، لا تركه في حله، فإنه محكوم عليه بالمعاناة.

اعتقل رجل عجوز بتهمة الاعتداء على امرأة شابة. وعندما رأى القاضي في المحكمة العجوز في الثمانين من العمر، قرر تغيير درجة الذنب فاستبدل محاولة الاغتصاب بالاعتداء بسلاح فارغ.

تذكر إن الهرم هو بلوغ أوج الحياة. ويمكن للهرم أن يكون رائعاً، لأن الطفل يضع أمله في المستقبل، فهو يعيش على المستقبل. ويهمه كل شيء. وكل طفل يظن أنه سيكبر ليصبح شخصية عظيمة: الاسكندر المقدوني، يوسف ستالين، ماو زيدون. إنه يعيش على آماله بالمستقبل. والإنسان في سن الشباب يقع تحت سيطرة الغرائز، التي تتفجر في داخله؛ فهو يتبع بشدة الجنس - هذه القوة الطبيعية الجبارة - لدرجة لا تسمح له بأن يكون حراً. إنه مليء بالكبرياء وعزة النفس: والوقت يمر سريعاً، وعليه أن يفعل الكثير، ويحتل مكانه في المجتمع. جميع الآمال، والرغبات وأحلام الطفولة تنتظر تحقيقها بأسرع ما يمكن. إنه على عجلة من أمره.

أما العجوز فإنه يعرف أن أمنياته الطفولية كانت فعلاً طفولية. وهو يعرف أن الشباب والقلق الذي يسببه قد ولى. ويبدو له، وكأنه بعد عاصفة شديدة حل هدوء تام. هذا الهدوء يمكن أن يكون بجمال لا يوصف، وعمق، وغنى. فإذا كان العجوز ناضجاً فعلاً - وهي حالة نادرة جداً، - فإنه سيكون رائعاً. ولكن المشكلة في أن الناس يهرمون ولا ينمون. أن تنمو لتنضج وتدرك. إن الهرم هو فرصتك الأخيرة: واستعد للموت. وكيف يتم الاستعداد للموت؟ عليك أن تكثر من التأمل.

لا تقلق، إذا كان جسدك عاجزاً عن إرضاء رغباتك الخفية. اشعر، راقب، أدرك هذه الرغبات. فمن خلال المراقبة، والشعور، والإدراك، يمكنون من صعيدهم إلى طاقة. لقد بقي لديك القليل من الوقت. تحرر من جميع الرغبات.

عندما أتحدث عن التحرر من جميع الرغبات، أقصد غياب الرغبة في الحصول لعلى أس شيء. وعندها تبقى الرغبة النقية، التي تمتاز بالقوة

الربانية، لأنها جزء من الرب. وعندها يظهر الإبداع بدون موضوع، وبدون عنوان، وبدون اتجاه، وبدون تخصيص - إنما طاقة نقية، بحر من الطاقة التي لا تجري إلى أي مكان. هذه هي حالة بوذا.

المعلم

في الغرب كلمتا "الحرية" و"المعلم" عملياً تلغيان بعضهما بعضاً. والذين التقوا بك، يعتبرون الأمر غير صحيح. هل يمكنك أن تقدم تفسيراً آخر لمفهومي "الحرية" و"المعلم" بالنسبة للمفهوم الغربي؟

إن العالم الغربي لم يدخل بعد في اتصال مع ذلك الواقع المدهش، الذي يظهر عند لقاء المعلم والتلميذ. بالطبع، إنه ليس واضحاً للعيان. إن هذا الواقع شبيه بالمحبة، ولكنه أكبر منها بكثير، وأعمق وأكثر غموضاً.

الغرب يعرف القديسين وأتباعهم. والقديسين يطالبون بتقديسهم، والإيمان بهم. وما إن يبدأ الإنسان بالإيمان، حتى يموت؛ وتنمحي كامل فرديته. ويصبح أي أحد: مسيحي، يهودي، ولكن ليس ذاته. ظاهرة المعلم والتلميذ ظهرت في العصر الذهبي، الذي تميز بحضور أناس مثل لاو تزي، وزرادشت، وغواتاما بوذا. لقد خلقوا نوعاً جديداً تماماً من العلاقات.

ليس كل إنسان يمكنه أن يبدع مثل بيكاسو، وليس كل إنسان مكتوب له أن يكون مايكل آنجيلو. الغرب فقد الكثير بلا غواتاما بوذا. والمسيح لا مجال لمقارنته ببوذا. فالمسيح كان يهودياً فحسب، مؤمناً بجميع العقائد اليهودية الجامدة. لقد كان مؤمناً، ومؤمناً بإفراط.

أما غواتاما بوذا فقد كان ثائراً، ولم يكن تابعاً لأحد. كذلك لم يكن لاو سزي تابعاً. ولم يتركا من بعدهما أي كتابات، وأي أنظمة دينية. لقد كانا باحثان وحيدان، يخاطران لوحدهما، لأنهما كانا يمشيان بعيداً عن الحشد، عبر دروب موحشة. ولم يكونا يعرفان، إلى أين سيقودهما في نهاية المطاف هذه الرحلة، ولكنهما كانا يثقان بقلبيهما، متقبلين التغييرات الإيجابية التي كانت تحدث لهما كإشارات في طريقيهما: كان ينمو مستوى السكينة الداخلية، والمحبة كانت تزداد قوة، وظهر طعم جديد في الحياة، وتخلصت عيونهم من الغشاوة الغبارية للماضي. ونزل عليهم وضوح مدهش وشفافية... فعرفا بثقة أنهما على الطريق الصحيح.

الدليل أو المرافق لا وجود له، فلن تصادف أحداً في طريقك، ليدلك على الاتجاه الصحيح. إنه تحليق من الوحدة إلى الوحدة. عندما يدرك الإنسان الحقيقة لوحده، فإنه بلا شك يفهم، أنه لا داعي للدين المنظم، ولا للقسيس، ولا للدليل - فهذا كله ليس إلا عائقاً؛ لأنهم لن يسمحوا للإنسان بالعثور على الحقيقة. الباحث الذي أدرك الحقيقة، يصبح معلماً. والفرق بين التلميذ والتابع دقيق جداً، ويجب توضيحه. التلميذ ليس تابعاً؛ التلميذ يحب معلمه. فلا أحد يدعو الأحبة بالتابعين. فشيء ما تحرك في داخله في وجود شخص ما. والمسألة ليست في وجوب إقناعه بأفكار ما. إنها ليست قناعة، وليست محادثة، إنه تحول. في لحظة لقاء الباحث مع المدرس للحقيقة يحدث تأثر متبادل. إنهما ينظران في عيني بعضهما بعضاً في صمت تام، والشيء الذي لم يحلما به أبداً، يصبح فجأة واقعاً عظيماً.

هذا ليس إيماناً، لأنه على الإيمان تقوم جميع الفلسفات والعقائد. هذا ليس إيماناً، لأن الإيمان يغذي الخيال، الذي يعجز الجميع عن إثباته أو برهنته؛ إنه الثقة. فالعلاقات بين المعلم والتلميذ تبنى على

الثقة. إن الثقة هي الازدهار الأعظم للمحبة. كيف يمكن للحب أن يستعبد؟ فحقيقة أن المحبة توحد المعلم والتلميذ، تشهد على أن المعلم سيفعل كل ما بمقدوره، ليؤمن الحرية للتلميذ؛ وإلا فإنه سيخون المحبة. أما المعلم الحقيقي، فلا يستطيع خيانة المحبة.

المحبة هي الواقع الأعظم. والمعلم يجب أن يعبر عنها من خلال أفعاله، وكلماته، وعلاقاته، وفي صمته. ومهما كان ما يفعله، يجب أن ينقل شيئاً واحداً فقط ـ المحبة. إذا كان الإنسان يسير متعباً في الظلام، وإذا جاءه تلميذ... القسيس فقط يمكن أن يستغل أحداً ما، والسياسي فقط يمكن أن يستغل أحداً ما. إنهما بحاجة لأتباع ـ كلاهما يحتاج لأتباع القسيس والسياسي. إنهما يجتمعان في أمر واحد؛ كلاهما بحاجة لأتباع؛ في هذه الحالة فقط يمكنهما أن يصبحا أحداً ما. لقد اتفقا حول إعادة تقسيم المساحات: حيث أخذ السياسي العالم المادي، وأخذ القسيس العالم الروحي. هذان الاثنان استعبدا العالم بأسره. لقد قضيا على حرية كل فرد فينا.

الأهمية الكبيرة التي تمتاز بها تعاليم عدد من المعلمين، الذين لم يتحرروا لوحدهم، بل حرروا أيضاً كل من أحبهم. ولا يمكن للأمر أن يكون غير ذلك: فإذا كنت أحبك، فكيف يمكنني أن أستعبدك؟ وإذا كنت تحبني، فإنني سأفرح لحريتك. سأكون سعيداً برؤيتك، وأنت تفرد جناحيك، وتحلق في السماء باتجاه المجهول، والبعيد، والغامض. وسأتحسر إذا وقعت في شباك عقيدة جامدة، أو إيمان، أو عبادة، أو دين، أو فلسفة. كل ذلك تسميات مختلفة للأغلال، التي صنعها أناس عديدون، ولكنهم يسعون للهدف نفسه.

الغرب لا يعرف المعلمين... إنه يعرف البابوات، والأنبياء، والمنقذين، والقديسين. الغرب لا يعرف بوجود بعد آخر، فاته، وهو البعد الأثمن،

وبسبب هذا التفويت تولد سوء فهم كبير. هذا الأمر يحصل... فالجميع يعرفون أماثيل إيزوب.

الثعلب يحاول جاهداً أن يلتقط العنب الحلو الناضج الذي ينمو فوق رأسه. ولكنه يعجز عن الوصول إليه. وبعد أن غطاه العرق وأرهق نفسه من كثرة المحاولات، أخذ الثعلب يتلفت حوله، ليعرف إن كان هناك من أحد يراقبه.

كان يراقبه أرنب صغير مختبئ في الحشائش. خاف الثعلب أن ينشر الأرنب الخبر في الغابة، فغادر الكرم. ركض الأرنب خلفه وسأله: "ماذا حدث؟ لماذا لم تستطع أن تقطف العنب؟"

غضب الثعلب بشدة: "لقد شككت، ما إن رأيتك، أنك ستنشر اللقلقة في الغابة. لقد تبين لي أن العنب حامض. وإذا سمعت أن أحداً ما في الغابة يتحدث عن العنب، فإنني سأقتلك، لأنك الشاهد الوحيد".

هذه أمثولة صغيرة، ولكن مغزاها هائل: فالإنسان يدين كل ما يعجز عن الحصول عليه: العنب فجأة صار حامضاً.

تسألني: " في الغرب كلمتا "الحرية" و"المعلم" عملياً تلغيان بعضهما بعضاً. والذين التقوا بك، يعتبرون الأمر غير صحيح. هل يمكنك أن تقدم تفسيراً آخر لمفهومي "الحرية" و"المعلم" بالنسبة للمفهوم الغربي؟"

ينشا سوء الفهم من كلمة "master" المعلم، السيد، الحرفي. حيث يتشكل انطباع، بأنك تصبح عبداً، وشخص ما يصبح سيداً لك. في الشرق تستخدم هذه الكلمة بمعنى أنك سيد نفسك، وأنك لم تعد عبداً، وأنك

أصبحت حراً. فتنوع اللغات، التي يتحدث بها الناس في مختلف الأقاليم، واختلاف الخبرات - كل ذلك خلق أنواعاً من اللغط وسوء الفهم.

التفكير الغربي لم يسع يوماً لجعل الإنسان سيد نفسه. إنما كان دائماً يوجه الإنسان نحو السعي إلى السيادة على الآخرين وقيادتهم، وإخضاع الآخرين للذات. وليس من السهل ترجمة بعض المفاهيم الشرقية إلى لغات غربية. ولا يقل صعوبة ترجمة مصطلحات فيزياء الكم إلى اللغات الشرقية؛ يصعب العثور على الكلمة المناسبة، لأنه في البدء يظهر في الحياة ظاهرة ما أو غرض، ومن ثم يجد انعكاساً له في اللغة. فالوجود لحدد اللغة. وخلال الترجمة لا يمكن تجنب الحوادث. كلمة "المعلم" في الشرق تعني الشخص الذي يعيش في انسجام وادراك. فما الذي يمكن أن يعلمنا الاحتكاك القريب مع شخص كهذا؟ يمكن تعلم شيء واحد فقط - العيش بحرية، وادراك، حياة كاملة القيمة، وجديرة.

أما كلمة "التلميذ" فكان نصيبها من الحظ أوفر فلها المعنى نفسه. فالتلميذ هو الذي يحاول حفظ معلومة ما. وجذر الكلمة واحد مع كلمة انضباط، ويعني "إعداد الذات للدراسة والفهم". وهي مناسبة تماماً، ويمكن استخدامها. أما فيما يتعلق بكلمة "المعلم"... فالتلميذ أحب معلمه ورغب بإدراك الحرية ذاتها التي يتمتع بها المعلم، والعفوية ذاتها، والانسجام ذاته، وعلو الإدراك. مسألة الخضوع غير مطروحة أصلاً، ومسألة الإيمان كذلك غير مطروحة. ففي حضور المعلم، وبتأثيره يبدأ التلميذ بإدراك بعد جديد، الشيء الكامن في داخله، ولكنه لا يعرف بوجوده. المعلم لا يعطي التلاميذ شيئاً، باستثناء محبته - مع أنه من الخطأ أن نقول يقدم محبته. إنه ببساطة يشع محبة، كالشمس، التي ترسل دفأها للجميع - الأزهار، الطيور، الحيوانات؛ كل من يقترب من المعلم، سيستحم في أشعة محبته.

إذا كنت تتواجد في حالة بحث،وإذا كنت مستعداً لتتعلم، وإذا لم تلوثك المعارف بعد، ولم تمتلئ آراء باطلة وخرافات، ولا تحمل في نفسك إيماناً أعمى، وإذا لم تبع نفسك بعد لعلم لاهوتي، أو دين ما، أو عقيدة ما، فإلى جانب المعلم ستشعر بأن شيئاً ما بدأ يتغير فيك. حيث يحدث انتقال للنور. وتوصف هذه العملية في الشرق كالتالي: انتقال النور من قلب وصل إلى منبعه، إلى قلب آخر ما زال تائهاً في الظلام. فقط اقترب أكثر... تخيل شمعتين، واحدة مشتعلة، وأخرى خامدة، وعند

تقريبهما من بعضهما بعضاً، ستشتعل الشمعة الثانية أيضاً. لقد قفزت النار إليها. من الضروري الاقتراب من المعلم إلى مسافة معينة، لينتقل اللهب من قلب إلى قلب. لا احد يخضع للآخر، ولا أحد يؤمن بشيء.

ولكن سؤالك هام، لأنه حتى في الشرق ليس من السهل إيجاد معلم كهذا، الذي أصفه الآن. لقد غرق الشرق في الظلام. وولت أيام غواتاما بوذا؛ وبقيت الذكرى المشرقة، كأمل تحقق أو حلم.

في صباح أحد الأيام حضر إلى غواتاما بوذا ملك عظيم يدعى براسينجيتا. حاملاً في إحدى يديه زهرة لوتس رائعة الجمال، وفي يده الأخرى الماسة الثمينة في تلك الأيام. جاء بإلحاح من زوجته التي قالت له: "على مقربة منا يعيش غواتاما بوذا، وأنت تبذر وقتك في ثرثرة فارغة مع الحمقى". كانت تذهب لحضور لقاءات مع بوذا منذ طفولتها، ومن ثم تزوجت. لم يكن براسينجيتا راغباً في الذهاب، ولكن الزوجة أصرت فقال لنفسه: "حسناً، يمكنني الذهاب مرة واحدة، لأرى ما هو هذا الشخص". كان الملك مغروراً متكبراً؛ فأخذ من الخزنة الماسة الأغلى ثمناً كهدية لبوذا.

لم يرغب في الذهاب إلى هناك كفانٍ عادي. فالجميع يجب أن يعرفوا بذهابه... لقد أراد أن يتساءل الجميع: "من أعظم: غواتاما بوذا أم براسينجيتا؟" كانت الماسة قيمة لدرجة أن حروباً كثيرة كانت تولع بسببها.

ضحكت الزوجة، عندما سمعت مخططاته وقالت: "إنك لا تعرف أبداً، إلى من أرسلك. الأفضل أن تأخذ معك أزهاراً، لا المجوهرات". لم يفهم الملك قولها، ولكنه قال لنفسه: "حسناً، سآخذ الغرضين. لننظر أي إنسان هذا".

وعندما وصل إلى المكان، عرض الملك الماسة، التي كان يمسكها في إحدى يديه، ولكن بوذا قال: "ارم هذا!" فما كان من الملك إلا أن رمى الماسة أرضاً. وفكر في نفسه، ربما كانت زوجته محقة. في يده الأخرى كانت زهرة اللوتس، ولهذا عرض على بوذا اللوتس. ولكن بوذا قال: "ارم هذا!"

عندما رمى الملك الزهرة، شعر بخوف بسيط، وقال في نفسه: يبدو أن هذا الإنسان فقد عقله، ولكن عشرة آلاف تلميذ...". كان الملك واقفاً وفكر أنه ربما يبدو غبياً جداً. فقال بوذا للمرة الثالثة: "هل سمعتني؟ ارم هذا!" فقال براسينجيتا لنفسه: "لا شك في أنه مجنون. لقد رميت الماسة، ورميت الزهرة: لم يبق معي شيء".

في هذه اللحظة بالتحديد بدأ يضحك ساريبوتا، التلميذ العجوز عند بوذا. التفت براسينجيتا إليه وسأله: "لماذا تضحك؟"

"أنت لم تفهم شيئاً. بوذا لم يطلب منك أن ترمي الماسة، ولم يطلب منك أن ترمي الزهرة. لقد قال، أن ترمي ذاتك، أن ترمي الأنا خاصتك. يمكنك أن تلتقط الماسة، وتلتقط الزهرة، ولكن ارم الأنا".

لقد كان ذلك زمناً عظيماً. فجأة نزل التنوير على براسينجيتا. وفي خضوع تام ارتمى عند قدمي بوذا وقرر عدم

العودة إلى القصر. لقد انضم إلى القافلة التي كانت تتبع بوذا. لقد نسي مملكته، ونسي كل شيء في العالم. كان يرى فقط وجه هذا الإنسان الرائع، والغبطة الهائلة فيه، وجاذبيته الخفية، وعيناه وصمته. وكل هذا أدهشه.

إنها ليست مسألة إيمان. الحديث لا يدور حول القناعة أو إدخال شخص في دينك؛ الحديث يدور حول محبة من أرفع أنواعها.

اليوم يصعب إيجاد معلم حقيقي؛ ففي المحيط كثر الأدعياء. ولديهم سمة تجمعهم: هؤلاء الأدعياء يمكن كشفهم بسهولة ومباشرة. فما إن يطلبوا منك الإيمان بشيء ما، والالتزام بقاعدة ما، أو تقليد، وما إن يطلبوا منك الإيمان بهم، وعدم الشك بأي شيء، وعدم طرح أي أسئلة والإيمان بلا حدود ـ اعلم، أنه أمامك مارقون. فما إن تشعر بذلك اهرب من ذلك المكان بأسرع ما يمكن.

هؤلاء الأشخاص ظهروا في جميع أنحاء العالم؛ ليس فقط في الغرب ، بل وفي الشرق أيضاً. ومن النادر جداً أن تعثر على معلم حقيقي، والذي سيعلمك الكرامة، والمحبة، والحرية؛ والذي لا يسعى لاستعبادك، وتوقيع عقد معك، والذي لا يطالبك بأن تتبعه كالظل؛ المعلم الحقيقي يريد أن تبقى ذاتك. والعثور على شخص كهذا هو توفيق كبير في الحياة. فلا تفوت فرصة كهذه. في الأرجاء عدد كبير من الأدعياء والمتصنعين، أما المعلمون الحقيقيون فيعدون على الأصابع. هذا القرن يتميز بنسياننا الكامل لبعد معين، ليس فقط في الغرب. فالغرب لم يسمع به أصلاً. والشرق نسيه ببساطة. فإذا انعدم المعلمون، الذي حققوا ذواتهم بالكامل، وأدركوا الرب في دواخلهم، فإن التلاميذ السائرين في الظلام بعيون مغمضة، سيجدون صعوبة في إيجاد كرامتهم وذواتهم.

إن مهمتي - هي ليست إعداد التلاميذ - فهذه مقدمة فقط - بل مهمتي هي إعداد المعلمين، ويجب أن يكبر عددهم قدر المستطاع. فالعالم بحاجة ماسة لأشخاص حققوا درجة الإدراك، والمحبة، والحرية، والصراحة. فقط هؤلاء بمقدورهم خلق جو روحي جديد، سينقذ العالم من قوة التدمير الذاتي. إنها قوة جبارة هدامة ولكنها ليس أقوى من قوة المحبة.

بوذا زوربا

ما هو تعريفك للتمرد وللمتمرد؟

إن تعريفي للتمرد وللمتمرد بسيط جداً: فالمتمرد - هو الذي لا يعيش كالرجل الآلي، خاضعاً لخبرة الماضي. فالدين، والمجتمع، والثقافة، وكل ما يرتبط بالبارحة، عاجز عن التأثير على حياته، وعلى نمط حياته.

إنه يعيش بعقله... إنه ليس مسماراً، وليس شخصاً تافهاً؛ إنه يعيش في انسجام، وفي تكامل عضوي. لا أحد يتحكم بحياته؛ يتخذ قراراته بمفرده. حياته تمتلئ بأريج الحرية. وهو لا يعيش حراً وحد، بل يحترم كذلك حرية الآخرين. لا يسمح لأحد بالتدخل في حياته ولا يتطاول على حرية الآخرين. الحرية بالنسبة له هي القيمة الأعظم، والحياة بالنسبة له مقدسة لدرجة أنه مستعد للتضحية بكل شيء من أجلها: أي أن يضحي بالوقار والاحترام، وبالوضع الاجتماعي، وبحياته نفسها.

بالنسبة له الحرية تشابه ما كان يمثله الرب في الماضي للناس المؤمنين. إن الحرية هي ربه.

عاش الإنسان لقرون كالنعجة، كجزء من الحشد، تابعاً لعاداته، وتقاليده، ومبجلاً الكتب المقدسة القديمة وقواعد السلوك الاجتماعية. ولكن حياة كهذه كانت ضد الفردية: فإذا كان الإنسان مسيحياً، فإنه كان عاجزاً عن أن يكون شخصية؛ وإذا كان هندوسياً، كذلك لم يكن بمقدوره أن يكون شخصية. إن المتمرد - هو الذي يعيش بالتوافق مع نوره الذاتي؛ وهو مستعد للتضحية بكل شيء من أجل الهدف الأسمى - الحرية.

المتمرد - هو الإنسان العصري.

الحشد لا يمكن أن يكون عصرياً. الهندوس يؤمنون بالكتابات المقدسة التي صار عمرها ما بين الخمسة والعشرة آلاف سنة. الأمر ذاته يحدث مع الديانات الأخرى: الأموات يتحكمون بالأحياء. المتمرد يثور على الأموات، ويأخذ مسؤولية حياته على عاتقه. إنه لا يخاف من البقاء وحيداً؛ بل على العكس، إنه يستمتع بوحدته كأكثر الأمور قيمة. الحشد يمنح الإنسان الأمان، والحماية، ولكن الثمن مقابل ذلك يكون النفس البشرية. الإنسان يصبح عبداً. فالحشد يملي على الإنسان كيف يعيش وماذا يفعل وماذا لا يفعل.

في جميع أنحاء العالم، وفي كل دين، يوجد شيء مشابه للوصايا العشر، وقد ابتكرها الناس، الذين لم يكن لديهم أي فكرة عن مستقبل البشرية، وعن وعي الإنسان في المستقبل. هذا الأمر يشبه قيام طفل بكتابة كتاب الحياة، دون أن يعرف، ما هو الشباب، وما هو الهرم، وما هو الموت.

الديانات بدائية وخشنة؛ ومع ذلك تقوم بتحديد حياة الإنسان. واضح، لماذا يمتلئ العالم بأكمله بهذا الكم من المعاناة: لا يسمح للإنسان

بأن يكون على طبيعته. ففي كل ثقافة يريدون أن يصنعوا منه نسخة أخرى مضافة إلى البقية، دون السماح لأي مظهر من مظاهر الشخصية.

المتمرد - هو الذي ينير طريقه لوحده، ويعيش بما يمليه عليه عقله. إنه يمهد الطريق لنفسه، ويرفض اللحاق بالحشد فوق طريق عريضة حديثة مرصوفة. حياته مليئة بالمخاطر، ولكن الحياة بلا مخاطر ليست حياة. إنه يقبل التحدي بشجاعة، ويسير باتجاه المجهول. إنه لا ينظر إلى المستقبل المجهول من خلال موشور تجارب وخبرات الماضي، فهنا بالتحديد يكمن سبب معاناة البشرية؛ فهي تستند إلى الماضي، بينما المستقبل لن يشبه المضي أبداً. فالبارحة لن تصبح غداً أبداً.

ولكن الإنسان حتى هذا الوقت كان يعيش بهذه الطريقة؛ فقد كان يستقبل الغد، معتمداً على تجربة البارحة، الماضي كان يحضر للمستقبل، وهذا التحضير بالتحديد هو العائق. الإنسان عاجز عن التنفس بحرية؛ عاجز عن أن يحب بحرية، عن أن يرقص بحرية: إن الماضي يشوه الإنسان بشتى الطرق. ثقل الماضي عظيم، لدرجة أنه يدوس على كل إنسان. أما المتمرد فإنه ببساطة يودع الماضي.

سير هذه العملية تمتاز بطابق الدوام؛ وبالتالي، أن يكون الإنسان متمرداً - يعني التمرد باستمرار، لأن كل لحظة حاضرة تصبح ماضياً، وكل يوم حاضر يصبح البارحة. هذا لا يعني أن الماضي بات مدفوناً؛ فالإنسان يمر عبره في كل لحظة من لحظات حياته. هذا يعني، أن المتمرد يجب أن يتعلم فناً جديداً: فن الموت بالنسبة لكل لحظة مضت، ليكون لديه الإمكانية للحياة بحرية في الجديد، في اللحظة التي حلت.

المتمرد يتواجد في حالة تمرد دائمة، ولا يمكنه أن يكون ثابتاً ساكناً. وهنا أضع الفرق بين المتمرد والثائر.

فالثائر تتحكم به شروط الماضي. حيث لا يؤثر عليه السيد المسيح أو غوتاما بوذا، بل يؤثر عليه كارل ماركس أو ماو زيدون، أو أدولف هتلر، أو بينيتو موسوليني... لا يهم من يؤثر عليه. فالثائر لديه إنجيله الخاص - إنه كتاب رأس المال؛ وأرضه المقدسة - هي الاتحاد السوفيتي؛ ومكته هي الكرملين. فيشبه بذلك أي إنسان مؤمن، فهو لا يعيش حسب رأيه. إنه يعيش وفق مفاهيم وضعها آخرون. وبالتالي، الثائر - ليس إلا رجعياً. فهو يمكنه أن يكون ضد مجتمع محدد، ولكنه دائماً مؤيد لمجتمع آخر محدد. يمكنه أن يكون ضد ثقافة ما، ومباشرة يسرع لتأييد ثقافة مغايرة. إنه يستبدل سجناً بسجن، وديناً بدين: منتقلاً من المسيحية إلى الشيوعية، ومن الهندوسية إلى المسيحية. إنه يغير سجونه.

المتمرد ببساطة يتخلى عن ماضيه ولا يسمح للماضي بالتحكم به. إنها عملية مستمرة طويلة. حياة المتمرد كلها تشبه شعلة مشتعلة. إنه يمتلئ شباباً وحيوية حتى آخر نفس من أنفاسه. إنه لن يتفاعل مع أي وضع منطلقاً من خبراته الماضية؛ بل سيتفاعل مع كل وضع منطلقاً من وعيه في اللحظة الراهنة.

بالنسبة لي الثائر - هو الطريق الوحيد إلى الدين؛ أما ما يدعى بالأديان فليست كذلك. لقد قضت الديانات على الناس، وكبلت أنفسهم بالأصفاد؛ ظاهرياً يبدو أن الإنسان حر، ولكن عميقاً في داخله تؤثر الديانات عليه بقوة على وعيه، وتستعبده روحياً. المتمرد - هو الذي يموت بالنسبة لماضيه، لأنه يريد أن يعيش كما يملي عليه قلبه، وكما يسعى إليه طبيعته وسجيته، وليس لأن غوتاما بوذا قال ذلك، أو غيره.

إن المتمرد - هو الأمل الوحيد لمستقبل البشرية.

المتمرد سيدمر جميع الأديان، وجميع الأمم، وجميع الأعراق، لأنها جميعها قد أصابها العفن، والقدم، وهي تعرقل تطور وارتقاء الإنسان. إنها جميعها تمنع الإنسان من تحقيق ازدهاره الذاتي؛ إنهم ليسوا بحاجة للناس على الأرض، إنهم بحاجة لأغنام.

المسيح يكرر باستمرار: "أنا راعيكم، وأنتم أغنامي..." ودائماً كنت أشعر بفضول، لماذا لم ينهض إنسان واحد ولم يقل: "ما هذا الهراء الذي تقوله؟ إذا نحن أغنام، فأنت غنمة أيضاً؛ واذا كنت راعياً، فنحن رعاة أيضاً". ليس فقط معاصروه... ولكن خلال ألفي عام لم يعرض مسيحي واحد للشك هذه الكلمات، التي تعد بالنسبة لي إهانة للإنسانية؛ إنها إهانة كبرى - أن تسمي الناس بالأغنام، وتسمي نفسك راعياً ومنقذاً.

"لقد جئت، لأنقذكم..."، بينما لم يستطع إنقاذ نفسه! وعلى الرغم من ذلك، فإن نصف سكان الأرض ما زالوا يأملون بأنه سيعود وينقذهم، فيتبين، أن الإنسان عاجز عن إنقاذ نفسه ويضع أمله الأخير في الابن الوحيد للرب، عيسى المسيح. بينما هو وعد أتباعه قائلاً: "سآتي قريباً في حياتكم"... ولكن مر ألفا عام، وعدد لانهائي من حياة البشر، ولكن لا وجود لأي دلائل على عودته...

جميع الديانات تصرفت بطريقة مماثلة، ولكن بأساليب مختلفة. كريشنا يقول في الغيتا، إنه عندما يأتي زمن العذاب، ويأتي زمن المعاناة، وتظهر الضرورة، "سآتي مجدداً ومجدداً!". هؤلاء الناس، مهما كانت تصريحاتهم رائعة، لم يظهروا احترامهم للبشرية.

المتمرد يحترمك، ويحترم الحياة، وينحني باحترام عميق أمام كل ما ينمو، ويشق طريقه، ويتنفس. إنه لا يضع نفسه فوق الآخرين؛ ولا يتوهم نفسه أكثر قداسة، وأكثر أهمية؛ إنه - وحيد وسط أمثاله. بمقدوره أن يدعي أفضلية واحدة له أمام الآخرين: إنه الأشجع. إنه لا

يستطيع إنقاذ شخص آخر: فالإنسان لا تنقذه إلا شجاعته. ولا يمكنه أن يشير للآخرين إلى الطريق، لأن التفاني الذاتي فقط يمكن أن يملأ حياة الإنسان بالرضا. إن التمرد - هو نمط حياة. وباعتقادي، إنه الدين الحقيقي الوحيد. الحقيقة، هي أنه إذا عشت وفق إحساسك الذاتي بالعالم، فيمكنك أن تتوه كثيراً عن المسار، وأن تقع كثيراً؛ ولكن كل سقوط، وكل توهم، يجعل الإنسان أكثر فهماً، وأكثر ثقافة، وادراكاً، ورأفة. التعلم لا يكون إلا من أخطائك. ببساطة لا تكرر الخطأ الواحد مرتين. لا وجود لرب آخر غير وعيك. ولا ضرورة لأي بابا،ولا لأي شانكاراتشاري كوسيط بينك وبين الرب. إنهم أكبر المجرمين على الأرض لأنهم يستغلون العجز الإنساني.

منذ فترة قريبة أعلن البابا عن إثم جديد: لا يجوز التحدث مع الرب مباشرة؛ بل يجب تقديم الاعتراف للقسيس. فالتحدث شخصياً ومباشرة مع الرب يعد إثماً جديداً. يبدو ذلك غريباً... فالأمر واضح، هذا ليس ديناً، إنه تجارة، لأنه إذا صار الناس يتحدثون مع الرب مباشرة، فمن الذي سيذهب للاعتراف عند القساوسة ويدفع لهم الإتاوة؟ فالقسيس لن يعود ضرورياً، وكذلك البابا.

جميع القساوسة يصرحون بأنهم يعدون وسطاء بينك وبين الإدراك الأعظم. ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن نشأة الإنسان، وعن نشأة الحياة؛ أنت نفسك فقط يمكنك أن تدرك الواقع الأعلى. حياة الإنسان - هي مظهر للإدراك الأعظم، فأنت والإدراك الأعظم لا تتجزآن. الإنسان - ليس جزيرة معزولة في المحيط؛ الإنسانية - هي قارة عظيمة تحت الماء. ربما، من الخارج تبدو كجزيرة، - وهناك كثرة من الجزر المماثلة، ولكن عميقاً داخل المحيط نحن جميعاً متحدون. هذه الجزيرة جزء من الأرض، جزء من قارة واحدة. الأمر نفسه بالنسبة للوعي.

ولكن يجب التحرر من وساطة الكنيسة والمعبد وبيوت الدين. يجب أن تبقى على طبيعتك وتتقبل كل تحدٍ يأتيك به القدر. أنت الدليل والمرشد الوحيد لنفسك. أنت سيد نفسك.

هناك تصور قديم - ووهم - وهو أن كل من يخالف آراء غيره هو متمرد. إن المخالف لآراء غيره هو بطبيعته رجعي؛ إذ يحركه الحقد والغضب والعنف والأنانية. وأفعاله لا تقوم على الإدراك. إنه يعادي في موقفه المجتمع، ولكن معارضته للمجتمع لا تعني أنه محق. بل على العكس، كقاعدة، الانتقال من تطرف إلى تطرف آخر يعني دائماً الانتقال من وهم لآخر.

أما المتمرد فإنه يمتاز بالتوازن الكامل، وهذا مستحيل بدون إدراك، ويقظة وانتباه ورأفة لا متناهية. وهو ليس رد فعل، بل فعل؛ الفعل الموجه نحو تحقيق الجديد، وليس ضد القديم.

المخالف لآراء غيره يقف موقفاً معارضاً للقديم فقط، ضد النظام القائم؛ وليس لديه تصور مبدع، وليس لديه فهم، للسبب الذي يدفعه لمعارضة المجتمع، وليس لديه رؤية للمستقبل. فما الذي سيفعله إذا حقق النجاح؟ سيكون محتاراً؛ ومهموماً فهو لم يفكر بذلك يوماً وهو لم يختبر الصعوبات، فقط لأنه لم ينجح قبل ذلك في تحقيق ما يريد. فالخسارة كانت دائماً عزاءً له.

عندما أقول "استجابة، رد فعل" فإنني أقصد، أن اتجاه الإنسان بصورة رئيسية مشروط: فهو لا يتصرف بحرية واستقلالية. هنا يوجد مغزى عميق وخفي، يعني، أن أفعال الإنسان - هو نتيجة ثانوية؛ وهذا يعني كذلك، أن أفعاله تخضع للرقابة والتحكم بسهولة.

توجد قصة قصيرة بطلها الملا نصر الدين. لقد كان مخالفاً لآراء الغير، ورجعياً غيوراً، وسلبياً بالكامل.

فإذا قال له أبوه: "عليك أن تمشي باتجاه اليمين"، فإنه يمكننا أن نقول بثقة، إنه سيمشي باتجاه اليسار. وعندما أدرك الأب ذلك، تلاشت المشكلة بكاملها. فإذا أراد أن يمشي الابن إلى اليمين، كان يقول له: "من فضلك، امش باتجاه اليسار"، وكان نصر الدين دائماً يمشي إلى اليمين. لقد كان عاصياً، ويفعل كل شيء بالعكس، ولم يخطر بباله أنه ينفذ الأمر الذي يريده والده ويخضع لإرشاده، وأنه يفعل ما يريده الأب.

تدريجياً أدرك ذلك: "شيء ما ليس على ما يرام. في السابق كان أبي دائم الغضب مني، عندما كنت أعصي أوامره. وأنا أستمر في عصيانه، ولكنه يتصرف بهدوء تام". وبعد فترة اكتشف سياسة أبيه معه.

في إحدى المرات كان الأب العجوز ونصر الدين يعبران نهراً ومعهما حمار يحمل كيساً كبيراً من السكر. كان الكيس يميل إلى الأمام، وظهر خطر أن ينزلق ويسقط في النهر. كان الأب يمشي أخيراً وهو يفكر: "إذا قلت:(أزح الكيس نحو اليسار)، فإن ابني غريب الأطوار سيزيحه مباشرة نحو اليمين؛ فيسقط الكيس في النهر نخسر السكر"، ولهذا صاح: "نصر الدين، أزح الكيس إلى اليمين بعض الشيء"، آملاً أنه سيزيحه نحو اليسار، كما كان يفعل عادة.

ولكن نصر الدين فهم حيلة أبيه. فأجاب:"حسناً"، وأزاح الكيس إلى اليمين، فسقط الكيس في الماء.

- ماذا حدث؟ - استغرب الأب - هل توقفت عن كونك عاصياً؟

- الآن أنا سأقرر، متى أكون مطيعاً، ومتى لا أطيع. إنا ارفض الثبات وسأتصرف حسب الظرف. أنا أعرف، أنك كنت تخدعني! كنت تعطيني الأوامر بحيث أنفذ ما تريده. ولكن منذ اليوم سيكون عليك أن تحذر لأنني ربما أطيعك وربما أعصيك. منذ اليوم لن أكون لعبة في يديك؛ فأنت ستعجز عن التكهن بتصرفي؛ لن يعود بمقدورك التحكم بي بهذه السهولة.

المخالف لآراء غيره دائماً يتواجد في قبضة المجتمع والسلطة الحاكمة، ولا تحتاج السلطة الحاكمة إلا أن تكون أذكى قليلاً وأكثر مكراً، وعندها يصبح من السهل التحكم بالمخالف لآراء الغير، وبدون بذل جهود كبيرة في سبيل ذلك. في حين أن الحكومة لا تستطيع أن تستغل المتمرد، لأنه لا يتجاوب معها. فهو يعرف كيف يجب أن يكون الإنسان الجديد، وكيف يجب أن يكون مستقبل البشرية الجديدة. إنه يعمل على تحقيق هذا الحلم، وجعله واقعاً. وإذا قام ضد المجتمع، فإن ذلك يحدث لأن المجتمع يمنع تحقيق حلمه وتجسيده في الحياة. إنه لا يركز اهتمامه على الحكومة، بل يركزه على المستقبل المجهول، وعلى القدرة الكامنة. إنه يتصرف بحرية، بالتناسب مع رؤيته، ومع حلمه. وادراكه يرشده إلى الاتجاه.

ما هو الرابط بين المتمرد الذي تتحدث عنه وبين "بوذا زوربا"؟

إن المتمرد الذي أتحدث عنه، هو إنساني الجديد ـ هو بوذا زوربا. البشرية عاشت إما بإيمان في حقيقة وجود النفس ووهم المادة، وإما بإيمان في حقيقة المادة ووهم النفس.

يمكن تقسيم البشرية في الماضي إلى معسكرين: الماديين والمثاليين (الخياليين). ولكن لم يتفرغ أحد ليبحث في واقعية الإنسان نفسه. في حين أن الإنسان ـ هو اتحاد من كلا الأمرين. فهو مكون من البداية الروحانية، والوعي، والمادة. وليس من واحد منهم فقط. إنه يمثل بنفسه الانسجام الكامل، واتحاد الروح والمادة.

محتمل جداً، أن يكون الروح والمادة ليسا مفهومين منفصلين، بل هما ناحيتان لواقع واحد: تتواجد المادة على سطح الوعي، ويتواجد الوعي

في داخل المادة. ولكن في الماضي لم نجد فيلسوفاً واحداً، أو قديساً أو متصوفاً متديناً، أعلن عن حالة الاتحاد هذه؛ جميعهم كانوا يصرحون بتجزئة الإنسان، مسمين جزءاً منه واقعياً، وجزءاً آخر خيالياً. وقد ولد ذلك جواً من الجنون في العالم بأكمله. لا يمكن العيش بإرضاء الحاجات الجسدية فقط. وهذا ما يتحدث عنه المسيح: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". ولكن هذا نصف الحقيقة فقط. كذلك لا يجوز العيش مع تجاهل حاجات الجسد، أي لا يمكن كذلك العيش بدون خبز. إن ماهية الإنسان مكونة من بعدين، ويجب التعامل مع هذين الجزأين بتوازن، موفرين الشروط المتساوية لتطورهما. ولكن في الماضي كان التفضيل يتم لصالح الأول ضد الثاني، أو لصالح الثاني ضد الأول.

لم يعترف أحد بوجود الإنسان الموحد، والمنسجم. وهذا الأمر هو الذي دفع البشرية إلى لجّة المآسي، والمعاناة، والظلام الدامس، والليل، الذي طال لآلاف السنين والذي يبدو بلا نهاية. إذا أنصتنا إلى حاجات الجسد، تبدأ باحتقار نفسك؛ وإذا لم نستمع لحاجات الجسد، تبدأ المعاناة: الجوع، العطش، المرض. إذا أنصتنا إلى الوعي فقط، فإن تطور الإنسان يصبح أحادي الجانب: فالروحانية تنمو، ويعاني الجسد، فيحدث اضطراب التوازن، وعدم الانسجام. في حين أن الصحة متوقفة على هذا التوازن، والتكامل في هذا الانسجام، وفي هذا التوازن ـ السعادة والأغنية والرقص.

الغرب حسم الخلاف لصالح الجسد المادي، باقياً في صمم تام تجاه البداية الروحانية في الإنسان.نتج عن ذلك أننا نمتلك علماً وتقنية متطورين، ومجتمع الوفرة، وتنوع الخيرات المادية. ووسط هذا الثراء المادي نرى إنساناً عديم الروحانية محتاراً تماماً، لا يعرف من هو في الحقيقة، ولماذا هو هنا؛ إنه يشعر بأنه ظهر إلى الوجود بالمصادفة، وأنه خطأ من أخطاء الطبيعة. الإنسان الغربي يفرط في العمل على اختراعاته،

ومكتشفاته. ولكنها لا تجعل حياته أكثر سعادة؛ بل على العكس، إنها تحكم عليه بالعيش، الذي يستبعد أن يسميه الإنسان الغربي المثقف بالحياة اللائقة الشريفة.

أما الشرق فقد اختار الروحانية وسار على طريق رفض المادة وكل ما هو مادي، ومن ضمنه الجسد، معتبراً، أن كل ذلك وهم وسراب في الصحراء، وخدعة بصرية، وبدعة. الرق أنجب غواتاما بوذا، وماخافيرا، وباتاندجالي، وكبير، وفريد، ورايداس ، جماعة كاملة من الشخصيات البارزة من أصحاب الوعي المتطور والإدراك العالي. ولكنه كذلك أنجب ملايين من الفقراء، الذين يموتون جوعاً، يموتون ميتة الكلاب، ليس لديهم طعام ولا ماء صالح للشرب، ولا كساء، ولا سقف فوق الرأس.

إنه وضع غريب... فبسبب إفراط الإنتاج في الغرب كل نصف عام يتلفون في المحيط كميات هائلة من الألبان ومشتقاتها ومواد غذائية أخرى تصل قيمتها إلى مليارات ومليارات الدولارات. فهم لا يريدون أن يفرطوا في تحميل مستودعاتهم، ولا يريدون خفض الأسعار والإضرار بنظامهم الاقتصادي. فمن جهة يموت في أثيوبيا كل يوم آلاف الناس بسبب الجوع، وفي الوقت نفسه يقوم الاقتصاد الأوربي بإتلاف كميات هائلة من المواد الغذائية، حيث تكلف عملية الإتلاف بحد ذاتها ملايين الدولارات. وهذا ليس ثمن المواد الغذائية، إنه ثمن شحنها إلى شواطئ المحيط. فمن يتحمل مسؤولية هذا الوضع؟

إن الإنسان الغربي يبحث عن نفسه، ولكنه لا يعثر إلا على الفراغ الداخلي، فقد أدرك الشهوة فقط عوضاً عن المحبة الحقيقية؛ مكرراً كالببغاء الكلمات التي حفظها يوماً في مدرسة الآحاد، وليس صلاة. إنه ليس متديناً، وليس لديه رأفة تجاه الآخرين، وليس لديه إجلال للحياة،

ولمخلوقات الرب من طير ونبات وحيوان - وأسهل كثيراً عليه أن يقوم بالقضاء عليهم.

لم تكن لتحدث مأساة ناغازاكي وهيروشيما أبداً، لو أن النظرة الغربية للإنسان لم تكن تراه مظهراً مادياً فقط، ولم يكن البشر ليراكموا الترسانة النووية، لو أنهم أدركوا أنه في داخل كل إنسان يتواجد الرب، وأنه في داخل كل إنسان يحضر السمو؛ لا يجوز القضاء على الإنسان، بل يجب فهمه؛ لا يجوز تله، إنما يجب فتحه بالكامل؛ لأن كل إنسان هو معبد رباني. فلو أن الإنسان كان مادة فقط، فقط كيمياء، وفيزياء، وهيكل عظمي يحيط به الجلد، فإنه مع موت الإنسان ينتهي كل شيء. هذا هو سبب نجاح أدولف هتلر في القضاء على ستة مليون شخص بهذه السهولة. فإذا كان الناس مادة فقط، فلا داعي للتفكير طويلاً.

لقد فقد الغرب نفسه، وعالمه الداخلي. إنه يعجز عن إيجاد نفسه وسط السخافة واللامعقولية، والضجر، والمعاناة. جميع إنجازات العلم أثبتت عدم فائدتها، لأن البيت يمتلئ بكل شيء، ينقصه صاحب البيت فقط. بينما هنا في الشرق صاحب المنزل حي، ولكن بيته فارغ. يصعب الفرح عندما تكون معدتك خاوية، وجسدك مريض، ويحيط بك الموت من جميع الجهات؛ في ظروف كهذه يصبح التأمل مستحيلاً. لقد صرنا الخاسرين ظلماً. جميع قديسينا، وفلاسفتنا، والمثاليين والماديين - جميعهم يتحملون مسؤولية أعظم جريمة ضد الإنسان.

بوذا زوربا - هذا هو حل المشكلة. إنه تركيب من المادة والروح. إنه شاهد غياب الأزمة بين المادة والروح، واثبات إمكانية أن تكون سعيداً مادياً وروحانياً في آن واحد. أن تمتلك فعلياً جميع الخيرات المادية، التي صنعها العلم والتقنية في جميع أنحاء العالم، وفي الوقت نفسه - أن تمتلك

العالم الداخلي لبوذا، وكبير أو ناناك - أن يسبح في بحر من زهور النشوة الروحانية، وعطر الربانية، وتطير على أجنحة الحرية اللامتناهية.

إن بوذا زوربا هو الإنسان الجديد، هو المتمرد.

إن تمرده موجه لتخليص البشرية من الفصام، ومن التجزئة: إنه يدمر الروحانية التي تعادي المادة، ويدمر المادية التي تعادي الروحانية. إنها تظاهرة للإعلان عن أن الجسد والنفس لا ينفصلان، وأن الحياة مليئة بالروحانية، وأن الجبال حية، والأشجار لها إحساسها. إنه برهان على أن الكون - هو وحدة من طاقتين: المادة والروح؛ أو طاقة موحدة، لها مظهران هما المادة والروح. والطاقة النقية الدقيقة تتجسد بصورة روح؛ أما الطاقة الخشنة والكثيفة وغير النقية، فتتجسد بصورة مادة. ولكن الكون بكامله - ليس سوى حقلاً طاقياً. هذه ليست فلسفتي؛ هذه خبرتي. وهذا ما تؤكده الأبحاث الحديثة في مجال الفيزياء: الحياة طاقة.

يمكن للإنسان أن يكون متكاملاً، حيث يمكنه أن ينتمي إلى عالم المادة وإلى عالم الروح معاً. وليس من الضروري أن تضحي بعالم منهما في سبيل الآخر، وليس من الضروري التخلي عن أحدهما في سبيل الآخر. في الحقيقة ، الانتماء إلى أحد العالمين، مع توفر الإمكانية لتوحيد العالمين فيك، هو فقر غير مبرر.

بوذا زوربا هو الإمكانية الأوسع من بين كل ما يتوفر للإنسان. إنه يأخذ من الحياة كل شيء، ويتغنى بهذه الأرض. إنه لا يخون الأرض، وهي العالم المادي، ولا يخون السماء، العالم الروحاني. إنه يعلن عن حقه في امتلاك كل شيء، كل ما يوجد فوق هذه الأرض: من أزهار ومتع، كما يصرح كذلك بأن جميع نجوم السماء هي ملك له. إنه يسمي الكون منزله.

إنسان الماضي كان فقيراً، لأنه كان يجزئ الحياة إلى مادة وروح. أما الإنسان الجديد، المتمرد، بوذا زوربا، فإنه يؤكد، بأن منزله العالم بأكمله.

كل ما يحتويه الكون، مخصص لنا، وعلينا أن نستفيد من كل ذلك لأقصى حد - دون انتقاء، ودون الإحساس بالذنب، ودون الإحساس بالتناقض.

بدون تردد استمتع بجميع الخيرات المادية، التي تقدمها لك الحياة، وافرح لكل فرصة تسمح لك بالتطور الروحاني.

كن زوربا ولكن لا تتوقف عند هذا الحد. تقدم إلى الأمام، إلى أن تصبح بوذا. زوربا وبوذا نصفان لكل موحد واحد.

يروون قصة قديمة.

في الغابة على أطراف المدينة عاش متسولان.ومن الطبيعي، أنهما كانا على عداوة فيما بينهما، كجميع المحترفين - كطبيبين، أو بروفيسورين ، أو قديسين. أحدهما كان أعمى، والثاني أعرج، وكلاهما كانا منافسين قديرين؛ لأيام كاملة كانا يتنافسا في المدينة مع بعضهما بعضاً. ولكن في إحدى الليالي حدث حريق في الغابة، واشتعلت أكواخ المشردين. اندفع الأعمى من كوخه ولم يعرف في أي اتجاه يركض. والأعرج رأى أنه ما زالت الفرصة سانحة للهرب من الحريق، ولكنه كان عاجزاً عن الركض كانت النار الجامحة تنتشر بسرعة شديدة، فلم يبق للأعرج سوى أن ينظر في وجه الموت القادم.

وهنا أدرك المتنافسان أنهما بحاجة لبعضهما بعضاً. لمعت في رأس الأعرج فكرة: "الأعمى قادر على الركض، وأنا قادر على الرؤية". فنسيا تنافسهما. في هذه اللحظة الحرجة، عندما صارا على بعد شعرة من الموت، نسيا مباشرة خلافاتهما. ووحدا جهودهما؛ فحمل الأعمى الأعرج على ظهره وركض إلى حيث أشار عليه الأعرج. فهربا ككائن واحد كامل. وبعد أن أنقذا حياة بعضهما بعضاً، صارا صديقين؛ وتصالحا لأول مرة.

زوربا أعمى، إنه لا يرى، ولكنه يرقص ويغني ويمرح. بوذا يرى، ولكن ليس أكثر من ذلك. إنه فقط يمتلك عينين صافيتين نقيتين، وهو يمتلك الوضوح والإدراك؛ ولكنه كسيح، إنه لا يرقص، ولا يغني، ولا يمرح.

آن الأوان. العالم محاط بالنار التي تلتهم كل شيء؛ حياتنا في خطر. لقاء زوربا وبوذا سينقذ البشرية. والأمل بالكامل على هذا اللقاء. بوذا سيعطي للإنسان الإدراك، والوضوح، وعينان تنفذ نظرتهما إلى صميم القلب، لرؤية شبه اللامرئي. بينما زوربا سينفخ الحياة في رؤية بوذا، فتكتسب ألوان الحياة، هذا الخليط سيتحول إلى رقصة، ورح، ونشوة روحانية.

إنني أقدم لبوذا طاقة الرقص وأعطي لزوربا عينان ليرى بهما مستقبل الحياة والتطور خلف الأفق. إن متمردي هو ليس إلا بوذا زوربا.

الفهرس

القسم الثاني

القسم الثالث

القسم الرابع